406

مجلة الابتسامة

إصدارات الدكتور عادل صادق
حصريا لدار الصحوة

A.M.

نسخة منسقة
مجلة الابتسامة

# مشكلات عاطفية

emotional problems

عبد الرحمن

http://www.maktbtna2211.com/

الدكتور
عادل صادق
أستاذ الطب النفسي

# فريق العمل بقسم تحميل
# كتب مجانية

Dr. Ahmed Mady

د. أحمد ماضي

A.M.

# مشكلات عاطفية

د/ عادل صادق

أستاذ الطب النفسي

# مقدمـــة

* * هـذا كتـاب يتنـاول المشـكلات العاطفيـة والانفعاليـة التـي تواجه المرأة والرجل في علاقتهما الخاصة..

* * والفصـل الأول والثـاني يتنـاولان موضـوعين مـن أدق وأصعب المواضيع وأكثرها حساسية: الغيرة والخيانة.. غيرة المرأة.. وخيانة المرأة.. والمعنى الأساسي الذي أردت أن أرسخه هو أنه لا حب بدون غيرة، وأنه لا خيانة مع الحب.. إذن نحن أساسًا نبحث في موضوع الحب.. وإن كنت من البداية أردت أن أرسخ هذا المعنى فإنني أنهيت كتابي أو بحثي بنفس السؤال الذي بدأت به: هل من الممكن أن يكون هناك حب بدون غيرة؟ وهل من الممكن أن يجتمع الحب والخيانة؟

* * البداية المنطقية أن نتكلم أولاً عن الحب.. أن نفهم معنى الحب ثم ننطلق بعد ذلك إلى مشكلات الحب.. ولكني أردت أن تسير الأمور بالعكس.. أي أن أتكلم أولاً عن مشكلات الحب.. وعن الغيرة والخيانة، ثم أتكلم في بقية الفصول عن الحب ذاته. ولقد قصدت هذا وتعمدته، والسبب أنه في مفهومي ومن واقع تجربتي الإنسانية الشخصية.. أن الحب هو الحل لمشكلة الإنسان بما يحققه للإنسان من طمأنينة وسعادة.. فكيف يكون للحب مشكلات؟!

فكان يجب- في تقديري- أن أقفز حيث المشكلات لنتعرف

عليها ونعرف منبعها وأعود بها إلى مصادرها.. لأراها في البداية مجردة، ثم أردها مرة ثانية إلى ظاهرة الحب وذلك سوف يعينني أكثر على فهم موضوع الحب.. فالأصل في هذا الكتاب أو الدافع إلى كتابته هو الربط بين الحب والغيرة والفصل بين الحب والخيانة.

* * ولكن لماذا الحديث عن المرأة فقط؟.

غيرة المرأة!!

وخيانة المرأة..

* * ذلك لأن الأصل في الحب هو المرأة.. وإن كان آدم هو الأصل في الحياة.. فإن امرأته هي الأصل في استمرار الحياة وتواصلها..

* * وفي خلال رحلتي في الحياة لم أعرف امرأة لم تمر بشعور الغيرة.. وما وجدت أفظع من خيانة المرأة..

فالمرأة هي حصن الطهارة وحضنها.. والطهارة هي الركيزة الأساسية في الحب.. والطهارة تولد الطمأنينة..و الطمأنينة هي الركيزة الثانية.. طهارة المرأة وطمأنينة الرجل.. وما الحب بدون طهارة وبدون طمأنينة؟! إنه الحب المرضي أو حب المرضى..

* * والقضية الأولى في حياة المرأة السوية هي الحب.. أو هكذا خلقت أو هكذا دورها أو لهذا أوجدها الله منذ بدء الخليقة لتستكمل بهذا الدور حلقة التواجد الإنساني على الأرض واستمرارية الحياة..

* * ذلك هو النبع الصافي الذي ترتوي منه البشرية في كل لحظة والذي ينبثق من قلب المرأة حين تحب رجلاً، وتلك هي معجزة الخلق

والخالق.. ذوو العقول البسيطة يدركون هذه المعجزة بحسهم الفطري الغريزي التلقائي.. وذوو العقول الواعية المدركة لحقائق الوجود والكون عن علم وفهم يدركونها بنفس الحس الفطري الغريزي التلقائي للإنسان البسيط.. تلك المعجزة وتلك الحقيقة هي أن هذا الوجود الإنساني المستمر لا يتحقق إلا من خلال التقاء رجل وامرأة.. وهذا اللقاء لا يتحقق بشكل سخي وثري وجميل إلا برباط الحب.. تتلاقى روحان.. ويتلاقى جسدان.. وفي لحظات آخذه باعثة على السعادة والسرور والنشوة واللذة تمتزج الروح بالتراب، أي النفس بالجسد حين يتعانق اثنان، رجل وامرأة على أرضية الحب.. فراشهما الحب وغطاؤهما الحب..

* * ولا يتحقق الشعور بالاكتمال عند الإنسان- رجلاً كان أو امرأة- إلا بالحب.. وهذا الشعور بالاكتمال يحقق السعادة.. سعادة أنك معي وأنني معك.. سعادة أنني أهم إنسان عندك وأنك أهم إنسان عندي.. سعادة اكتشافي لصميم جوهرك الإنساني واكتشافك لصميم جوهري الإنساني.. سعادة إدراكي لذاتي المثالية على مرآة ذاتك.. سعادة اكتشافي فيض الخير الذي بداخلي وكم الشرف وحجم الفضيلة وقدر العطاء.. سعادة أنني إنسان.. سعادة اكتشافي معنى الوجود..

* * هذا كله لم يتحقق إلا بك ومن خلالك..

* * هكذا تقول المرأة للرجل الذي يحبها وتحبه..

* * وهكذا يقول الرجل للمرأة التي تحبه ويحبها..

* * تلك هي أنشودة السعادة الحقة في الحياة..

* * ولا سعادة بدون ألم.. ولا لذة بدون عذاب..

* * ويبدو أنه من يحب أكثر يألم أكثر ويتعذب أكثر.. ولكن لماذا؟ بالرغم من أن الحب هو مصدر السعادة والطمأنينة؟!

* * ولأن المرأة قضيتها الأساسية في الحياة هي الحب.. فألمها أكبر وعذابها أشد..

* * المرأة حين تحب تلمس نجوم السماء بيدها فرحة وسعادة ونشوة ورضي وطمأنينة وأمنًا واستقرارًا.

* * والمرأة حين يكتنفها الشعور بالغيرة تحترق وتتعذب وتخاف وتقلق وتضطرب وتثور وتنهار.

* * والمرأة حين تخون يحترق الرجل حزنًا وغمًّا وألمًا حين تغادره -إلى غير رجعة- الطمأنينة..

* * ومن لا يحب لا يتعرض لهذه الهموم.. فالحب هو الحياة.. والموتى الأحياء لا يشعرون.

بعد تأمل وتفكير وقراءات تيقنت أنه لا حب بدون غيرة.

إن الغيرة داخلة في النسيج الطبيعي للحب الحقيقي.

وإن المرأة هي كائن غيور بطبيعتها.. وفي الحب الحقيقي يغار الإنسان على الحب نفسه، أي يخشى أن يفقد هذا الحب. وإن الحب الزائف أي حب التملك، يخاف الإنسان فيه أن يفقد الطرف الآخر، فالغيرة هنا ليست مرتبطة بالحب.

إذن هناك غيرة الحب، وغيرة بدون حب.

وغيرة الحب ضرورية. وهي تعني أن الحب الذي جمع بين قلبي

الرجل والمرأة أصبح هو كل حياتهما، فإذا فقدا هذا الحب فقدا ذاتيهما. أي فقدا الحياة.

أما الغيرة في حب التملك فهي غيرة ضارة وخانقة. وهي تعني أن كل طرف في هذه العلاقة تحول بالنسبة للآخر إلى «شيء» يحب أن يحتفظ به ولا تمتد إليه يد أخرى حتى وإن لم يكن يحبه.

وهناك أيضًا غيرة مرضية قائمة على الأوهام والضلالات التي ليس لها أساس من الصحة، وإنما تنبع من عقل مريض، وتؤلم الطرف الآخر المتهم بالخيانة (وهو بريء) ألمًا شديدًا، كما أنها أيضًا تؤلم المريض وقد تؤدي إلى عواقب وخيمة (وليس على المريض حرج).

أما موضوع «خيانة المرأة» فهو موضوع صعب وشائك، ولا أتصور أن أحدًا سيستطيع يومًا، مهما امتدت بنا الحياة، أن يلم بكل أسراره ويكشفها للناس، لأن الله سبحانه وتعالى حرم الإنسان- وهذه نعمة- من قدرة أن يطلع على ما يدور في رأس الإنسان الآخر من أفكار ونيات وميول. إن حكمة الخالق -عز وجل- كما تجلت في أشياء كثيرة تجلت في أعظم صورها في خلق النفس البشرية بتعقيداتها وصورها اللانهائية، ومن هنا تجيء صعوبة أو استحالة الإحاطة بكل خباياها.

وكان يهمني أن أعثر على إجابة سؤال مهم هو: هل توجد خيانة مع الحب؟ بمعنى هل يستطيع إنسان أن يحب إنسانًا آخر وأن يخونه في نفس الوقت؟

من الأفكار التي علقت بذهني في بداية اهتماماتي بالطب النفسي وقراءاتي في علم النفس أن البغي (العاهرة) إذا أحبت أخلصت وأقلعت عن مهنتها. ولكن بعد أن توغل بي العمر في هذه المهنة بدأت

أتشكك في صحة هذه الفكرة التي لا أعرف مصدرها الحقيقي بعد أن عايشت وواجهت وتعبت مع التعقيدات الغريبة في النفس البشرية. ولكني آمنت بضعف الإنسان وحيرته وغرابته وغربته وقلقه وخوفه وصراعاته ولحظات يأسه وحزنه، وأن هناك آلافًا من العوامل والنوازع النفسية تدخل في تكوين شخصيته وتشكيل أفكاره وتوجيه مشاعره وتحديد مواقفه وسلوكه.

ولذا فالتعميم- ولو أنه من أساسيات العلم- صعب في مجال دراسة النفس البشرية. ففي العلوم المادية نستطيع أن نقول إن لكل قاعدة استثناء، ولهذا نستطيع أن نعمم بلا خوف وأن نترك الباب مفتوحًا لبعض الاستثناءات القليلة. أما في مجال النفس فإننا إذا حاولنا أن نضع قاعدة عريضة فإننا سنجد مع كل حالة جديدة استثناء حتى تمتلئ القاعدة «بالثقوب» التي تفقدها قيمتها كقاعدة.

وأعترف أنني بالوسائل العلمية لم أستطع أن أعثر على إجابة السؤال الثاني: هل يجتمع الحب مع الخيانة؟

ولكن بإحساسي كإنسان، وبوعيي ببشريتي، ومن قاع ضميري، ومن منطلقات عقلي الحر غير الخاضع لتصنيفات أو قوالب أقول: إنه لا خيانة مع الحب، ولا حب مع الخيانة.

والعلم عند الله..

**د. عادل صادق**

♥♥♥

# الفصل الأول

## امرأة غيورة

تقول امرأة لرجل معترض: أنت لا تفهم شيئًا، أنت لا تحس بشيء، أنت بارد ولا تبالي، ألم تسمع عن شيء اسمه الغيرة، إنني امرأة غيورة لأني أحبك حبًا شديدًا، ولا أحد يستطيع أن يفهم معنى الغيرة وكيف تغيظ القلب وتقلق النفس وتشتت الفكر وتؤرق الجفن إلا امرأة تحب.. الغيرة هي امرأة تحب. أو امرأة تحب هي الغيرة..

www.ibtesama.com
تنسيق: علامة تعجب

* * إنني أغار من كل شيء يحيط بك، كل شيء يثير اهتمامك، كل شيء يحتل مكانة عندك، كل شيء يستدر حماسك ويستدرج مشاعرك، كل شيء تعطيه وقتك وتركيزك، كل شيء تعطيه حنانك أو يثير شفقتك.. أغار من كل شيء يزحزحني من بؤرة اهتمامك ومركز وعيك.. فأنا أريد كل اهتمامك، كل تركيزك، كل حبك وعطفك وحنانك وإشفاقك، كل لحظة من وقتك.. أريدك كلك بجسدك وفكرك ومشاعرك لا يراك أحد ولا ترى أحدًا.. لا ترى شيئًا في الدنيا إلا أنا.. أغار حتى من نسمة الجنوب على محياك يا حبيبي..

* * حاول أن تفهم لتشعر كيف تؤلمني الغيرة..

* * لست وحدي بل هذا هو حال كل امرأة تحب.. الغيرة هي امرأة تحب، وامرأة تحب هي الغيرة..

♥♥♥

والمشاعر الإنسانية من الصعب وصفها.. إنها شيء يُحَس من الداخل لا تصل إليه يد ولا تطوله عين، ومن الصعب تحديد حجمها أو وزنها أو أبعادها، ومن الصعب تتبع مصدرها وآثارها.. ومن الصعب أن نحدد ما هو طبيعي منها وما هو غير طبيعي. فالمشاعر تتداخل والقلوب تختلف والعقول تتباين والأرواح منازل والنفوس صنوف.. فالرجل غير الرجل. والمرأة غير المرأة، والرجل غير المرأة.. وأيضًا وهذا هو الأهم الحب غير الحب. فهناك امرأة حبها فوق حياتها وحبيبها قبل نفسها.. اختارت بإرادتها وأعطت دون أن تتوقع أن تأخذ، ضحت وناضلت واستمرت.. وروت بالحنان وبالسنين وبالصبر ثمرة الحب.. وهناك امرأة أخرى حياتها فوق كل شيء

ونفسها قبل حبيبها، تزن وتحسب وتقدر، لا تعطي قبل أن تأخذ، وإذا لم تأخذ باعت واستغنت.. مشاعر المرأة الأولى غير مشاعر الثانية.. ودوافع الغيرة عند الأولى غيرها عند الثانية.. لأن المرأة غير المرأة والحب غير الحب.

♥♥♥

وإنه لأمر شاق أن نتناول موضوع الغيرة، وعند المرأة بالذات.. فالصعوبة مركبة مضاعفة.. فالغيرة شعور محير غامض بالأسرار يخفيه الإنسان في معظم الأحيان، وإذا أفصح عنه فبغضب وألم. ومن الصعب أن نفهم هذه المشاعر منفصلة عن الإنسان ذاته، شخصيته، نوع ودرجة حبه، نضجه وثقافته، طفولته ومشاكلها.. وتتضاعف الصعوبة إذا كانت الدراسة متعلقة بالمرأة، وهي الغموض بعينه، وهي ذاتها قد لا تعي دوافع مشاعرها وخاصة فيما يتعلق بميلها وعواطفها ناحية الرجل وبالتالي غيرتها.. ولكن ما يهون من الأمر أن الغيرة هي جزء أساسي من النسيج النفسي الإنساني.. شعور بشري يقتحم وجدان الإنسان بلا إرادة منه وبلا وعي منذ مراحل الطفولة المبكرة جدًّا، وخلال مراحل عمره المختلفة.. ولذا فالحديث عن الغيرة سيلقى تجاوبًا في بعض جوانبه عند كل إنسان له وجدان حي، وسيلقى تجاوبًا أكثر في كل جوانبه عند كل امرأة.. لأن الغيرة امرأة..

♥♥♥

* * وفي أي دراسة لا بد أن يكون هناك تعريف محدد ودقيق ومتفق عليه لموضوع ومفاهيم الدراسة، وخاصة إذا كان الأمر متعلقًا بالإنسانيات حيث تتباين الاتجاهات وتتعدد الاجتهادات..

وفي موضوع الغيرة لابد أن نرى الخيوط الدقيقة التي تفصلها

عن مشاعر أخرى تتشابه معها مثل حب التملك والغبطة أو الحسد والشك.. وقبل أن نفعل ذلك فلنحاول أن نقترب أكثر من امرأة تفوح رائحة الغيرة من قلبها ويصطبغ وجهها بلونها وتلمع عيناها بوهجها.. امرأة يهتز كل كيانها بالغيرة فيضطرب صوتها قبل أي شيء آخر ويكتسي برنين عجيب يكشف عن الغضب والألم..

*** * ماذا تقول هذه المرأة؟**

* اخترت الإنسان الذي أحببته بوعيي الكامل وإرادتي الحرة..

* أراه أهم وأعظم إنسان في الدنيا، أراه أفضل الرجال، أراه مثاليًا في كل شيء..

* أدركت ذاتي من خلال حبه لي.. فأنا في عينيه أجمل النساء وأفضلهن.. لقد اكتشفت جمالي الحقيقي وصفاتي الجميلة من خلاله.. شعرت أني مثالية في كل شيء ولذلك تاقت نفسي للكمال.

* من خلال حبي أدركت وفهمت ارتباط الحب بعدة فضائل وهي الإخلاص والوفاء والفضيلة والشرف والشجاعة والكرامة.

* يقيني أن موقعي عنده يأتي قبل أي شيء في حياته.. مثلما هو عندي قبل حياتي..

* أعظم مكاسب الحب التي نعمت بها هو الشعور بالأمان.

* ثم بدأت تنتابني من وقت لآخر مشاعر غامضة تستمر للحظات وتختفي ثم تعود.. مشاعر هي مزيج من القلق والخوف والاضطراب والتوتر والضيق.. ثم أضيف إليها بعد ذلك الغضب.. ثم حاولت أن أتعمق داخل نفسي لأفهم سر هذه المشاعر الغامضة غير

المريحة فوجدت أنها تفقدني الثقة بنفسي أو أنني حين أفتقد الثقة بنفسي تهاجمني تلك المشاعر.. وتعجبت لفقدي الثقة بنفسي لأني بشكل عام، وخاصة بعد أن أحببت، شعرت أنني شديدة الثقة بالنفس.. فخورة بجمالي وذكائي وثقافتي وبأنني أهل للحب وأن حبيبي- وهذا هو الأهم- يراني أفضل امرأة في الدنيا..

* تعمقت أكثر داخل نفسي فوجدت أنه فعلاً تمر بي لحظات أشعر فيها بالنقص وأقل من قدر نفسي.. وهي لحظات مؤلمة لأنها تهدد حبي وأحتار: هل أنا فعلاً جديرة بحبه، وهل هو حقًّا يراني أفضل امرأة.

ولا أدري هل هذه المشاعر الغريبة التي تداهمني من حين إلى آخر هي التي جعلتني أتشكك في مكانتي عنده وتقديره لي، أم أن هذا هو الواقع فعلاً وأن هناك تهديدًا حقيقيًّا يأتي من الخارج؟! ولذلك ازدادت عيني انتباهًا وازداد عقلي يقظة لأتفحص ما يدور حولي، وحاولت أن أضع اسمًا لمشاعري فوجدت أنها مطابقة لشيء اسمه الغيرة..

* ومن البداية لم أكشف له عن مشاعري.. ولا أتصور أن إنسانًا يقول لحبيبه إنني أغار عليك.. إن الغيرة قد تتبدى في سلوك، ولكن لا يُعبر عنها مباشرة بالكلمات..

* ولكني لم أعتقد ولو للحظة واحدة أنني غير طبيعية أو أن مشاعري غير سوية أو مبالغ فيها.. بل إن يقيني أن ذلك هو الطبيعي.. مثلما أحبه فأنا أغار عليه.. ولهذا تسرب إلى وعيه حقيقة ارتباط غيرتي بحبي.. ولكن الذي آلمني وحيرني ولم أفهمه في البداية هو ارتباط ذلك

بالانهيار اللحظي لثقتي بنفسي.

* وأخذت أسترجع اللحظات التي تنتابني فيها الغيرة فاكتشفت أمرًا عجيبًا وهو أنني في حالة غيرة مستمرة، إلا أن الأمر قد يتأزم في بعض الأحيان ويتأجج الشعور بالغضب والخوف مقرونًا باهتزاز الثقة بالنفس..

* ما معنى أن يلازمني شعور الغيرة كل الوقت..؟ أتصور أن السبب وجود الإنسان الذي أحبه معي كل الوقت في مخيلتي.. ومن الطبيعي أن أسأل نفسي هل أنا في مخيلته كل الوقت..؟ وإذا كان إنسان يشغل بالك كل الوقت فهذا معناه أنك شديد الاهتمام به.. وهنا شعرت أنني بدأت أمسك بخيوط أكثر تقودني إلى فهم حقيقة مشاعري.. إذن الحب معناه انشغال بمن تحب كل الوقت، والانشغال هو الاهتمام.. ثم أنت تريده أن يكون مشغولاً بك كل الوقت أي متهمًّا بك مثل درجة انشغالك واهتمامك به.. وكيف أتأكد من ذلك..؟ وحين يسأل المرء نفسه هذا السؤال تبدأ الهواجس والوساوس فعلها وتأثيرها على النفس..

* الوساوس المقلقة تهدأ وتثور ولكنها دائمًا موجودة وستظل موجودة ما دام هو أهم إنسان في الوجود بالنسبة لي وما دمت أريد أن أكون أهم إنسانه في الوجود بالنسبة له.. والوساوس تكون في صورة أسئلة أجيب دائمًا عنها بالنفي وخاصة في أوقات الثقة الشديدة بالنفس، وحين تتضعضع ثقتي بعض الشيء لا أجد إجابة قاطعة على أسئلتي، وحين تنهار ثقتي تمامًا تأتيني إجابات حزينة ومخيفة ومهينة.. ما هذه الأسئلة التي تثيرها الوساوس: هل من الممكن أن يشده جمال

امرأة أخرى؟ هل تستطيع امرأة أخرى أن تؤثر عليه بجاذبيتها؟ هل يفتقد شيئًا معي يمكن أن تقدمه له امرأة أخرى؟ هل يهمه شباب المرأة أم عيناها أم شعرها أم ذكاؤها أم خفة روحها أم ماذا؟ هل من الممكن أن يصل الأمر إلى حد أن يعجب بامرأة أخرى؟ هل إذا أحب الإنسان حبًا حقيقيًا يستطيع أن يعجب بإنسان آخر؟ هل الإنسان يحب من يعجب به أم يعجب بمن يحبه؟

* وساوس نظرية تخيلية.. ولكن تمر بنا مواقف تصرعني بالغيرة حين تعبر أمامنا فتاة جميلة، وحين نلتقي بامرأة جذابة، وحين يتبسط برقته المعتادة في الحديث مع سيدة نعرفها، وحين تطيل شقيقتي الحديث معه أو تبدي لي تقديرها له أو يبدي هو لي إعزازه لها أو حين يحدثني باهتمام عن أمر يتعلق بزميلة له في العمل، أو حين يتردد اسم امرأة معينة في حديثه في أكثر من مناسبة، أو حين يستشهد بأقوالها أو يشيد بمواقفها أو يبدي إعجابًا بأي شيء يتعلق بها.. وأنهار تمامًا إذا أبدي إعجابًا بامرأة.. وانهياري له درجات.. يكون بسيطًا إذا أعجب بامرأة غير معروفة على صفحة مجلة أو ممثلة قديمة، ويكون متوسطًا إذا كانت امرأة معروفة ومعاصرة، ويكون كاملاً إذا كانت امرأة نعرفها شخصيًا.. وأشعر بالضيق المشوب بالتعجب والغضب لأنه ليس من المفروض أن يشعر الرجل بجمال أي امرأة أخرى إذا كان يحب..

* وأشعر بالخجل من نفسي إذا شعرت بالغيرة من أمه أو شقيقاته.. ولكن بكل تأكيد أنا محقة في غيرتي من شقيقتي..

* مشاعر الغيرة متعبة جدًا.. إنها مزيج من القلق والخوف والتوتر والضيق والارتعاش الداخلي والتشنج العضلي، وأحيانًا

تضطرب معدتي وتفيض ألمًا أو يكسر رأسي الصداع وأشعر بسخونة تصعد من قدمي إلى أعلى وبضيق في الصدر واختناق في العنق ويضطرب صوتي وتختلج عضلات وجهي وأحسها مشدودة متقلصة.. ويجتاحني غضب غير محدد الاتجاه.

ولكن يبدو واضحًا حين أقارن نفسي بالأخريات وأخرج مهزومة، فأشعر بالنقص الحقيقي وأنني غير جديرة بالحب والاهتمام وأنه من الممكن أن يعجب بأخرى.. ولكن الحمد لله فإن هذه المشاعر المخيفة لا تدوم طويلاً لثقتي بمدى حبي له ولأنني على يقين من حبه العظيم لي ولعمق تجربتنا وخبرتنا الطويلة معًا.. فكلما هاجمتني المشاعر السلبية أهرع لأستند على رصيد هائل من إيجابيات علاقاتنا فيذهب عني الغضب وتروح عني الغمة وأستعيد ثقتي بنفسي فيعود لي ثباتي وهدوئي وأخرج مرة أخرى..

* وأحيانًا يفيض بي الكيل فأوجه له النقد على سلوكه.. كرامتي تمنعني أن أقول له مباشرة إنني أغار، ولكنني أعترض فقط على سلوكه.. وفي أحيان أخرى أفضل الصمت وبي غضب يجعلني أفترش فوقنا سحابة قاتمة تحجب الإشراق المعتاد في حياتنا.. وألحظ ألمه، ولكن هذا ما يستحقه لأنه لم يلحظ ألمي ولم يراع مشاعري وتناسى حساسيتي مع أنه المطلع الأوحد من البشر عليَّ من الداخل ويعرف دروب نفسي ومناطق ضعفي والأماكن التي توجعني.. ومن يحب إنسانًا يفعل كل ما يرضيه ويمتنع عن كل ما يغضبه ويؤلمه..

* وفي أحيان قليلة أفقد السيطرة تمامًا فأنفجر في ثورة غاضبة أوجه له الاتهامات التي أكون على يقين من صحتها وقت ثورتي

وأتراجع عنها كلها حين أهدأ.. لحظات صعبة أفقد فيها الرؤية تمامًا وأخرج عن الحدود اللائقة قولاً وفعلاً وأكون غير نفسي التي عهدتها وعهدها هو، وأندم بعد ذلك على كل ما فعلت وقلت.. ولكنه هو الذي دفعني لذلك وهو الذي يتحمل مسئولية ما حدث، فأنا لا أقبل إطلاقًا أن يبدي اهتمامًا بأي امرأة وأموت دون ذلك .. هل هو يجهل صعوبة هذا الموقف على امرأة تحب؟! أليست لديه حساسية بمشاعر المرأة وطبيعتها؟! أيتجاهل آلام الغيرة أم يفتقد الفهم الدقيق لهذه الانفعالات الحادة والدقيقة التي تعتمل بها نفس المرأة ألمًا وغضبًا؟! ألا يعرف ما الغيرة؟!

♥♥♥

* * هذه هي مشاعر امرأة تحب رجلاً ستتزوجه أو هو زوجها وحبيبها.. ومثلما ربطت الحب بالفضيلة فإنها ربطته أيضًا بالغيرة.. ولا حب بدون غيرة. والغيرة مبعثها الحقيقي شدة الحب وكل الاهتمام.. وغيرة هذا المرأة طبيعية فالمشاعر السلبية التي تداهمها مؤقتة وسرعان ما تزول، وهي تعترض بصمت في معظم الأحيان وتنتقد في قليل من الأحيان، ونادرًا ما تثور إذا فاض الكيل.. وهي واثقة من حبها، وواثقة من حبه وإخلاصه ولكنها ترفض اهتمامه أو إعجابه بأي امرأة أخرى وهذا من حقها ومن حق أي امرأة تحب إلى هذا الحد.. من حقها أن تدافع عن حبها وعن حبيبها وعن أمنها واستقرارها ومستقبلها..

* * والرجل أي الزوج والحبيب يجب أن يفهم طبيعة هذه المشاعر وهذا يتطلب حساسية خاصة لا يتمتع بها إلا المحبون.. إن

مشاعر المرأة دقيقة ومركبة وهي غير الرجل، تقلق أكثر وتضطرب أسرع. وتهتز ثقتها بنفسها أحيانًا، أي درجة أعلى من الحساسية متعلقة بمكانتها وذاتها الأنثوية ومدى تأثيرها على الرجل ودرجة إعجابه بها وأنانيتها التي تتطلب أن تحتل المكانة الأولى والأهم لدى من تحب وعند من يحبها ورفضها الكامل أن تثير لديه أي امرأة أخرى أي إعجاب أو اهتمام.. ثم إنها إذا أحبت الحب الحقيقي واختارت بإرادتها الحرة رجلها فإنه يصبح هو كل شيء في حياتها بل مصدر حياتها وترتبط به ارتباطًا شديدًا وتعطيه كل الاهتمام وتخلص له كل الإخلاص، قد لا يقلقها أن تكون درجة حبه أقل ولكن يضنيها أقل اهتمام منه لأي امرأة أخرى..

* * هذه هي المرأة السوية وهذه هي طريقتها في الحب وهذه هي غيرتها..

* * ولكن هناك غيرة غير طبيعية.. ليست مرضًا ولكنها تسبب آلامًا أكثر من آلام الغيرة المرضية.. إنها تطحن صاحبتها وتدمر حياتها.. وهي لا تصدر إلا عن امرأة سوية في شخصيتها.. امرأة لديها مشاكل في تكوينها النفسي ترقى إلى درجة العقد النفسية.. تفسد أحاسيسها وتلوث مشاعرها وتجعلها تتبنى مفاهيم خاطئة عن نفسها وعن الإنسان الذي تحبه وعن كل الناس، وهذا يؤدي إلى سلوك خاطئ ومواقف سيئة تزيد تعقيد حياتها والإضرار بعلاقاتها..

* * وحين نعود إلى طفولة هذه المرأة سنجد أنها كانت طفولة غير سوية ومرت بمراهقة غير مستوية ترسبت وشكلت هذه العقد وتركت هذه الآثار الدامية التي بلورت شخصيتها على هذا النحو غير

السوي والذي كانت أحد مظاهره تلك الغيرة غير الطبيعية..

* * إن المشكلة في شخصية هذه المرأة وليست المشكلة في الحب، وليست المشكلة في الرجل الذي تحبه ويحبها.. إنها المرأة المشكلة والغيرة المشكلة..

* * الغيرة الطبيعية هي ألم رقيق مستعذب أما الغيرة المشكلة فهي ألم يائس غليظ..

* * الغيرة الطبيعية هي موجة شقية تهز برفق قارب الحب، أما الغيرة المشكلة فهي دوامات عاتية تشد قارب الحب إلى قاع اليأس..

* * الغيرة الطبيعية هي قلق يبعث على اليقظة والانتباه والاهتمام، أما الغيرة المشكلة فهي المرض القاتل الذي يعصف بالوعي ويذهب بالعقل..

* * الغيرة الطبيعية هي همسات غاضبة عاتية، أما الغيرة المشكلة فهي صرخات مفزعة جارحة..

* * الغيرة الطبيعية كأشواك الورود تدغدغ الأنامل وتدعو الحذر، أما الغيرة المشكلة فهي أشواك سامة بلا ورود..

** الغيرة الطبيعية هي أشعة الشمس الدافئة التي تبعث الحياة في صباح شتاء بارد، أما الغيرة المشكلة فهي الشمس الحارقة في منتصف صيف قائظ..

* * الغيرة الطبيعية هي الدفء الذي ينبعث من قلب إلى قلب ليشمل روحين امتزجا، أما الغيرة المشكلة فهي لهيب يحرق..

* * إن الرغبة القهرية في الامتلاك والسيطرة تنقل الغيرة

الطبيعية إلى الغيرة المشكلة.. فالغيرة الطبيعية شعور صحي بناء يدفع إلى الانتباه والاهتمام من أجل الحفاظ على الحبيب والحب والعمل على تحقيق أهداف من أجل المستقبل ربما كنت تتجاهلها، أما في الغيرة المشكلة فأنت تنكر على الطرف الآخر حريته ونضجه وتطوره.. تحتكره لنفسك تمامًا ولا تشعر بالأمان إلا إذا شعرت بسيطرتك الكاملة عليه.. الغيرة المشكلة هي الديكتاتورية المطلقة.. ورغم الحب فهي تنطوي على قسوة وتدمير للحبيب إذا خرج عن نطاق سيطرتك.. إنه الحب المدمر..

* * أما الشك فهو شعور آخر مختلف.. إنه يتولد حين تكون هناك علامات ومظاهر تدل على أن شيئًا ما قد حدث أو قد تغير في الاتجاه السيئ.. وهو شعور يدعو إلى الاهتمام والبحث عن الحقيقة للوصول إلى قرار.. والشك قد ينبني على واقع فعلي حقيقي، وقد يكون مرضًا حين تكون العلامات والمظاهر المثيرة للشك ما هي إلا ضلالات صادرة من عقل مريض.. والشك هو الأساس في الغيرة المرضية التي سنتحدث عنها فيما بعد وهي مختلفة تمامًا عن الغيرة المشكلة.

الغيرة المرضية معناها أن الخيانة قد وقعت أو أنها في طريقها للوقوع، أما في الغيرة المشكلة فلا يوجد أدنى شك في الخيانة ولكنها تنطوي على الخوف والقلق الشديدين خشية وقوع الخيانة..

* * إذن نحن أمام ثلاث مشكلات تحتاج كل منها إلى عناية خاصة: الغيرة الطبيعية (سبق وصفها)، والغيرة المشكلة، والغيرة المرضية..

♥♥♥

## ملامح شخصية المرأة الغيورة المحبة للامتلاك:

### الشعور بالنقص:

هناك في أعماقها في منطقة نائية مظلمة مجهولة توجد حفرة أو أخدود غائر نشأ عن جرح قديم مجهول السبب، وأي إثارة لهذه المنطقة في الوقت الحاضر تشدها إلى أسفل، تثير لديها مشاعر سلبية سيئة بالدونية وعدم الجدوى وعدم القيمة وأنها لا شيء وأنها لا تستحق الحب وغير جديرة بالاهتمام، وتظل هذه البؤرة تنضج ألمًا وعذابًا ولومًا للذات..

هذه المرأة تهاجم نفسها لأنها تحصل على حبه الكافي ولم تحصل على اهتمامه الكامل.. وتهاجم نفسها مرة ثانية لأنها ترى أنها لا تستحق الحب وليست بالتالي جديرة بأي اهتمام..

* * وهذه هي مشاعرها من قبل أن تلتقي بمن أحبت.. هذا هو موقفها من الحياة ومن الناس.. تقييمها لذاتها يعتمد على مدى حب وقبول الناس لها.. فهي سيئة إذا رفضها الناس، وهي في القمة إذا أقبلوا عليها.. أكثر ما يفزعها هو أن يتركها الناس أو يهجروها أو ينبذوها..

إنها تظل تحمل معها مشاعر الطفل طوال حياتها.. ولعل جذور مشكلتها تعود إلى طفولتها حين تعرضت للإهمال والنبذ والإنكار والقسوة، حين افتقدت الحب غير المشروط الذي تقدمه كل أم وكل أب، وكان عليها أن تبذل جهدًا، وأن تقدم شيئًا لتحصل على هذا الحب وهذا الاهتمام، بينما كان بقية الأطفال يحصلون عليه وبإغداق

بدون مقابل.. وأصبح لديها حساسية لنبرات الصوت وتعبيرات الوجه الدالة على الرفض أو عدم الاهتمام.. حساسية ترقى إلى الشك في أنها لا تحظى بالحب والاهتمام ولهذا فهي تحتاج دائمًا إلى من يؤكد حبه ويدعم اهتمامه.. تحتاج إلى جرعات زائدة ومركزة.. ومن يحبها يجب أن يظل بجوارها كل الوقت ويجب أن يقدم الدليل في كل وقت على حبه واهتمامه، ويجب أن يخضع لسيطرتها الكاملة ويتحول إلى ملكية مطلقة لها فهذا هو دليل الحب ويجب ألا يعطي أدنى قدر من الاهتمام لأي إنسان أو حيوان أو نبات أو حتى جماد..

### حب السيطرة:

أساس الغيرة المشكلة الشعور بالنقص.. إنها حجر الزاوية والقاعدة التي تنبني عليها مشاعر الغيرة وتتصاعد وتتضخم وتملأ العقل وتهز النفس وتفسد الرؤية وتؤذي الأعصاب وترهق الجسد وتشل التفكير. ونقطة الارتكاز الثانية والتي توسع من الرقعة التي تستند إليها ثم تبنى عليها الغيرة هي حب السيطرة.. المرأة الغيورة لا تصمت أبدًا بل تصرخ بصوت مرتفع ولا تتورع عن الحديث بلا خجل وبلا حياء في أكثر المواضيع حساسية، وإذا شعرت بإهمال زوجها أو حبيبها أثناء الحوار فإنها تندفع في ثورة حادة عارمة تحطم كل شيء حولها بل قد تحطم رأسها.. وهي غير ديمقراطية، لا تعطي الفرصة لأي نقاش أو حوار وتتصور أن رأيها هو الأصوب وتحليلها هو الأصح وأي محاولة لإقناعها بالعكس تفشل..

* * وهذه هي صفة من صفتها بشكل عام في تعاملاتها مع الناس.. تتعامل مع الآخرين وكأنهم عبيد، عليهم قبول آرائها بلا

نقاش، وإنهم ملكية خاصة لها، لا حرية لهم في القول أو الفعل، يأتمرون بأوامرها..

* * الإنسانة الغيورة غير عادلة وغير منصفة ولا تقدر مشاعر الآخرين..

* * وهي إما تعرضت لحرمان زائد في طفولتها أو كان هناك تلبية زائدة لطلباتها واحتياجاتها.. النتيجة واحدة في الحالتين وهو الشعور الدائم بالتهديد والخوف من الفقد، ويتولد عن ذلك حب التملك وحب السيطرة لتحقيق الإحساس بالأمان.. وعقلها الباطن يغذي دائمًا لديها هذا المعنى: إذا امتلكتك فأنا أستطيع السيطرة عليك.. وإذا سيطرت عليك فإنك لن تستطيع أن تعطي حبك واهتمامك لأحد غيري..

### الأنانية:

هذه صفة أساسية في كل امرأة غيورة.. إن درجة الأنانية موجودة عند كل امرأة وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بحياتها العاطفية.. وقدر معقول من الأنانية يصبح مقبولاً ومحتملاً لأنه يعني الحرص والذود عن الحياة الخاصة وحمايتها من تدخل الآخرين.. وهذا القدر المعقول من أنانية المرأة يمكن أن نسميه الاهتمام بالذات.. وهناك فرق بين أن يكون الإنسان أنانيًا وأن يكون مهتمًا بنفسه.

الأناني هو الذي يريد كل شيء لنفسه بطريقته متجاهلاً رغبات واحتياجات الآخرين.. لا يهمه تعارض ما يريد مع رغبات واحتياجات الآخرين.. يريد أن يحتل الطريق وحده ولا يفسح مجالاً لآخر.. يريد أن يمشي في عكس الاتجاه ولا يحق لأحد أن يعترض..

وتلك هي عقلية الطفل الذي لم يتعلم المشاركة ولم يتعلم أن يدفع مقابل أي خدمة يحصل عليها، ولم يتعلم أن يضع اهتمامات وآراء ورغبات الآخرين في المقدمة بعض الوقت.

وكذلك المرأة الغيورة تتجاهل رغبات وآراء واهتمامات واحتياجات الإنسان الذي تحبه.. وبالقدر الذي يريحها وبالشكل الذي يرضيها.. غيرة هذه المرأة تمتد إلى عمل الرجل ومصالحه، وهواياته. تمتد إلى أمه وأخواته.. إنها تريد أن تستحوذ عليه بالكامل ولا يبقى منه أي شيء لأي شخص.. فإذا اعترض واتهمها بأنها تبالغ في طلباتها فإنها تنفجر غاضبة وتتهمه بالإهمال وبأنه لا يقيم وزنًا لمشاعرها واحتياجاتها..

* * وفي الحالات المبالغ فيها تغار المرأة من أن ينشغل تفكير زوجها أو حبيبها بأي موضوع أو قضية لا تكون هي محورها.. هذه المرأة الغيورة الأنانية تريد أن تكون هي كل شيء وفي كل وقت وقبل أي شيء..

### الخوف:

الإنسانة الغيورة يسيطر عليها الخوف بشكل عام.. إنه مثل خوف الأطفال.. تخاف من أشياء بسيطة لا يخاف منها أي إنسان.. تخاف من أكثر الأشياء براءة.. أقل الأحداث وأبسطها تؤثر عليها وتثير في نفسها الفزع.. تشعر بالتهديد من أقل شيء.. الأشياء غير المقصودة والطبيعية تثير غيرتها.. تخاف من كل إنسانة: أمها، شقيقها، ابنتها، السكرتيرة، الشغالة، سيدة عمرها سبعون عامًا، طفلة عمرها عشر سنوات.. إن أفكارها تحملها مخاوفها إلى ما بعد حدود المعقول

والمنطقي.. تخاف من أي اهتمام له، تخاف من شهرته، تخاف من ثرائه، تخاف من نجاحه.. كل شيء يحمل تهديدًا لها.. لا شيء يعطيها الأمان.. لا شيء يجلب السلام إلى عقلها وقلبها..

* * والخوف إحساس مؤلم ومعذب، وهو الذي يجعلها تفقد السيطرة وتندفع بتسرع غير مبني على أي حقائق لتتهمه بأشياء غير حقيقية تكون أحيانًا مثيرة للضحك لعدم معقوليتها.. وحين تهدأ وتندم لا تجد مبررًا لسلوكها غير أنها تحبه حبًّا جنونيًّا يغذي مخاوفها.. ولكن الحقيقة أن مخاوفها نابعة من داخلها.. فهي قد تعرضت للتهديد المستمر.. تعرضت لمن كان يجيء دائمًا ليخطف منها أحباءها.

جاءت شقيقتها لتخطف منها حب أمها.. وجاء شقيقها لينتزع منها اهتمام أبيها.. أو جاءت امرأة أخرى فحرمت أمها وحرمتها هي كذلك من أبيها.. وجاءت تلميذة واختطفت إعجاب مدرستها.. باستمرار كان هناك من يهبط عليها ويخطف منها حب أو اهتمام أو إعجاب أو تقدير إنسان مهم في حياتها.. والخوف حين يتحول إلى عقدة مرضية فإنه يجعل الإنسان يخاف من أشياء غير معقولة بعيدة عن التصور المنطقي.. وهذه هي مخاوف الإنسانة الغيورة.. مخاوف غير معقولة..

### الشعور بالاضطهاد:

* * وهو شعور سيئ يدفع بالحزن إلى نفسها.. يجعلها في حالة دائمة من الضيق والسخط وتتساءل لماذا يهاجمني الناس؟ لماذا يتربصون بي؟ لماذا يريدون أن يحطموا سعادتي ويدموا حبي ويختطفوا حبيبي؟ تشعر بالإشفاق تجاه نفسها وقد تتخذ مواقف عدوانية تجاه الآخرين..

* * والإنسانة الغيورة تحمل بعض ملامح الشخصية الاضطهادية «البارانويد» والتي لديها حساسية زائدة فتجسم الأمور وتبالغ فيها وتُحمِّل الأشياء والكلمات والمواقف معاني بعيدة عن الحقيقة وتتصور خاطئة أن مشاعر الناس تجاهها عدوانية وتتوقع منهم الإيذاء والضرر.. لا تثق بأحد بل تسيء الظن حتى في أقرب الصديقات أو أقرب الأقربين.. وتتسم علاقتها بزوجها أو حبيبها بعدم الثقة.. فأي كلمة أو إشارة أو سلوك يصدر عنه لا يحمل إلا معنى واحدًا وهو أنه لم يعد يحبها كما كان يفعل، وأنه لا يعطيها أي اهتمام ولا يقدر مشاعرها، أو أنه مهتم بأخرى.. وهي تشك في امرأة تتواجد مع زوجها في أي مكان ولأي أسباب..

أي امرأة لا بد أن تحاول أن تؤثر على زوجها وتختطفه منها، وإن زوجها سوف يستجيب.. وتظن أنها دائمًا محاطة بالمؤامرات والترتيبات الخادعة.. وقد تشك في امرأة معينة وتظن أن بينها وبين زوجها اهتمامًا متبادلاً.. وهو غير الشك المرضي الذي ينطوي على يقين، ولكن هو نوع من الوساوس أي الأفكار التي تهاجمها ولا تستطيع أن تطردها من ذهنها.. ويسيطر عليها وسواس آخر وهو الشك في قدرتها على منافسة أي امرأة تبدي اهتمامًا بزوجها.

وثمة وسواس ثالث وهو أنها قد تفقده في وقت من الأوقات.. هذه الوساوس الثلاثية تغذي باستمرار مشاعر الاضطهاد عندها وتزيد من قلقها وآلامها وتصبح كالطفلة التي تخاف من الأشباح والعفاريت، أو كالإنسان الذي ارتكب جريمة ويسيطر عليه إحساس بأن البوليس يتتبعه في كل مكان..

## هزيمة الذات:

الإنسانة الغيورة لا بصيرة لها.. فبالرغم من أنها تكون في الغالب لامعة الذهن وذكية، رائعة وقادرة وناجحة في أشياء كثيرة في حياتها، فإنها حين يتطرق الأمر إلى الإنسان الذي تحبه تبدو وكأنها متخلفة عقليًّا.. كل سلوكها يتميز بإيذاء نفسها وهزيمتها.. تصبح عدوة نفسها.. قد ترتكب حماقات من أجل أن تجرحه وتضايقه، وهي تعلم تمامًا أنها ستفقده بهذا الأسلوب ولكنها تندفع وتتمادى ولا تستطيع أن تمنع نفسها.. وهذا السلوك جذوره تعود إلى عهد بعيد في طفولتها..

لقد تعلمت أن تكره نفسها حين تعرضت للنبذ والهجر والترك والحرمان.. عقلها الباطن صور لها المعادلة على النحو التالي: لقد ابتعدوا عني لأنهم لا يحبونني.. إذن أنا لا أستحق الحب.. بل أستحق الكراهية.. إذن هم يكرهونني. إذن لا بد أن أكره نفسي لأنها غير جديرة بالحب.. إذن لابد أن أعاقب نفسي وأؤذيها..

* * ومظاهر كراهية النفس والرغبة الاندفاعية في إيذائها قد تبدأ في الطفولة حين يسرف الطفل في الطعام ليزداد وزنه، أو حين يمتنع عن الطعام حتى ينحف إلى حد خطير.. أو تؤذي الفتاة الجميلة الصغيرة نفسها بتشويه وجهها أو بنزع شعرها.. إنه سلوك لا إرادي قهري لتوجيه العدوان نحو الذات بدلا من توجيهه نحو الآخرين..

والمرأة قد تفعل نفس الشيء فتسرف في الطعام أو تنزع شعر رأسها أو تدمي وجهها بأظافرها.. أو قد تحطم كل علاقات الحب التي تربطها بالآخرين فتسيء لأصدقائها أو أقاربها حتى يبتعدوا عنها وكأنها تريد أن تكون هي السبب في إبعادهم قبل أن يتركوها هم..

* * الإنسانة الغيورة انهزامية تعادي نفسها ولا تستطيع أن تتوقف عن إيذاء زوجها أو حبيبها حتى تفقده تمامًا.. إنه نوع من الانتحار العاطفي..

### عدم تحمل المسئولية:

إنها إحدى الصفات البارزة في شخصية الإنسانة الغيورة.. إنها ترفض تحمل مسئولية غيرتها، بل تلقي اللوم على زوجها أو حبيبها وعلى الآخرين الذين ساهموا في تعاستها.. فهي تعتقد أنه السبب في الاضطراب النفسي الذي تعاني منه، وهي ترفض بعناد أن تتراجع عن موقفها وأن تراجع نفسها وأن تسترد بصيرتها لتكتشف أنها غير محقة في غيرتها وأن عليها تحمل مسئولية معاناتها ومعاناته.. إنها المسئولة عن المأزق الحرج الذي وصلا إليه وإن عليها أن تفعل شيئًا.. ولكنها تتنصل دائمًا من المسئولية وتلقيها كلها على عاتقه، وبالتالي فعليه هو أن يتحرك وأن يفعل شيئًا.. وقبل ذلك عليه أن يعترف بأخطائه.. حينئذٍ فقط ستشعر بالراحة والأمان والطمأنينة..

♥♥♥

هذه كانت ملامح شخصية المرأة الغيورة.. الغيرة المشكلة غير الطبيعية.. وهي تختلف عن الغيرة الطبيعية التي تستشعرها أي امرأة تحب حبًا حقيقيًا.. إذن الذي يحدد الموقف أمران: طبيعة الشخصية، ونوعية الحبُّ.. إما حبٌّ حقيقي وإما حبٌّ تملك.. والحبُّ الحقيقي تصاحبه الغيرة الطبيعية، أما حبُّ التملك فتصاحبه الغيرة المشكلة غير الطبيعية.

وقبل أن نستطرد في علاقة الحب بالغيرة نود أن نتعرف على

الأفكار غير المنطقية التي تسيطر على عقل الإنسانة الغيورة وتتحكم في سلوكها.. إن ثمة مفاهيم خاطئة تشكل تصورها عن نفسها في إطار علاقتها بالناس وعلاقتها بحبيبها:

- **المفهوم الأول:** أنا سيئة إذا لم يحبني أحد.. أنا لا شيء بدون حب أحد.. أنا لا أستحق شيئًا إذا لم يحبني أحد.
- **المفهوم الثاني:** أنا أمتلكك يا حبيبي ولذا يجب أن تفعل ما آمرك به..
- **المفهوم الثالث:** أنا لابد أن أحصل على كل شيء أريده..
- **المفهوم الرابع:** أنا أرفض أن أفشل في تحقيق أهدافي.. فشلي معناه أنني غير جديرة بشيء.
- **المفهوم الخامس:** إنني أرفض منك أي خطأ يا حبيبي.. أرفض الضعف البشري.. أريدك في الصورة المثالية التي أتصورك عليها..

* * هذه هي المفاهيم الخمسة الخاطئة التي تشكل فلسفة هذه المرأة في الحب وتصورها عن ذاتها وعن حبيبها وعن علاقتهما.. وهي مفاهيم منسجمة مع سمات شخصيتها.. فالشخصية هي طريقة التفكير وأسلوب الحياة والعادات والتقاليد والفلسفة الخاصة التي تشكل المفاهيم وتحدد السلوك..

* * هذه الإنسانة إذا أحبت فإن حبها يكون قائما على التملك.. وهي تغار بشكل غير طبيعي.. غيرة مدمرة لذاتها ولحبيبها ولحبها.. وهي إذا فشلت فإنها ترفض نفسها كإنسانة.. تلوم ذاتها وهذا يقودها

إلى ثلاثة أشياء: الشعور بالذنب، والشعور بالنقص، والشعور بالاكتئاب.. وإذا خيب الآخرون توقعاتها وظنها فإنها لا ترفض سلوكهم فقط ولكنها ترفضهم كبشر.. وهذا يقودها إلى ثلاثة أشياء أخرى: الغضب، والعداء، والكراهية.. وهي في حالة لوم دائم للآخرين بصفة عامة، ولوم دائم لحبيبها بصفة خاصة ولذا فإنها دائمًا ساخطة غاضبة متحفزة.. وهو غضب يقودها في النهاية إلى الشعور بالعداء والرغبة في الانتقام.. هذا الغضب يمر بالمراحل الست التالية:

١ - أنا أريد أن أحصل عليك بالكامل.. أريدك كلك.. أريد كل ذرة من اهتمامك.. لا أريد أن يشاركني أحد آخر فيك.

٢ - أنا أشعر بالإحباط لأنني لم أستطع الحصول على كل ذلك.

٣ - إنه لشيء فظيع ألا أحصل على ما أريد.. أنا أكره الدخول في منافسة ولذا لا أريد أن يكون أحد حولك.. لا أريدك في دائرة الضوء.. أكره الرجل الذي تلتف من حوله النساء.. أنا لا شيء إذا لم أكن أهم شيء في حياتك..

٤ - ليس من حقك أن تحبطني.. أنا لا يهمني ما تريد أنت ولكن يهمني أن أحصل على ما أريد أنا. رغباتي هي الأهم.. قد أكون ديكتاتورة.. قد أكون طفلة أخلط بين ما أريد وما أحتاج.. ولكن هكذا أنا.. لقد أحببتك ولذا تصبح أنت مملوكًا لي وليس من حقك أن تحبطني..

٥ - أنت سيئ لأنك أحبطتني.. أنني أرفض سلوكك وأفعالك.. بل أرفضك أنت لأنني أرفض أن تخطئ مثل أي إنسان.

٦- الإنسان السيئ لابد أن يعاقب.. لذا لابد أن أعاقبك يا حبيبي وسوف تتحسن إذا عاملتك بسوء.

* * ولذلك فهناك حالة دائمة.. باردة أحيانًا وساخنة في معظم الأحيان.. ضحيتها ثلاثة: هي وهو والحب..

♥♥♥

## أهمية الغيرة:

قبل أن أتحدث عن علاج الغيرة المشكلة أريد أن أضع أمامك تحذيرًا: إذا زادت لديك مشاعر الغيرة فهذا ليس معناه أنك مريضة أو أن غيرتك أصبحت مشكلة.. قد تسيطر عليك بعض الوقت ولأسباب معينة مشاعر الغيرة ولكن بشكل زائد جدًّا، ولكن كما قلت هذا ليس معناه أنك أصبحت مريضة أو أن هذه المشاعر سوف تؤثر سلبيًّا على حياتك:

* إن إحباطات الحياة اليومية والتي تجعلنا مضغوطين قد ترهقنا إلى الحد الذي نفقد فيه السيطرة على انفعالاتنا.. قد تجعلنا نغار بشكل زائد لأننا في هذه الأوقات نحتاج إلى اهتمام أكثر من الإنسان الذي نحبه. نريد كل اهتمامه وكل تركيزه وكل حنانه وكل وقته. نريده ملتصقًا بنا. نريد أن نحتمي به. نريد أن يدفئنا. في أوقات الأزمات نحتاج أكثر إلى الإنسان الذي نحبه ويحبنا. الإنسان الذي يحتل رقم (١) في حياتنا.

* وأيضًا إذا كان حبك كثيرًا وعظيمًا ضخمًا شاسعًا. وأيضًا إذا كان عمر حبك مديدًا عشرة أو خمس عشرة أو ثمانية عشرة أو عشرين عاما فإن اهتمامك بحبيبك قطعًا سيكون مبالغًا فيه. سوف تكون

غيرتك زائدة بعض الشيء وفي بعض الأوقات لأنه أهم إنسان في حياتك. لأنه ملك عواطفك وملك أفكارك. إنه الأول بالنسبة لك وأنت الأولى بالنسبة له. إذا كان اهتمامك أقل أو معدومًا فلن تشعري بالغيرة. إن الإنسان الذي لا يعنيك لن تهتمي به ولن تشعري بأي خصوصية تجاهه ولن تغاري عليه غيرة زائدة.. الغيرة والاهتمام شيء واحد.. وعدم الغيرة واللامبالاة شيء واحد..

* إذا صاحبت غيرتك الزائدة مشاعر الحزن والضيق والإحباط فهذا معناه أن هناك خللاً بسيطًا في علاقتك بزوجك أو حبيبك يحتاج إلى عنايتك. غيرتك هذه المرة المصحوبة بالألم سوف تدفعك إلى الحركة.. إلى الاهتمام.. أين المشكلة؟ لماذا أنا قلقة؟ لماذا أغار بشكل زائد هذه الأيام؟ ستحاولين أن تفعلي شيئًا من أجل حبيبك ومن أجل حبك. ستتكلمين معه وذلك في حد ذاته قد يزيل سوء فهم معين لديك. ستطلبين منه توضيحًا لأمور معينة. وسيستجيب لذلك لأنه يحبك بصدق وبذلك تعود الطمأنينة إلى نفسك وتقر روحك العاشقة..

♥♥♥

* * المهم ألا تفقدي السيطرة.. لأن فقد السيطرة معناه أن القلق يتحول إلى عنف فتحطمين نفسك وتحطمين حبيبك وتحطمين أهم علاقة في حياتك.

♥♥♥

* * والآن فلنحاول أن نقترب من علاج الغيرة المشكلة. أنا أعرف أنك تتألمين وتتعذبين. وسر ألمك وعذابك أنك تحبين هذا

الرجل حبًّا شديدًا. ولكنك عنيدة ومستبدة وأنانية وغير منطقية.. إن الشيء الوحيد الذي في صالحك والذي يجعلني أتعاطف معك وهو قدر الحب الهائل الذي يملأ كل خلايا جسدك وكل ثنايا روحك لهذا الرجل. مشكلتك يا عزيزتي في البداية تكمن في الآتي:

- أنك تصرين أن يعترف حبيبك أو زوجك الحبيب بأنه قد أساء إليك.. أغضبك.. أزعجك.. وأنه سبب متاعبك وأحزانك وإحباطاتك.. وأنه سبب المعاناة النفسية التي تمران بها معًا.. وبأنه سبب الأزمة الخطيرة التي تمر بكما.
- أنك تصرين على وجوب أن يفعل شيئًا لعلاج الموقف.. أي أن يتحمل المسئولية كاملة لإنهاء غيرتك.
- أنك لا تريدين أن تهدئي أبدًا. بل تظل ثورتك وغضبك وعنفك مشتعلاً مستمرًّا حتى يبذل هو كل الجهد وحده من أجل أن تعود إليك راحة البال وتشعرين بالأمان والطمأنينة.

* * ولكن يا عزيزتي العاشقة الغيورة بجنون.. يغيب عنك ما يلي:

- إنه لا أحد دفعك إلى الغيرة. إن غيرتك نابعة من طريقة تفكيرك، إنك المسئولة عن غيرتك، إنها الطريقة التي تفكرين بها في حبيبك، طريقتك في تقييم سلوكه. بل أنت لا تقيِّمين سلوكه بل تقيمينه هو نفسه..

- لماذا لا تفعلين أنت شيئًا مع غيرتك الزائدة الحمقاء أحيانًا

بدلا من أن تلقي بالمسئولية كلها على حبيبك؟ إذا كانت هذه المشاعر تجعلك حزينة فلماذا لا تفعلين شيئًا من أجل التخلص منها؟ لماذا لا تكونين إيجابية في نزعها من داخلك واحتوائها لتكون في الحجم الطبيعي.

افعلي شيئًا من أجل أن تظل روعة حبك له وروعة حبه لك وأن تظلا معًا. أطمئنك لن يموت الحب بالغيرة ولكن سوف تختلط معه شوائب تفسد عليكما الحياة وقد تتسبب في انفصالكما رغم حبكما. الشيء الوحيد الذي يقتل الحب هو الخيانة. وهذا الرجل لم يخنك ولن يخونك ما دام أنه يحبك. وأنت تعرفين ذلك تمامًا من قبل أن تقرئيه في هذا الكتاب وهو أن الذي يحب حبًا حقيقيًا لا يخون. فقط أنت خائفة بشكل زائد ومرضي.

للأسف أنت تصرين على أشياء غير منطقية وتغالين فيها، تصرين على ألا يبتسم لأي امرأة. ألا يتأخر دقائق عن موعد عودته. أن تعرفي كل مكان يذهب إليه وكل إنسان تحدث معه. بل قد تصرين ألا يتبادل الحديث مع أي امرأة. باختصار: تصرين أن يتحرك وفق أوامرك. وهذا أمر غير معقول وغير ممكن.

- كيف تتوقعين أن يقوم حبيبك بعمل شيء من أجل الأزمة التي تمران بها بينما أنت نفسك لا تريدين أن تفعلي شيئًا؟! إذا أنت لم تحاولي أن تحكي مشكلتك فكيف تطلبين من الآخرين أن يحلوها لك؟!

* * ومع استمرار الأزمة وتعقيدها تصلين للأسف في النهاية إلى مرحلة الخطر الحقيقي وهي عدم الثقة. تعتقدين أن أي إنسانة

جميلة أو جذابة سوف تسرقه منك. وأن أي حوار مع أي امرأة يعني اهتمامه بها. وأي ابتسامة لها معنى. وأي تأخير عن البيت معناه امرأة أخرى. ولكن كما أوضحت لك في الصفحات السابقة إن عدم الثقة له شقان: عدم الثقة في نفسك أولاً هو الذي قادك إلى عدم الثقة في حبيبك وحين تصلين إلى هذه المرحلة فأنت في قمة تعاستك الآن.

* * قد تكون هناك امرأة تحاول أن تخطف زوجك أو تغري حبيبك. قد تكون هناك امرأة ترى أنها أكثر منك جدارة وأنها تستحق رجلك. ولكن هذا ليس معناه أن الرجل الذي تحبينه سيخضع لأي إغراء. ولذا فإن ما يدور بعقلك هو محض خيالك وخاصة فيما يتعلق باستجابة حبيبك لأي إغراء يتعرض له.

* * مشكلتك في هذه المرحلة لا تكون في محاولات النساء لإغراء حبيبك ولكن في اقتناعك أن حبيبك قد يستجيب لهن. وهنا تفقدين القدرة على التفكير المنطقي والرؤية الصائبة. إن عدم ثقتك بالرجل الذي تحبينه ليس لها أساس من الصحة. إن الأساس في علاقة الحب هو الإخلاص والالتزام بين اثنين. إننا نعيش في عالم من العلاقات الناجحة المستقرة. وهي ناجحة بسبب الالتزام المتبادل والثقة والإخلاص.

الحب هو الإخلاص. وهذا هو الأساس والقاعدة وليس الاستثناء. إن الاستثناء النادر هو الخيانة. عدد الرجال الخائنين قليل جدًا وكذلك عدد النساء الخائنات قليل جدًا. الخائن منحرف. والمنحرف لا يحب. إن كل إنسان طبيعي تهفو نفسه وتتوق إلى علاقة دائمة مستقرة. الإنسان السوي لا يخدع شريكه الذي أحبه وعاش

معه سنين عمره ببساطة وبسرور وراحة.

الخيانة صعبة وتتطلب شخصية معينة واستعدادات معينة ولا بد من ظروف محددة تدفع لها. ولهذا فأنا أقول لك بوضوح أنت مندفعة وراء أوهام بسبب حالة عدم الثقة التي تعيشين فيها في المرحلة الحالية. وإذا نظرنا إلى الأعماق سنجد أن عدم ثقتك نابع من شعورك بأنك غير جديرة بالحب.. إن أحدًا لا يستطيع أن يحبك.. إنك غير محبوبة، إنك لست أهلا للحب.. إنه ليس بك من الصفات التي تجعل أحدًا يحبك أو يستمر في حبك.. وأنك غير مثيرة للاهتمام والإعجاب.. وهذه هي مشكلتك.

واسمحي لي أن أقول لك إنه رغم حبك الرائع فإن نظرتك سطحية بعض الشيء للعلاقات الإنسانية. أنت تتصورين أن علاقات الحب تقوم في بعض منها على الجمال الشكلي. ولذا فأنت تقلقين لتواضع جمالك أو تقدم سنك أو تقلقين حين تعترض عيني زوجك امرأةٌ جميلة. أنت مخطئة خطأ كبيرًا يا سيدتي.. إن زوجك أو حبيبك يراك أجمل امرأة في العالم. صدقيني هذه هي الحقيقة.. أنت أجمل الجميلات في عينيه. وملكة جمال العالم تبدو قبيحة في عينيه. هذا هو الحب يا سيدتي. لأنه يراك من الداخل. يرى جمالك الحقيقي. يرى روعتك التي صنعتها الأيام والليالي والسنين.

كمٌّ هائل من الذكريات شكل نسيج حياتكما فالتحم بك والتحمت به فأصبح يرى نفسه فيك وترين نفسك فيه. وهو لا يراك أنت فقط جميلة ولكن كل شيء مرتبط بك يراه جميلاً. كل شيء يكتسب معنى من خلالك وبك. وهو إذ يحبك هذا الحب لا يتصور

الحياة بدونك.. لأن الحياة حينئذ ستخلو من كل معنى وستصبح قبيحة. أرجو يا سيدتي أن تعرفي هذه الحقائق لأنها ستعيد لك الثقة بنفسك والثقة بحبيبك. وهنا ستهدأ انفعالات الغيرة الحادة. ستستعيدين توازنك. ستنظرين إلى الأمور النظرة الصحيحة. ستعود لك قدرتك على التفكير المنطقي.

♥♥♥

## ماذا تفعلين في الأزمات الحادة؟

مشكلتك أنك لا تستطيعين كتم مشاعر الغيرة حتى في وجود آخرين.. تندفعين بالصراخ والتفوه بالكلمات الجارحة وذلك قمة فقدان السيطرة.. تفسدين أي شيء حفلة.. مناسبة مهمة.. إجازة.. لحظات سعادة للجميع وخاصة للأطفال.. فتسيئين إليه ولنفسك ولأطفالك وتفسدين كل شيء جميل.

- لماذا هذا الاندفاع؟

- لأنك غاضبة.. ولأنك تعتقدين أن زوجك أو حبيبك إنسان سيئ يستحق العقاب.. إنها الرغبة في الانتقام.. الانتقام لمشاعر الإحباط والتهديد والرفض.. إنك تريدين الأمور بطريقتك أنت، فإذا لم تسر الأمور بالصورة التي ترين أنها صحيحة وسليمة فإنك تنفجرين غضبًا.. إنه مثل غضب الطفل حين يفشل في الحصول على ما يريد.. إن أهم نصيحة أوجهها لك أن تصمتي.. لابد أن تدربي نفسك على ذلك لأن عواقب الثورة خطيرة وفوائد الصمت في مثل هذه الحالات عظيمة.

هذه أغلى نصيحة ذات تأثير سريع ولحظي وفوري. اكتمي بقدر

الإمكان تلك المشاعر الحارقة وخبئي آلامك الحادة واكظمي غيظك. إن هذا أمر ممكن ولكن يحتاج إلى تدريب. يجب أن تكتسبي مهارة معالجة الأزمات الحادة وضبط النفس. إنه من الأمور الشائعة عن المرأة بشكل عام أنها لا تستطيع ذلك بسهولة. ومعروف عنك أنت بشكل خاص أيتها المرأة الغيورة بشدة أنك تعجزين تمامًا عن ضبط اندفاعاتك. ولكني أؤكد لك من واقع خبرتي أن هذا ممكن.

ولعلك في مناسبات سابقة ومتعددة عرفت أن التعبير الحاد الصارخ المندفع يزيد الأمور تعقيدًا ولا يحل المشكلة.. وتكرار مثل هذه الاندفاعات الحادة لأي سبب ولأتفه سبب يجعل زوجك أو حبيبك يكتسب مناعة ضدها وتصبح ضعيفة التأثير ولا تأتي بالأثر الذي تتوقعينه وهو ردعه عن سلوكه الذي لا يعجبك. ولا تتوقعي أنه سيتقبل ثوراتك بهدوء.. سيرد بثورات مضادة وبذلك يضيع الموضوع الأساسي وسط الصراخ. الموضوع الأساسي هو غيرتك سواء إذا كنت محقة فيها أو غير محقة والتي لابد أن نجد لها علاجًا.

♥♥♥

**ونعود لنفس السؤال:**

**هل من الممكن أن تتغيري..؟**

وكما قلت لك إن هذا ممكن. ليس هذا هو رأيي الشخصي النابع من خبرتي المهنية، ولكن هكذا تؤكد كل الدراسات النفسية.. من الممكن أن يغير الإنسان بعض عاداته مثل الغضب، الميل للكآبة، القلق الزائد، والغيرة الزائدة كذلك. والقاعدة الأساسية في علم النفس تقول: إن الشيء الذي يمكن أن نتعلمه يمكن أيضًا أن ننساه.

إذا تعلمت شيئًا سيئًا خاطئًا فمعنى هذا أن لك القدرة على التعلم ولكن كان لديك مدرس سيئ. لقد تعلمت هذه الأشياء الخاطئة وأنت صغيرة في الوقت الذي لم تكوني تستطيعين فيه الحكم على مدرسك. والآن قد كبرت ونضجت وتستطيعين أن تتأملي نفسك. أن ترى بعض عيوبك. وذلك لأن بعض ما تعلمته كان خاطئًا وبعض النصائح التي وصلتك لم تكن دقيقة بل ربما إن لم تكن أمينة أو لم تكن صحيحة.. وأسترجع معك بعض الذي تعلمته أو بعض النصائح ونريد أن نناقش مدى صحتها:

- لقد تعلمت أنك لابد أن تكوني مثالية وكاملة في كل شيء لكي تصبحي ذات قيمة.
- أنك لابد أن تحاطي بالحب حتى تصبح لك أهمية ولك قيمة.
- أن سلوك الآخرين لابد أن يؤذي مشاعرك بشكل مباشر.
- تعلمت أن تغاري. تعلمت الأنانية. تعلمت حب الامتلاك.

إذا اقتنعت أن هذه مفاهيم خاطئة ونصائح غير سليمة فإن هذا معناه أنك من الممكن أن تتغيري إلى الأفضل. أنت لم تولدي هكذا. هناك ظروف مرت بك في طفولتك جعلتك هكذا. لا تقولي هذه طبيعتي ولا أستطيع تغييرها. أشياء كثيرة نستطيع أن نتخلص منها. السلوك يمكن تغييره. والغيرة سلوك. إنها عادة من الممكن أن نخفف من حدتها الزائدة إذا عرفت أسبابها.

* * والآن تعالي ننزع من رأسك المفاهيم الخاطئة التي أدت إلى غيرتك الزائدة ونضع مكانها مفاهيم صحيحة ونصائح مفيدة:

- اقبلي نفسك أولاً. أحبي نفسك. إذا قدرت نفسك وأحببتها فسوف تحمين نفسك من أوهام عدم قبول الآخرين لك.

- ليس من حق إنسانًا أن يمتلك إنسان آخر حتى وإن كان مسئولاً عن طعامه وشرابه. إن علاقة الحب اتفاق بين اثنين ليحقق كل منهما رغبات واحتياجات الآخر. الإنسان لا يستطيع أن يمتلك إنسانًا آخر مثلما يمتلك سيارة أو منزلاً. لا تتحولي إلى سجانة للرجل الذي تحبينه ولا تطلبي منه طاعة المسجون أو العبد.

- لا يوجد إنسان كامل. تخلصي من الصورة الخيالية التي في ذهنك. تعاملي معه كإنسان وليس كملاك. من حق كل إنسان أن يخطئ وأن يكون أنانيًا في بعض الأحيان. من حقه أن يكون غبيًا وغير مقدر وغير دقيق. من حقه أن يكون إنسانًا بكل ضعف الإنسان. من حقه أن يستمتع بهذا الضعف والحقوق التي يعطيها له هذا الضعف. وإزاء الأخطاء التي تصدر عن ضعفه البشري تصرفي بحزم وبحكمة ولكن لا تنفجري بغضب وعنف ولا تتملكي مشاعر العداوة والانتقام. تحكمي في غضبك وعدائك وعدوانيتك فهذه هي الوسيلة العظيمة التي تسيطرين بها على مشاعر الغيرة. ولا تكرهي عفوك. لا تكرهي ضعفك. ولا تكرهي قبولك لبعض الأشياء على مضض. إن عظمتك في عفوك عن من تحبين لضعفهم، أن تقبلي الضعف البشري بل تحترميه.

- احذري كثرة اللوم لنفسك. احذري أن تلومي الآخرين دائمًا، وبشكل خاص احذري أن تلومي الإنسان الذي تحبينه. إذا لمت نفسك فهذا معناه أنك ترفضين أخطاءك وترفضين عيوبك أي

ترفضين نفسك كإنسانة وهذا كما قلت لك يؤدي إلى ثلاثة أشياء:

- الشعور بالذنب.
- الشعور بالنقص.
- الاكتئاب.

ولومك للآخرين وخاصة الإنسان الذي تحبينه معناه رفضك لسلوكهم وكذلك رفضك لهم كبشر، وهذا يؤدي إلى أربعة أشياء:

- الغضب.
- العداء.
- الكراهية.
- الاستعلاء والوهم.

* * لو تخلصت من فلسفة أو سياسة اللوم ستتخلصين من كل هذه المشاعر السلبية تجاه نفسك وتجاه الآخرين. إن هذا درس مهم يمكن أن تتعلميه في حياتك حتى تعيشي في سلام مع نفسك ومع الآخرين ومع الإنسان الذي تحبينه.

- من الأخطاء الفظيعة التي ترتكبها المرأة الغيورة أنها لا تكف عن الشكوى. إنه لأمر سيئ جدًّا أن تشعري بالخوف الشديد كلما عبرت امرأة أخرى في مجال الرؤية لزوجك أو حبيبك. وليس من المعقول أن تنبهيه في كل مرة أنه كان يجب أن يغمض عينيه أو أن يدير رأسه بعيدًا عن هذه السيدة حتى لا يراها. ليس من المعقول أن تتهميه في كل مرة أنه هو الذي تعمد النظر إليها. ليس من المعقول يا سيدتي أن تندفعي وراء أي خاطر أو إحساس واهم وتجاهري به.

إن عليك أن تكتمي بعض هذه الأحاسيس والخواطر لأن بعضها في الحقيقة خطأ ومبالغ فيه، وأن كثيرًا من الأمور من الممكن أن نتجاوزها وأن نتغاضى عنها. ليس من المعقول أن تنتقدي وتؤنبي وتوبخي وتلومي هذا الرجل في كل موقف وفي كل سلوك وكل لفتة وكل حركة. ليس من المعقول أن تعدي عليه أنفاسه.

- لا تأخذي كل أمر على أنه شخصي وموجه لك أو ضدك أنت بالذات. المرأة الغيورة كالشخصية الاضطهادية تحيل كل شيء إلى نفسها. حساسية بالغة. إسقاط اللوم على الآخرين. ردود فعل حادة لتوهم عدم العدالة تجاهها. ردود فعل غاية في الحدة وغاية في القسوة وهجومية شديدة إلى حد الإيذاء والحرج لمشاعر الآخرين. تقبلي الآخرين بعيوبهم.

إذا كان زوجك شخصيته اجتماعية فهو لابد أن يكون ودودًا ورقيقًا مع كل الناس ومن بينهم النساء. ليس من المعقول أن يكون لطيفًا مع الرجال وأن يتعمد الجفاء والسخافة في تعامله مع النساء. لا تأخذي سلوكه على أنه موجه ضدك ومن أجل إغاظتك. لا تجعلي خيالك يصور لك أشياء غير حقيقية. لا تؤولي كل شيء ولا تبني مواقفك على مجرد الأوهام. أن يحادث زميلة بالعمل تليفونيًا فهذا ليس معناه أن بينهما علاقة، أن يلتقي بالصدفة في الشارع بصديقة قديمة فهذا ليس معناه أنه لقاء مدبر أو أنه سعد به للغاية. إذا تحدث همسًا في التليفون أو إذا طالت المحادثة فهذا ليس معناه أنه يتحدث مع صديقة جديدة.

- استمعي إلى زوجك.. استمعي إلى حبيبك.. إذا قال لك إن

مخاوفك غير معقولة وأنك غير محقة في شكوكك فاستمعي له. لا ترفضي ذلك فورًا. في معظم الأحوال هو على حق وأنت على خطأ. تذكري شخصيتك الاضطهادية وتذكري مشاعر عدم الثقة وعدم الأمان التي تكوِّن النصيب الأكبر في شخصيتك. حاولي أن تصدقيه وأن تكذبي نفسك. أن تعترفي بخطئك فهذه هي البداية الصحيحة. إذا قال لك إنك حساسة إلى درجة بعيدة أو حتى إلى حد المرض صدقيه. لا تقولي له أنت مخطئ لا تتهميه بأنه لا يفهمك.

- من الأمور المهمة في الحب أن الرجل يسعد جدًّا بحب المرأة له.. إنها سعادة لا توصف. وهو يحبها ويحب أيضًا حبها له.. وهناك امرأة تجعل رجلها يشعر وكأنه ملك الملوك من فرط حبها وتقديسها له. وهذا يجعله يشعر أنها تثق به ثقة عمياء لأن هذا القدر من الحب العظيم يحمل قدرًا كبيرًا من الاحترام والتقدير.. ولهذا فأحد مصادر سعادته أيضًا هي تلك الثقة التي ينعم بها من حبيبته. وحبك له يا سيدتي يلبي أعمق احتياجاته ورغباته.

إن أحد أسباب حب هذا الرجل لك أنك تسعدينه. الحب هو عاطفة تدوم حول النفس. مركزها النفس. محورها وهدفها النفس. وهناك إنسان واحد فقط في العالم هو الذي يستطيع أن يلبي الاحتياجات الدفينة جدًّا.. هذا الشخص هو الحبيب. ولذا فإن أي اضطراب يصيب علاقة الحب معناه أن هذه الاحتياجات وهذه الرغبات العنيفة والعميقة الدفينة لا تلقى الإرضاء الكافي.

متي يحدث هذا؟ يحدث هذا يا سيدتي إذا بدأت تنظرين إلى حبيبك على أنه ملكية خاصة. حينما تكونين مسيطرة. حين تعرضينه

للنقد الحاد كل يوم وكل وقت. وبذلك يفتقد أحد أهم الأشياء التي تجعله سعيدًا بحبك ألا وهو ثقتك به. دعية يحبك من أجل ما تقدمينه له. دعية يحب منك الأشياء الجميلة التي تقدمينها له. اتركي له الفرصة لينعم بثقتك ويكون شاهدًا على مشاعر الطمأنينة التي بداخلك.

- دعي له بعض الحرية.. دعي له مسافة يتنفس فيها. ولكن ليس هذا إلى ما لا حدود. هناك حدود لكل شيء. بالطبع لا يمكن أن أنصحك بأن تدعيه يدعم علاقته بإنسانة ما إلى حدود بعيدة. هناك حدود يجب أن نقف عندها في علاقاتنا بالجنس الآخر.

- لا تدعيه يشعر بالنقص العاطفي. النقص العاطفي مثل النقص الغذائي. استمرار النقص الغذائي يقود إلى الهزال والضعف ثم الموت. وكذلك النقص العاطفي يؤدي إلى اضطراب الأحاسيس واهتزاز المشاعر. دعية يشعر دائمًا وفي كل وقت أنه أهم إنسان لديك في العالم. دعية يشعر بعواطفك الصادقة من نظرات عينيك وتعبيرات وجهك ولمسات يديك. افعلي ما يحبه دون أن يطلبه منك وامتنعي عما لا يرضى عنه دون أن يطلب هو ذلك. إن النقص العاطفي المستمر يجعله يشعر دون أن يدري بأنه مضغوط وغير سعيد ومحبط.

- دعي له بعض الوقت مع أصدقائه. اجعلي له يومًا مفتوحًا يذهب حيث يشاء ومع من يشاء من الأصدقاء. دعية يذهب لكي يعود. لا تخنقيه. لا تضعيه في السجن حتى وإن كان سجنًا جميلاً ورائعًا. دعية يحن باستمرار للعودة إليك كلما ابتعد عنك بضعة أمتار. إن الرجل إذا أحب امرأة يحن إليها وهي بجواره. إن الرجل إذا أحب

امرأة يشعر أن الدنيا كلها اخضرت من حوله فيشتاق إليها إذا ابتعدت عنه ولو لساعات.. إن الرجل إذا أحب امرأة تكون معه في قلبه وعقله أينما ذهب وتشغل فكره في كل دقيقة. إن الرجل إذا أحب امرأة يفقد القدرة على رؤية أي امرأة أخرى.. لذا دعيه يبتعد قليلاً لكي يشعر بكل هذه المشاعر العظيمة الرائعة لكي يهتف بقلبه وعقله ولسانه: كم أحب هذه المرأة التي تحبني بجنون وتثق بي.

♥♥♥

## التحمل بدون عداء ولكن بإيجابية:

لا أريد أن أكون متجنيًا عليك وظالمًا لك فأراك دائمًا على خطأ وأرى زوجك أو حبيبك على حق. إن هذا الرجل قد يكون فعلاً حسن النية ولكن سلوكه غير مقبول إلى حد ما وخاصة بالنسبة لتعاملاته مع الجنس الآخر. ولكن دعيني أقل لك إن نضجك يجعلك لا تشعرين بالخطر إزاء كل موقف لا ترضين عنه. تحملي بعض الأشياء التي لا ترضين عنها. تحملي بعض اهتماماته وخاصة المتعلقة بعمله. ستزداد درجة تحملك إذا أدركت أن هذه الأشياء لا تمثل أي خطورة فعلية على حياتك. فعلاً هناك أشياء بسيطة وليس لها أي أهمية ونحن الذين نسبغ عليها أهمية بلا داعٍ.

* * ولكن هذا لا يمنعك من أن تبذلي محاولات إيجابية لتعديل أوضاع لا ترضيك وقد تسبب بعض الإيذاء لأحاسيسك. قد يتمادى في أشياء قد لا تكون ضارة ولكنها تضايقك إلى حد بعيد. إن التحمل بلا حدود قد يؤدي إلى الانفجار. ولهذا كوني إيجابية في تعديل سلوكه الذي يجرحك.. حاولي أن تبصريه ولكن ببطء وبدون هجوم وبدون

عنف. دعية يشعر أن سلوكه هذا يؤلمك. في البداية سيكون من الصعب أن يتخلص من بعض عاداته وسلوكياته. قد يكون من النوع الذي يحب اهتمام الآخرين به. قد يكون من النوع الذي يحب أن يحظى بإقبال النساء عليه. قد يكون في مرحلة حساسة من العمر (والتي تقابل سن اليأس عند المرأة) تجعله قلقًا ويسعى من أجل مجاملات واهتمام الأخريات. تفهمي نقاط الضعف في شخصيته وتعاملي معها بحساسية وبلباقة. كوني حازمة في بعض المواقف ولكن بأدب شديد. لا مانع من أن تصارحيه بكل ما يضايقك باستعمال لغة الحب. ولغة الحب هي تلك اللغة السحرية التي لا يجيدها إلا المحبون. وهي اللغة القادرة على مناقشة أي موضوع مهما بلغت درجة حساسيته والنتيجة دائمًا إيجابية.

قولي له: لأني أحبك وأحب من حبك وأحب الحب ذاته الذي بيننا فأنا أغار عليك.. قوليها صراحة إنك تغارين عليه. لا تقولي له إنني أتهمك أو إنني أشك فيك، ولكن قولي له حاول أن تفهم مشاعر المرأة التي تحب. قولي له إن الغيرة هي امرأة تحب، وإن امرأة تحب هي الغيرة. أكدي له أن الأمر ليس عدم ثقة ولكنه خوف يصل إلى حد الرعب من فقد الحب.

قولي له إن الحب الذي يربطكما هو أثمن شيء في الوجود ولذلك فأنت تخافين على هذا الحب. قولي له إنك قرأت في كتب علم النفس أن غيرتك ليست قائمة على حب التملك، لأن حب التملك هو حب زائف. قولي له إن حبك له هو حب حقيقي ولهذا فأنت تقلقين على الحب الذي يعطيه لك. قولي له إن التهديد هنا هو تهديد

لذاتك بفقد حبه لك وإنك تحبين نفسك من خلال حبه لك، وإن ذاتك تتأكد من خلال هذا الحب. وهذا معناه أن فقدان هذا الحب هو فقدان لذاتك.

قولي له إنه بدون حبه تصبحين لا شيء أي تكونين مهددة بالزوال والضياع الكامل والفناء. قولي له إنك تحبينه حبًّا حقيقيًّا وهذا الحب هو الذي يعطيك الإحساس الحقيقي بالحياة وبمعني الوجود والاستمرار. أي أن ضياع هذا الحب هو الفناء والزوال واللاشيء.

* * هكذا يا عزيزتي توضحين له الأمر.. وما أسهل الحوار بين المحبين، وما أسرع الصلح بين المحبين.. وما أفيد التفاهم بين المحبين..

* * نصيحتي الأخيرة تكلمي بلغة الحب وأنت تعالجين غيرتك على حبيبك.

♥♥♥

والآن جاء دور معالجة موضوع الغيرة المرضية.

♥♥♥

# الغيرة المرضية

* * من أصعب المواقف التي تواجهها امرأة أن يتهمها زوجها بالخيانة وخاصة إذا كانت بريئة من هذه التهمة.. هذا الزوج مريض، والمرض يعرف باسم الغيرة المرضية.. ونحن نعتبره مرضًا ليس بسبب أن التهمة ليس لها أساس من الصحة، ولكن لأن الفكرة نابعة من رأسه وليست مرتبطة بالحقائق الموضوعية الخارجية، ولأنه اعتمد على أدلة لا تدين أي امرأة بالخيانة، أدلة واهية ليست لها علاقة بموضوع الخيانة أصلاً ولكنه ربطها بالخيانة بسبب عقله المريض.. أي أن المرض جعله يرى علاقات غير صحيحة، ويقوم بعمل ارتباطات بين أشياء ليس لها علاقة ببعضها، ويعطي الأشياء معاني غير مفهومة وغير مألوفة.. ويستطيع المستمع له أن يكتشف على الفور اللا منطق واللا معقول في أسبابه ومبرراته وأدلته.. يستطيع المستمع له أن يكتشف مدى انفصاله عن الواقع وكيف أنه يستعمل اللغة استعمالاً خاصًا يشير إلى معانٍ بعيدة وكيف أنه يفسر الرموز والعلاقات والإشارات بطريقة خاصة به وحده لا يفهمها أحد غيره.. وبذلك يكون له قاموسه الخاص الذي يحوي تعريفات خاصة غير مدرجة في القاموس الذي بين يدي كل الناس.. وبذلك ينطبق عليه وصف المريض العقلي.

إذن فكرة الخيانة نابعة من رأسه ولذلك هي فكرة يقينية لا يقتنع بعكسها.. فكرة راسخة يدلل على صحتها بطريقته الخاصة ومن وحي عقله المريض بدون أي صلة أو ارتباط بالواقع الحقيقي.. والمثير

أن الزوجة قد تكون خاطئة فعلاً ولكننا نظل نعتبره مريضًا.. فالخيانة الفعلية للزوجة هو غافل عنها ولا يدري بأمرها ولا يوجد دليل مرتبط بها.. فهذه الخيانة الفعلية غير تهمة الخيانة الصادرة عن عقله المريض وليست لها أي صلة بها.. إنه يتهم زوجته (الخائنة فعلاً) بالخيانة مثلما يتهم أي زوج آخر زوجته (البريئة) بالخيانة.. إذن فكلاهما مريض.. زوج الزوجة الخائنة فعلاً وزوج الزوجة البريئة.

* * ولكن ما أقسى وأعمق جرح الزوجة البريئة.. تهمة الخيانة صفعة تنال من كرامتها وكبريائها واعتزازها بذاتها، وسكين يذبح عواطفها التي أخلصت بها للزوج، ويدمي أفكارها التي أخلصت بها للحياة.. فعلاقة الزواج أو علاقة الحب من العلاقات التي تفرض على الإنسان التزامًا أخلاقيًا ذاتيًا.. أي الالتزام نابع من النفس.. يفرضه الإنسان طوعًا واختيارًا راضيًا على نفسه.. إنه الالتزام بالإخلاص بدون أوامر وبدون رقيب.

والإنسان حين يلتزم بالإخلاص ويلزم نفسه به إنما يفعل ذلك بوحي من عواطفه، ولا يبغي من ذلك تقديرًا من الطرف الآخر واعترافًا معلنًا بقيمة هذا الإخلاص، ولكنه يفترض عن يقين أن هذا هو نفس التزام الطرف الآخر، وأن الإخلاص جزء لا يتجزأ من العاطفة فلا حب بدون إخلاص، ولذا فالإخلاص متبادل.. ولذا فطعنة الخيانة تكون موجهة أساسًا للعواطف.

إنه التشكك الكامل في صدق العواطف وقوة نفوذها ورسوخها.. إن الهزة التي تتعرض لها المرأة المتهمة بالخيانة تؤدي إلى انهيار صرح عواطفها إذ تتيقن حينئذٍ أنها كانت عواطف زائفة بلا

أساس.. فالقوة الحقيقية للعواطف تؤكدها مشاعر الثقة المتبادلة.. وتكون المعادلة كالآتي: «لأنني أحبك حبًّا حقيقيًّا وأدرك أنك تبادليني نفس الحب فأنا أثق بك ثقة مطلقة».. أما الزوجة المتهمة بالخيانة فتنهار لأن المعادلة تصبح أمام عينها كالتالي: «أنا لا أثق بك لأني لا أحبك».

* * المرأة هنا لا تثأر لكرامتها ولا تبكي كبريائها وإنما تحزن الحزن كله من أجل انهيار حياتها العاطفية.. من أجل ضياع حبها.. من أجل تبديد سنوات عمرها في وهم حب ثبت أنه حب زائف..

* * إن صدمة تهمة الخيانة للزوجة البريئة تؤدي بها إلى الاكتئاب.. تفقد كل طعم للحياة.. تصبح الحياة بلا قيمة وبلا معنى بل وقد تتمنى الموت لأن المستقبل لا ينبئ بأي خير بل لا يحمل إلا القبيح بين طياته، فما كانت تتصوره حبًّا كان في حقيقته وهمًا لا يعد إلا بالكذب.. إذن فكل شيء في الحياة ماضيها وحاضرها ومستقبلها قبيح وكاذب..

* * وتدير المرأة عدة حوارات مع نفسها:

* «لو أني خائنة فعلاً لما تألمت بهذا القدر أو لما شعرت بالألم على الإطلاق».

* «أتمنى لو أستطيع، وربما سأحاول أن أخونه فعلاً لتهدأ ناري التي تحرق جوفي وتكوي قلبي».

* «لعل سوء خلقه هو وخيانته هي التي جعلته يتمنى أنه يسقط خيانته عليَّ.. إنه هو الخائن ولست أنا».

* * واتهام الخيانة يصنع شرخًا في جدار العلاقة لا يلتئم أبدًا.. يظل هكذا مدى الحياة ينفتح من حين لآخر ألمًا وصديدًا.. وقدر الألم يتوقف على قدر الحب.. فإذا لم تكن تحبه تتألم لنفسها فقط أي لكرامتها وكبريائها.. أما إذا كانت تحبه فهي تتألم لفقد الحب.. وهذا هو الألم الأعظم..

* * ولا تهدأ المرأة إلا إذا عرفت أن زوجها مريض.. وقد تكتشف هي هذه الحقيقة بنفسها، وفي هذه الحالة تحزن من أجله ويتولاها الخوف..

* * ونفس المرض من الممكن أن يصيب المرأة.. مرض الغيرة المرضية، وهو مرض عقلي تسيطر فيه فكرة واحدة فقط أن زوجها أو حبيبها يخونها مع أخرى.. وأنها خيانة كاملة تشملها العلاقة الجنسية.. ومثل هذه الأفكار تسمى بلغة الطب النفسي هذاءات أو ضلالات.. والفكرة تكون راسخة يؤمن بها المريض إيمانًا مطلقًا ولا يتزحزح عنها، كما لا يمكن مناقشة أدلته الضحلة الواهية غير المرتبطة بالموضوع وغير الدالة على أي شيء ولكنه يسبغ على هذه الأدلة أهمية قصوى ويعطيها وزنا كبيرًا.. وينبني سلوكه كله على هذه الفكرة المرضية ولكن فيما عدا ذلك فهو يبدو إنسانًا طبيعيًا ويمارس حياته وعمله دون أن يلحظ عليه أحد أي اضطراب.

ولكن الخلل فقط يكون في مجال علاقته بشريكة حياته، كأن يقوم بمراقبتها واستجوابها وقد يتطور الأمر إلى سلوك عدواني فيقوم بضربها وتعذيبها لكي تعترف، وفي أحوال قليلة قد يتطور الأمر إلى حد القتل.. ورغم عدم معقولية أفكاره وأدلته فإنه قد يجد من

يصدقونه.. فأم الزوجة قد تصدق ابنتها التي تتهم زوجها بأن له علاقات جنسية مع كل زميلاته في العمل.. وأم الزوج قد تصدق ابنها في اتهامه لزوجته بأنها على علاقة جنسية بكل الرجال في الشارع الذي يسكنون فيه.. فهذا المرض قد يكون وراثيًا وأهل المريض وخاصة من الدرجة الأولى قد يكون بهم درجة من الخلل العقلي والتي تجعلهم يصدقون هذه الأشياء غير المنطقية، وبذلك يؤكدون للمريض صدق أفكاره المريضة، وقد يشجعونه على السلوك العدواني ويضيعون عليه فرصة العلاج من مرض قابل للشفاء فعلاً..

* * وتستحيل الحياة إلى جحيم أقرب إلى جحيم الآخرة.. والزوجة المتهمة بالخيانة تكون في موقف أكثر حرجًا من الزوج المتهم بالخيانة.. فالزوج قد يلجأ إلى استعمال القوة لإجبار الزوجة على الاعتراف.. أما الزوجة فقد تطارد زوجها في كل مكان وتسيء لسمعته في عمله وبين أصدقائه وأقاربه وأيضًا تخنقه بالاستجواب والإهانات مما يجعل استمرار الحياة مستحيلاً..

ولكن الغريب في الأمر أن الزوج المريض الذي يتهم زوجته بالخيانة يستمر في الحياة معها ويستمر في معاشرتها جنسيًا وكذلك الزوجة المريضة التي تتهم زوجها بالخيانة لا تطلب الطلاق ولا تغادر البيت.. إنها ازدواجية العقل المريض وانفصاله عن واقع بقية البشر..

* * ولكن كل ما يسعى إليه الطرف المريض هو الحصول على اعتراف بالرغم من أنه يكون على يقين بأن الخيانة قد وقعت فعلاً..

* * والزوج قد يطلق زوجته التي تتهمه بالخيانة وكذلك الزوجة قد تترك بيت الزوجية بسبب اتهامها بالخيانة والتي هي بريئة

منها وتطلب الطلاق.. وهي تفعل ذلك خوفًا من اعتداء الزوج عليها ولأن الحياة تكون قد أصبحت غير محتملة لأنه يصبح لا حديث لهما إلا هذا الموضوع، ولأن الطرف المتهم البريء يكون قد فقد الرغبة فعلاً في استمرار الحياة وفقد القدرة على التحمل نظرًا للاضطراب العاطفي الشديد الذي أصابه..

* * والمرض لا يشفى إلا إذا تم علاجه.. قد يكون المرض منحصرًا فقط في فكرة الخيانة.. وقد يكون اتهام الخيانة عرضًا من ضمن عدة أعراض مرضية أخرى لمرض الفصام.. وفكرة الخيانة قد تسيطر على عقل كبار السن إذا كان هناك تصلب متقدم في شرايين المخ أو وجود عته أي تآكل في خلايا المخ.. والإدمان الكحولي يكون من أحد أعراضه الأساسية فكرة الخيانة..

* * وهناك علامات مبكرة قد تظهر في بدايات الزواج أو حتى أثناء الخطوبة أي قبل أن تظهر الأعراض الفعلية للمرض بسنوات.. تقول عنه زوجته إن أهم سماته كانت الشك وسوء الظن والحساسية الزائدة وسرعة الغضب والشعور بالتهديد المستمر ونقد الآخرين وتجريحهم والهجوم عليهم والشعور الدائم بالاضطهاد وبأنه لم يأخذ حقه وأن الآخرين يقفون في طريقه حقدًا وغيرة.. وأنه كان دائمًا يضايقها بأسئلته الكثيرة وينتقد سلوكها الطبيعي.. وشكوكه غير المعلنة وغير الصريحة وكلماته التي تحمل معاني مزدوجة وجارحة، وكذلك غيرته المعلنة وغير المعلنة من أشخاص عاديين في حياتها لا يشكلون لها أي أهمية خاصة من الزملاء في العمل أو الجيران أو الأقارب وأن الأمر كان يتعدى أحيانًا إلى غيرته من أشقائها..

* * وكذلك الزوج يسترجع أن زوجته كانت شديدة الغيرة منذ بداية علاقته بها وأن غيرتها كانت غير معقولة وغير منطقية تقترب إلى حد المرض فكانت مثلاً تحاسبه حسابًا عسيرًا لأنه أطال النظر إلى امرأة عابرة في الطريق، أو أنه أعطى اهتمامًا زائدًا لامرأة قابلها مع زوجته في مكان ما، أو أنه أطال الحوار التليفوني مع زميلة له في العمل.. تنفجر الزوجة ثائرة غاضبة بعنف لا يهدأ.. والأمر كان يأخذ منه وقتًا وجهدًا لإقناعها بعدم صحة شكوكها.. وكانت تهدأ فعلاً وتعود لها الثقة به وبنفسها ولكن الأمر كان يتكرر كثيرًا..

* * هذه هي الشخصية الاضطهادية «البارنويد» التي تتمتع بحساسية فائقة في علاقاتها بالآخرين وتتسم أساسًا بالشك وسوء الظن.. هذه الشخصية قد تمرض في المستقبل وخاصة مع تقدم العمر واقترابًا من سن اليأس حيث تتراجع الميزات الشكلية التي كانت تعتمد عليها في جذب اهتمام الجنس الآخر.

والمرأة تعاني أكثر من الرجل في هذه السن وقد تسيطر عليها الشكوك المرضية التي تصل إلى حد الاتهام بالخيانة؛ ولذا فإن أعراض الخيانة المرضية تظهر غالبًا عند المرأة بعد سن الخامسة والأربعين، وفي الغالب أيضًا يكون لديها هذا الاستعداد من البداية أي كانت ذات شخصية اضطهادية.

والرجل أيضًا يصاب أكثر بهذا المرض كلما أوغل في العمر وهو على حدود السبعين فيتهم زوجته التي هي في الستين أو تكون في مثل سنه أنها على علاقة بشاب في العشرين أو أقل، وهذا الشاب قد يكون أحد أحفاده أو بائع اللبن، وقد يتهمها بأثر رجعي فتسيطر عليه فكرة أنها منذ ثلاثين عامًا كانت على علاقة بشقيقه أو بأحد جيرانهم..

والغريب في الأمر أن هذه الفكرة لم تكن موجودة منذ ثلاثين سنة وإنما ظهرت الآن فقط..

♥♥♥

* * ولم تسلم الغيرة المرضية من تفانين التحليل النفسي فصوَّرت هذا المريض وكأن به ميولاً مستترة للشذوذ الجنسي.. ميولاً كامنة وقابعة في العقل الباطن تهدده إن هي طفت إلى سطح عقله الواعي ولذا تظل راقدة في اللاشعور لا يدري هو عن طبيعتها شيئًا ولكنها تؤجج مشاعره وتدغدغ حواسه وتشوه أحلامه، ويظل حائرًا ساخطًا غاضبًا يسقط مشاعره المضطربة على المرأة التي ارتبط بها.. يتهمها بأنها تحب هذا الرجل، وفي حقيقة الأمر أنه هو العاشق الولهان المتيم بهذا الرجل.. إنه يريده لنفسه، يتمناه، يرغبه، يشتهيه ولكنه لا يستطيع.. إنها رغبات وتمنيات مكبوته لا يدري هو عنها شيئًا.. ولذا فبدلاً من أن يقول: «أنا أحبه» فإنه يقول: «هي تحبه».. لذا فهو يحتاج إلى وجود هذا العشيق في حياته.. وهو بذلك يغار من المرأة ولا يغار عليها.. يغار منها لأنها ظفرت بالعشيق الذي طالما تمناه لنفسه!.

* * إن الميول الجنسية الشاذة هي محور الارتكاز الذي تتشكل حوله كل سمات الشخصية الاضطهادية «البارنويد» وكذلك أعراض مريض الفصام الاضطهادي وأيضًا ذلك المريض الذي يعاني من مشاعر الغيرة المرضية القاتلة.. والسلاح الذي يلجأ إليه المريض هو الإسقاط.. إن رغباته المرفوضة المكبوتة يسقطها على المرأة فيتهمها بما يتمناه.. لذا فهو محتاج إلى أن يتوهم وجود هذا العشيق.

إن هذا العشيق موجود داخله وهو يحاول أن يجسده ويخرجه إلى

الواقع ليراه لحمًا ودمًا.. إنه يحتاج لوجود هذه العلاقة بين امرأته والعشيق لتحل محل العلاقة التي كان يتمناها بينه وبين العشيق.. وهذا ليس علاجًا ولكنه مجرد تهدئة وتسكين لمشاعره الحارقة التي تضغط لتخرج من سجنها وتفصح عن نفسها وتطالب بالإرضاء وبذا تهدده بالعار والفناء.

إنه حل مؤقت لأن الصراع ما زال قائمًا.. إنه مثل السحابات الواهية المتناثرة التي تحجب قرص الشمس للحظات ولكنها لا تستطيع أن تمنع حرارتها المرهقة، وتعود الشمس لتسطع بقسوة مهددة بحريق.. وهذا يفسر سر تشبثه بالعشيق وإصراره على سماع الاعترافات ومراقبته التي لا تهدأ.

وهو يتمني أن يسمع ما يرضيه وأن يري ما يسره.. ولا يرضيه ولا يسره إلا تحققه من وجود العلاقة فعلاً.. ويتخذ قرارات ظاهرية الغرض منها منع اتصال امرأته بالعشيق.

ولكن العقل المريض يرفض هذه القرارات ولا يعترف بفاعليتها ويظل يتوهم بيقين مرضي أن اللقاء يتم بين المرأة والعشيق فهو يقفز لها بمظلة أو يخترق الجدران الحديدية أو هي- أي امرأته- تضع له المخدر لينام ثم تنطلق ليلاً لتقابل عشاقها.

هذا معناه أن العقل المريض يحتاج دائمًا إلى استمرار هذه العلاقة لأن انتهاءها وتوبة المرأة تعني إذكاء النار في رغبته الطاغية في هذا الرجل وأنها ستنجح في اجتياز حصون العقل الباطن إلى الشعور الفاضح الكاشف فيدمر.. وقبل أن يلحقه التدمير بسبب الضغط الداخلي لرغباته المحرمة فإنه قد يدمر امرأته ذاتها أو قد يدمر العشيق أو كليهما..

♥♥♥

هـذه هـي التفـانين الفريدويـة التحليليـة.. والـبعض يقبلهـا والكثيرون من العلماء يرفضونها.

♥♥♥

* * وكل الذين يتعرضون لمناقشة ودراسة هـذا الموضوع يشغلهم أمـر الضـحية ويتعـاطفون معهـا: الزوجـة المتهمـة أو الـزوج المـتهم.. والضـحية حقًـا تكـون في مـأزق عـاطفي وإنسـاني وتعـاني آلام وأحـزان المريض الذي تكويه نار الغيرة، وتغير على قلبه وأعصابه وأيامه فيتحول إلى كومة عذاب تتناثر ذراتها حائرة في ضياع وتشتت ويتهدد كيانه كله بالتحلل إلى لا شيء.. ولنستمع إلى بعض أقوال هؤلاء المرضى..

♥♥♥

* * تقول المرأة التي تعاني من الغيرة المرضية: كأن الشياطين كلها التفت في دائرة من حولي وأخذت تدنو وتدنو وتحولت كلها إلى شفاه أحاطت بأذني تهتف في آن واحد: إن زوجي يخونني.. وأصرخ إن هذا غير معقول ولكن صراخ الشياطين يؤكد حتى يستقر في عقلي المكدور حقيقة أنه يخونني فأشعر وكأن خلايا مخي تتعارك وتتطاحن ترفض وتصدق؛ حتى أنهك وأنهار وأتهاوى.

وحين أسترد بعض هدوئي تعاود الشياطين الاقتراب ممسكة بملفات سوداء تفتحها وتقرأ منها بتؤدة وبأصوات متجمعة ولكنها هامسة تسرد لحظات من الماضي البعيد والقريب تثبت استعداده وميله وتوقه للخيانة فيتجمع أمام ناظري أحداث ومواقف أراها في ضوء جديد، رؤية جديدة مستندة إلى الواقع المؤلم، تفسير حقيقي لما كنت اعتبره عفويًا وتلقائيًا ولكنه كان مقصودًا ومدبرًا يكشف عن طبيعته السيئة ونيته الغادرة وميوله الآثمة..

* * وتشتعل نار حقيقية تبدأ من جلدي وتزحف إلى عظامي فأتحول إلى كومة حطب تحترق.. أحترق ألمًا وغضبًا.. وأمسك برقبته وبي رغبة في أن أزهق روحه وأواجهه بآثامه وأخطائه وعندي أدلة دامغة واضحة كالشمس لا تقوي عين مخذول على النظر إليها.. ويطأطئ رأسه منكرًا أو يرفعها ثائرًا متحديًا أو يميل بها ناحيتي متلطفًا متوددًا.. ولكن أصوات الشياطين تأمرني ألا أصدقه.. وأنا أصدق شياطيني ولا أصدقه..

* * وأنشغل بأحزاني ليل نهار.. لا تبرح عقلي صورته الخائنة.. وتدلني الشياطين على التي اختطفته مني.. ربة الخلاعة والانحراف، سليلة الحرام والفجور، مبدعة الانحلال والتدني، مشوهة الخلق والضمير، دميمة الوجه معدومة الطهارة منقوصة الأنوثة.

وهو إذ سقط في ماخور الرذيلة تلوثت روحه فأصبح لا يقوى على الاقتراب مني وإذا اقترب كرهًا فهو غريب بعيد سارح ذاهل منهوك القوى أشم منه رائحة العفن والخزي.. أثور وألفظه ثم أعود فأقترب حائرة ضائعة مشتتة لا أدري ما أفعل.. أقتله أم أقتل نفسي أم أقتل أصل الرذيلة والخيانة رأس الأفعى، أم أهرب بذاتي المنكوبة بعيدًا إن كان تبقى لي ذات تقدر أن تعيش بين الناس بعد ذلك الهوان..

* * وأحاول أن أقاوم شياطيني بذكريات تشهد على حب يعصم الشيطان ذاته من الزلل، وأستعين بسنوات العشرة وإفرازاتها التي تجعل الحجارة تتماسك أبديًا بالإخلاص والوفاء، وأفتش داخل ذاتي فأجده ممسكًا بمجامع نفسي منذ حداثة عهدي بالحياة ولا أجد غيره رفيقًا وشريكًا ومؤنسًا، وحين كنت أتسلل داخل ذاته فأجده وقد سبقني في

احتوائي داخل ذرات كيانه فأصبحنا نسيجًا موحدًا تداخلت خيوطه في تماسك أبدي.. فأين أيتها الشياطين الملعونة ذهب عني وكيف انفصل مني؟ وهو إذ ينفصل عني تذوي روحي ويتحلل كياني وأنتهي إلى اللاشيء عدم في عدم ولا تبقى مني حتى ذرات تخبر بأثر قد كان..

♥♥♥

محزونة مجروحة مكدودة ذليلة أنا وضائعة.. وهو خائن غادر سافل.. ضاع وضاع الحب معه.. فلأضيعه للأبد وأضيع نفسي..

♥♥♥

* * يقول الرجل الذي يعاني من الغيرة المرضية: إن صدمة يقين عقلي من خيانة امرأتي لقادرة على أن تهد كل جبال الأرض وتقلب باطنها وتهز رواسخها فتطفح نارًا وسمًّا تهلك كل الخير، ولقادرة على أن تشد السماء من عليائها وتهبط بها حيث تغرق في بحار التيه والضياع التي تفيض ألمًا وخرابًا، ولقادرة على أن تهلك الشمس فيسود ظلام أبدي يشمل الكون كله.

فالصدمة التي تدمر رجلاً ابتلي بخيانة امرأته تساوي الصدمة التي تدمر الكون كله، فالكون بني على انتظام ووفاء أجزائه التي ارتبطت بحب ودارت بإخلاص، واستقرت العلاقة بينها بثبات أبدي فهيأت مناخ الحياة لكل الكائنات الحية منذ الأزل بسر القوة الإلهية مصدر الحب.

وهكذا أيضًا يرتبط رجل بامرأة بحب دعامتاه الإخلاص والوفاء ليحقق نظام حياة مستقرة له بثبات أبدي يهيئ مناخًا عاطفيًّا لاستمرار الإنسان على الأرض بسر القوة الإلهية مصدر الحب والإخصاب.. وتجيء خيانة امرأة لتتحدى كل القيم وتزلزلها زلزالا،

فيتلقى ضمير الإنسان صدمة تعصف به وتمحو ذاته الضعيفة.. وذات هذه الصدمة كفيلة بأن تدك الكون دكًا إذ هي تقوض دعامتي الإخلاص والوفاء فينهار كل شيء..

* * هكذا انهرت أنا.. وكمن فقد عينيه لا يرى إلا ظلامًا.. داخلي ظلام وخارجي ظلام. وأحاول أن أتشبث بقشة تكذيب لما سمعت ورأيت فيجذبني إلى قاع اليأس غول الحقيقة.. يغرقني وينهش قلبي وأحشائي تاركًا داخلي فراغًا في فراغ، عدمية اللاشيء ووحشة الموت ولا يبقي من المشاعر إلا الأسى والحزن العميق الحائر المشتت الذي لا يجد قلبًا ينهشه، فالقلب قد مات والجسد يذوي رويدًا رويدًا فلا يجد الحزن إلا روحي ليمسك بها لينهي وجودي بالكامل.

وإنني أشعر أني على وشك النهاية فلا معنى لأي شيء وبالتالي لا معنى لوجودي.. أشعر بالضياع الكامل.. فقدت حساسية جسدي.. وعقلي لا يعمل إلا في اتجاه واحد: خائنة.. خائنة.. ولدي ألف دليل، وعدم الاعتراف معناه رفض التوبة وشدة الارتباط بالعشيق.. أنفاسها، لفتاتها، إيماءاتها، نبراتها، كل شيء يوحي بالخيانة، حتى هواء البيت تشبع برذاذ اللقاءات الآثمة ووشى برائحة لا تخطئها أنف رجل.. وتمعن هي في الكذب ولا تستجيب لتوسلاتي وتتمادى.

وحين ألتقي بها في الفراش لأؤكد لذاتي المألومة المخدوعة أنها ترغبني وأن أحدًا غيري لم يلمسها، أكتشف أن أفكارها ما زالت معه بل وقاحتها تجعلها تتصورني وكأنه هو الذي معها.. ويسعدها أن تلعب دور المرأة اللعوب فهذا هو تكوينها الرخيص فتغيظني باللامبالاة والضحكات البذيئة والحركات الخليعة والنظرات الداعرة

وأسترجع تاريخها وأتلصص على ماضيها فأعثر على ملامح شخصية تقترب من شخصية البغي، وأجد أنها انحدرت من أسرة نقلت إليها موروثات الدعارة وسمات الانحلال والتسيب..

ولكن.. ولكن يصفعني في جزء من عقلي مركز الذاكرة طيف سنوات طويلة أشعرتني بالحب وتوجتني ملكًا عليها مبهورة بي مستسلمة لإرادتي، خاضعة لمشيئتي، مشدودة لذاتي، عاشقة للمساتي، ساعية لاهتمامي.

وحين كنت أنفذ إلى داخل نفسها متأملاً فاحصًا كنت ألتقي مع مشاعر طفلة بريئة رقيقة لا تدري عن شرور الدنيا وآثامها، استولى حبها على كيانها وعاشت راضية مشبعة مكتملة وأعطت بسخاء غير محدود.. ولكن طبيعة البغي تغلبت فأهدرت الحب والعمر.. ولو اغتسلت بكل أمطار السماء لما انمحى عنها دنسها.. ولو أقسم كل ملائكة السماء وكل أخيار الأرض على براءتها لما صدقت.. وكما انتهيت أنا فلا بد أن أنهيها..

♥♥♥

هذه هي آلام المرضى وأحزانهم.. ولابد أن نحترم وأن نراعي هذه المشاعر المحترقة.. فالمريض بالغيرة المرضية ليس كله مريضًا.. هناك جزء سليم فيه وجزء آخر مريض.. الجزء المريض هو الذي يصور الخيانة.. أما الجزء السليم فهو الذي يتألم مثل أي إنسان يتألم للخيانة الحقيقية.. والخيانة بالنسبة للمريض هي خيانة حقيقية، نحن فقط الذين ندرك أنه مريض وأن الخيانة لم تقع وأن الطرف الآخر بريء.

وفي غمرة إشفاقنا على الطرف البريء وتعاطفنا مع معاناته وانشغالنا بترتيب حياته، ننسى مريضنا الذي ينوء بالأهوال.. ولأن

المريض يكون فاقدًا للاستبصار.. أي غير مدرك أنه مريض ولا يقبل الاعتراف بذلك، فالعلاج لا بد أن يكون ضد إرادته وذلك يحتاج إلى تعاون جميع الأطراف وأهمهم شريك الحياة صاحب المصلحة الأولى ورفيق الرحلة ومحور المشكلة.

فإذا ما كان لدى هذا الشريك رصيد من الحب والحرص على استمرار الحياة فإنه سيتعاون لإنقاذ الغريق الذي ما زال حيًا.. أما إذا كان معين الحب قد نضب وشريط الذكريات قد انمحى فإنه سيرحل خوفًا، وناجيًا بنفسه ولن يعنيه أمر الغريق إن مات أو عاش ولا تجدي معه حينئذ استثارة المشاعر الإنسانية وتحفيز الضمير من أجل مشاعر إنسان مريض.. إما حب وإما لا حب.. ومن يحب يضحي، ومن لا يحب يعطي ظهره.

وهناك علاقات تكون هشة ومعلقة على قشة وممسوكة بخيط رفيع متهالك، هذه العلاقة تنهار تمامًا تحت وطأة الخيانة المرضية وخاصة إذا انطوت على قسوة وتجريح وإيذاء.. وهنا يبقى المريض وحيدًا وتتأكد أكثر ضلالات الخيانة برحيل شريكه وقد يقدم على جريمة قتل أو على الانتحار إذا لم توفر له العناية الإلهية يدًا رحيمة تعالجه.. والعلاج كيميائي بالدرجة الأولى أي بالعقاقير.. لا يجدي العلاج بالكلام والإقناع والطمأنة.. وقد نلجأ إلى الجلسات الكهربائية.

♥♥♥

**ولكن ماذا إذا كانت المرأة فعلاً خائنة....؟**

♥♥♥

# الفصل الثاني

## امرأة خائنة

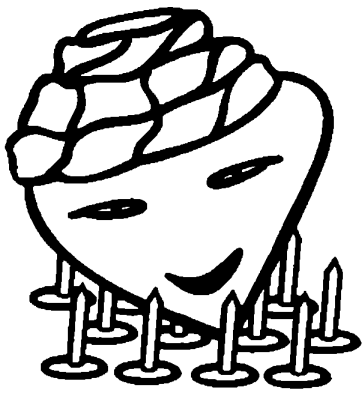

* * قليل من النساء يُتهمن بالخيانة.. وكثير جدًّا من هؤلاء القليلات بريئات.. وقليل جدًّا خائنات حقًّا.. وما أفظع الإفك، وما أقسى الظلم.. ومن الممكن أن يموت الإنسان بفعل الظلم.. فالظلم هو أسوأ أنواع القهر الإنساني مع الشعور بالعجز وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بشرف امرأة فاضلة..

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

* * أعرف امرأة ماتت لأن زوجها اتهمها بالخيانة وطلقها وهي بريئة.. جاءتني كمريضة بعد طلاقها وقالت لي أرجوك صدقني إنني بريئة.. وتيقنت بقلبي من براءتها. فالطبيب النفسي بعد سنوات من الاتصال الروحي بالبشر يستطيع وجدانه أن يستبين الصدق من الزيف.. وقد يكون الزيف مدعمًا بأدلة يقبلها العقل، أما الصدق- حتى بدون أدلة مادية تسانده- فيبدو جليًّا على الوجه من خلال تعبير جمالي رائع يأخذ بالقلب، ويشع نورًا لا تخطئه العين، فأجمل صورة كونية هي صورة وجه صادق، وأعذب نبرات هي نبرات صوت صادق.. فالصدق هو كمال الجمال، والكذب هو كل القبح.

* * تيقنت بقلبي من براءة هذه المرأة. وقلت لها إن الزمن كفيل بأن يثبت براءتك، ومن المستحيل أن ينتصر الشر.. حاولت مساعدتها بكل الوسائل.. ولكنها أخذت تذوى وتذوى.. تدهور سريع وخطير في صحتها البدنية والنفسية، وفي خلال أشهر قليلة أصبحت شبحًا ذاهلاً صامتًا ينتظر نهاية ما باستسلام.. وشعرت بالعجز عن مساعدة إنسان مظلوم.. وأدركت أنه لا يقدر على هذا إلا الله.

وبدون مقدمات تنذر بانهيار حاد أو مفاجئ ماتت هذه السيدة في هدوء.. لم يكن هناك سبب طبي مباشر للوفاة فقد كانت كل أجهزة الجسم سليمة ولكن هذا الجسد كان قد أوشك على التلاشي التام.. وبعد ربع قرن في ممارسة مهنة الطب أستطيع أن أضيف أحد الأسباب القوية لموت الإنسان ألا وهو الظلم..

* * لم تنتظر هذه السيدة الزمن حتى تظهر براءتها.. وعميت بصيرة الزوج فعجز أن يستبين إفك من اتهموا زوجته وزينوا له أدلة

كاذبة خادعة.. ولعل العبرة في اتهام أم المؤمنين السيدة عائشة -رضي الله عنها- فيما يعرف بحديث الإفك وخوض المنافقين في سيرتها الطاهرة وما كان من صبر ابنة الصديق -رضي الله عنها- على هذا الابتلاء حتى أظهر الله براءتها في كتابه بآيات بينات ما زالت تتلى ويتعبد بتلاوتها.

* * وأتصور أن هذه الحادثة التاريخية قدر الله لها أن تقع لتنزل فيها هذه الآيات درسًا للإنسان في كل زمان ومكان حتى يوم القيامة..

* * إنها تعلمنا أن الاستدلال العقلي قد يكون باطلاً حين يقوم على أدلة قد تكون دامغة ولكنها في حقيقة أمرها مزيفة لأنها من صنع حلف الشيطان الذي أتقن صنعها..

* * هذه الحادثة تعلمنا أن الشر والحقد والحسد والكراهية قد تستبد بقلوب بعض البشر فيصبحون كالشياطين التي تدمر وتحطم كل جميل وطيب وطاهر في هذه الحياة.

* * هذه الحادثة تعلمنا أن إجماع نفر أو فريق من الناس على شيء لا يجعل من هذا الشيء حقيقة مؤكدة لا تقبل الفحص والتمحيص.. فالإجماع قد يكون على باطل لضعف في النفوس، أو لضعف العقول.. فضعف النفوس يجعلها تختلق الباطل وتزينه بحواش من أحداث مفتعلة وأقوال كاذبة فتخدع بها العقول الضعيفة.

والعقول الضعيفة هي التي تخضع للإيحاء وتقبل بلا فحص أو مناقشة ما توصله لها حواسها. أما العقل القوي الواعي فهو الذي لا

يخضع لهوى الجماعة وإن اتفقت وأقرت، ولا يستسلم لمنطق يكون دليل صدقه الوحيد تسلسل الأحداث بطريقة معينة.

لكن الظروف والملابسات الناشئة عن الصدفة البحتة تسلسل الأحداث بطريقة لا تدع أمام الإنسان إلا منطقًا واحدًا وللأسف يكون منطقًا باطلاً. وللأسف أيضًا فإن العقل الضعيف أو المحدود لا يستطيع أن يرى إلا في اتجاه واحد ولا يستطيع أن يقبل إلا منطقًا واحدًا فرضته الصدفة حين أدت إلى تتابع الأحداث بصورة معينة.

وهذا هو ما حدث بالضبط مع السيدة عائشة -رضي الله عنها- حين ابتعدت عن الركب بعض الوقت لقضاء حاجة لها.. وحين عادت كانوا قد رحلوا.. فعاد بها أحد الفرسان الذي كان- بالصدفة- مارًّا حيث كانت.. تخلفها عن الركب ثم ظهورها بعد ساعات مع الفارس زينه الشيطان لضعاف الإيمان مما جعلهم يقيمون فروضًا لم تقم على أساس ثم توصلوا إلى نتائج خاطئة هي من وحي الشيطان.

* * إذن كان هناك فريقان من الناس: فريق كان واثقًا من براءة السيدة عائشة ولكنه حقدا وحسدا وكراهية لرسول الله ﷺ اختلق القصة التي تفيض فسقًا وفحشًا وإفكًا.. أما الفريق الثاني فكان من ضعاف العقول الذين قبلوا بالمنطق الزائف المستخلص من الصدفة التي أدت إلى تتابع الأحداث بشكل معين..

وهكذا الناس أيضًا في الحياة فريقان حين يظلمون: فريق من حزب الشيطان، وفريق من ضعاف العقول.. وقد تكون الحواس سليمة ولكن تعمى القلوب التي في الصدور..

* * ومن سخريات القدر أن هذا الزوج الذي اتهم زوجته بالخيانة باطلاً فطلقها فمرضت فماتت، تيقن بعد موتها من براءتها. بل لا أقول من عجائب القدر بل أقول إن ذلك كان أحد الدروس القاسية التي يلقنها الله للإنسان في الحياة، بل إحدى الآيات التي يكشف الله بها للإنسان عن جهله وحمقه واندفاعه ومحدوديته.. أو لعله العقاب السماوي الذي يناله الإنسان وهو ما زال حيًّا على الأرض.. ولا أسوأ عقابًا من الحسرة.. سيظل هذا الرجل متألمًا حتى نهاية عمره وخاصة إن كان في قلبه حب لهذا المرأة. إنه هو الذي قتلها.

* * تألمت هذه المرأة من الظلم.. تألمت من انتصار الشر.. تألمت من قدرة الشر الفائقة على التزييف حتى كاد الزيف يصبح حقيقة.. تألمت من أن الرجل الذي أحبها صدَّق فيها، تألمت لاهتزاز ثقتها بالحب- أصل الوجود- إذ كانت تتصور أن الحب وحده أقوى من الشر وأن الحب وحده يجعل المحب لا يفقد ثقته بمحبوبه حتى وإن أجمعت الدنيا على إدانته وقدمت كل دليل. تألمت لفقد حبيبها أو بالأحرى فقد حب حبيبها ففقدت كل معنى للحياة فانسحبت وماتت.

* * كان هذا هو دافعي لكتابة هذا الفصل عن الخيانة..

* * حاولت أن أفسر لماذا تخون المرأة.. وصنفت الخائنات، وكما قلت هن قليلات جدًّا.. فالأصل في الحياة الفضيلة والخير، لأن جوهر الحياة الحب.. ولا خيانة مع حب سواء عند الرجل أو المرأة.. ولكن أهم عندي من الخائنات، هؤلاء اللاتي يتهمن بالخيانة ظلمًا..

وتلك من الكبائر التي يعاقب عليها الله وهي قذف المحصنات.. وجلت حكمته حين جعل إثبات الخيانة من أصعب وأشق الأمور حتى لا يكون هناك أدنى احتمال للظلم.. ولأنه -عز وجل- يعرف ضعف النفس البشرية وما قد يتملكها من شر أساسه الحقد والحسد والكراهية..

* * والإنسان الذي يسيء إلى إنسان آخر قد لا يكون شريرًا وإنما هو مريض.. ليس بمرض ظاهر وواضح وإنما مرض كامن في اللاشعور الذي أخفى أعراضه وحجبه ولكنه جعله يظهر في صورة أخرى تعرف باسم الإسقاط.. PROJECTION.. وهو سلاح نفسي يستخدمه الإنسان ضد الناس ليتهمهم بالسوء ليدفع عن نفسه شبهة السوء.

إنه دفاع عن النفس.. فهو لا يستطيع أن يواجه نفسه.. لا يستطيع لأنه لا يريد أن يكتشف كم العدوان والنقائص التي تتمتع بها شخصيته.. استطاع عقله الباطن أن يكبت تلك النوازع العدوانية والسيئة.. إنها من أهم العمليات النفسية التي يقوم بها العقل الباطن وتعرف باسم سلاح الكبت REPRESSION.. هذه هي الوسيلة التي يدافع بها الإنسان عن نفسه حتى لا يرى التشويه الذي بنفسه فيكبته.. ولكنه يظل داخله يقلقه ويحيره ويفزعه وهو لا يدري عنه شيئًا، ولهذا لابد أن يسقطه على غيره.. أن يتهم غيره.. أن يسيء إلى غيره.. وبذلك يتخفف من قلقه وخوفه وفزعه.. فتقول امرأة عن امرأة: «هي المنحرفة ولست أنا.. هي السيئة ولست أنا».

ولولا هذه الحيل الدفاعية لانتحر الإنسان حين يتواجه مع هذا

الكم من السوء الذي بداخله.. ولهذا كانت النميمة وكانت الإشاعات.. والإشاعة تنمو وتكبر مثل كرة الثلج الصغيرة التي تتكون على أعلى قمة الجبل وحين تبدأ في انحدارها إلى أسفل تكبر وتتضخم حتى تصبح كتلة هائلة تجثم على سطح الأرض..

إن نقل الإشاعات وترديدها والإضافة إليها إحدى الوسائل الدفاعية الإسقاطية.. وكل إنسان يضيف إليها ليس حسب هواه كما يتصور أو كما يشعر بشكل مباشر وإنما حسب ما تم كبته داخله من عدوان وسوء..

* * ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.. فهذا الإنسان يمرض في النهاية بشكل واضح حين تظهر أعراضه على السطح وذلك حين تنهار حيله الدفاعية. يمرض تدريجيًّا حين تتسع الدائرة التي تنتشر فيها شروره وسيئاته ويرتد إليه بعض هذا السوء ويبتعد عن الناس وتزداد عزلته فينهار.. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا..

* * ولكن ماذا إذا كانت المرأة خائنة حقًّا..؟ ما دوافع الخيانة عند المرأة؟ ما الفرق بين المرأة الطاهرة العفيفة والمرأة الخائنة؟ لماذا تخون امرأة بسهولة؟ ولماذا تدافع امرأة عن شرفها حتى الموت حتى وإن أحاطت بها ظروف قد تدفع بالإنسان إلى الخيانة؟ هل هناك أنواع من النساء الخائنات؟

من واقع اجتهادي الشخصي تصورت أن هناك تسعة أنواع أو أنماط من السيدات الخائنات. أطلقت على النوع الأول اسم النمط البغائى.. ومعناه أن هذه السيدة الخائنة تشبه نفسيًّا البغي (العاهرة) أي أن هناك سمات نفسية مشتركة.

وأطلقت على النوع الثاني اسم النمط الأوديبي.. وأقصد به أن هذه المرأة الخائنة تعاني من العقدة الأوديبية ومعناها أنها لم تتخلص من حبها الجنسي لأبيها وعانت الغيرة والقسوة والاضطهاد من أمها.

وأطلقت على النوع الثالث اسم النمط الهستيري وهي تلك السيدة التي تعاني من شعور داخلي بالنقص الأنثوي لبرودها الجنسي وتميل إلى الاستعراض وجذب الرجال جنسيًّا لها.

وأطلقت على النوع الرابع اسم النمط السيكوباتي. وأقصد به الشخصية الإجرامية المنحرفة في كل شيء في الحياة ويكون أحد جوانب انحرافها الخيانة.

وأطلقت على النوع الخامس اسم النمط الوراثي وقصدت به أن الخيانة قد تورث، فإذا كانت الأم خائنة فإن جينات وكروموزومات الخيانة قد تنتقل إلى الابنة أيضًا.

وأطلقت على النوع السادس اسم النمط البيئي وأقصد به أن هذه السيدة عاشت في الظروف بيئية فاسدة تسود فيها الانحرافات وتصبح الخيانة من الأمور العادية والسهلة.

وأطلقت على النوع السابع اسم النمط الهوسي وأقصد به أن هذه السيدة الخائنة مريضة بمرض عقلي يعرف باسم الهوس والذي يتميز بفقد السيطرة على السلوك وانطلاق الغرائز والرغبة في تحقيقها وإرضائها بدون خجل.

وأطلقت على النوع الثامن اسم النمط الفصامي وقصدت به أن هذه السيدة الخائنة مصابة بمرض الفصام. ومن أعراضه التبلد

الوجداني والانفصال عن الواقع وفقد الإرادة والسلبية. ولسبب غير مفهوم قد تخون هذه المريضة زوجها بدون أي دوافع جنسية أو نفسية.

والنمط الأخير أطلقت عليه النمط الدوري الشهري، وتلك حالة فريدة شاهدتها خلال عملي على مدى ربع قرن وهي حالة سيدة لا تخون زوجها إلا مرة واحدة كل شهر في أسبوع ما قبل بدء الدورة الشهرية. ثم تندم بعد ذلك وتتألم لما فعلت وتتوب إلى الله. ولكنها تعاود تلك الرغبة القهرية الانحرافية مرة أخرى في الشهر التالي وهكذا.

ولكن هناك بالقطع أنواع أخرى لم أستطع أن أهتدي لها. فالنفس البشرية غريبة ومعقدة ولا يعلم كل أسرارها وخباياها إلا خالقها.. وعلماء النفس غير علماء الخلايا. فالخلية نراها تحت الميكروسكوب ونعرف ما أصابها من جراء المرض وكيف أصيبت. وكلما تقدمت التكنولوجيا عرفنا أكثر وأكثر عن أسرار الخلايا التي يتكون منها جسم الإنسان. أما في علم النفس فنحن نعتمد على مراقبة الإنسان وملاحظته.. نعتمد على التأمل الذاتي.. ونعتمد على التجربة الشخصية.. مجرد اجتهادات، نظريات ومدارس متعارضة ومختلفة مع بعضها البعض. وأشياء كثيرة ما زالت مجهولة وغير مفهومة عن السلوك الإنساني وطبائعه.. والخلاف لم يحسم بعد بين النظرية البيئية والنظرية الوراثية.. والخلاف لم يحسم بعد في تحديد حجم الدور النفسي والدور العضوي المادي في تشكيل الشخصية وتوجيه السلوك والإصابة بالأمراض. إن النفس البشرية لغز محير

سبحان من خلقها وسواها وألهمها فجورها وتقواها.

والآن.. فلنحاول أن نتعرف على الملامح النفسية للمرأة الخائنة.



## ١- النمط البغائي:

والمقصود به أن المرأة الخائنة تشبه البغي في بنائها النفسي.. والبغي هي تلك المرأة التي تدخل في علاقة جنسية مع أي شخص على استعداد لأن يدفع لها أجرًا نظير ما تقوم به. أي أن البغاء يعني علاقة جنسية غير مشروعة تقوم بين رجل وامرأة بقصد الحصول على فائدة مادية أيًا كان نوعها وذلك من قبل المرأة.. ويعتبر ذلك اضطرابًا نفسيًا لأنه يمثل انحرافًا عن السوية الجنسية لدى الإنسان.. فهذه المرأة تتاجر في جسدها نظير المال ومع أي رجل، بينما المرأة السوية تتجه عواطفها نحو إنسان واحد لا تمارس الجنس إلا معه بدون مقابل مادي وبدافع من رغبة متبادلة عاطفية وبدنية.

وقبل أن نتعرض لأوجه الشبه النفسي بين المرأة البغي (العاهرة) والمرأة الخائنة فلنتعرف على أسباب البغاء لعلنا نتعرف على ملامح لأسباب مشابهة في حياة المرأة الخائنة:

١- **أسباب اقتصادية:** معظم الدراسات أشارت إلى أن البغايا عشن حياة الفقر الشديد في طفولتهن وأنهن عانين الحرمان من المأكل والملبس والحياة النظيفة المريحة.. ولا يقتصر الأمر على ذلك بل كن يتطلعن إلى الحياة المترفة الثرية، فأحلام الثراء كانت تداعب خيالهن دائمًا.. إذن ليس الفقر وحده ولكنه الفقر مع التطلع المادي الشديد.

ولا ننسى أن هناك الكثير من الفقيرات الشريفات، وأيضًا هناك الكثيرة من البغايا اللاتي أتين من أسر أرستقراطية تتمتع بالثراء.

٢- **أسباب اجتماعية:** السمة السائدة هي التفكك الأسري في حياة كل بغي فهي لم تحظ في طفولتها بأي قدر من التربية السليمة والتنشئة الصالحة، كما عاشت وسط بيئة تنتشر فيها النماذج الانحرافية سواء من جانب الأب أو الأم أو الإخوة أو الأقارب أو الجيران وحيث انعدمت الرقابة والمتابعة..

٣- **أسباب نفسية:** هناك إجماع بين رواد التحليل النفسي أن البغي عانت في طفولتها من افتقاد الحب وخاصة من جانب الأب.. فالأب أعطى اهتمامه كله للأم أو لنساء أخريات وتجرعت الابنة مرارة النبذ والإهمال والاحتقار أحيانًا فآثرت الابتعاد وأدى ذلك إلى التبلد الانفعالي مع إحساس بالحقد والعدوانية تجاه الأب، فاندفعت إلى أحضان كل الرجال لتحط من قدر نفسها وبذلك تكون قد انتقمت من أبيها..

هل إذا بحثنا في حياة المرأة الخائنة سنجد أسبابًا مشابهة دفعت إلى الخيانة مثلما دفعت امرأة أخرى إلى البغاء؟

أين أوجه التشابه بين المرأة الخائنة والمرأة البغي في هذا النمط بالذات.. النمط البغائي؟

١ - المرأة البغي تحصل على مقابل مادي نظير منح جسدها.. وكذلك المرأة الخائنة تتوقع مقابلاً نظير منح جسدها.. تتوقع الاهتمام وتتوقع كلمات التقدير والإعجاب والقبول وكذلك يسعدها أن يترجم ذلك إلى شكل مادي، فهي تتوقع من الرجل الهدايا بل تنتظر منه التعبير المادي المباشر في صورة نقود. وهنا تنتشي ويتحرك داخلها إحساس مثير باللذة والسرور يؤكد التركيبة البغائية لديها.

والرجل الذي يدخل في علاقة مع امرأة من هذا النوع يدرك بحسه الداخلي نوعيتها ولذا يحرص دائمًا على تدعيم علاقته بها- إذا كان ما زال راغبًا فيها- بتقديم الهدايا والنقود. وتتوتر العلاقة إذا كان بخيلاً أو إذا حاول أن يبتزها ماديًا، أي إذا كان من ذلك النوع من الرجال الذي يتكسب من علاقاته النسائية، أي إذا كان يتمتع هو أيضًا ببناء نفسي بغائي.. ولا تخضع له ولا تقبل ابتزازه إلا المرأة المتقدمة في العمر حين لا تجد الرجل الذي يرغب فيها جنسيًا. وعمومًا فإن المرأة السوية والمرأة البغي تنفران من الرجل البخيل والرجل البغي.

إذن فالمرأة البغي والمرأة الخائنة لابد أن تحصل كل منهما على مقابل مادي نظير منح الجسد..

٢ - العلاقة في البغاء تقوم على العرض والطلب.. فالبغي تختار من يدفع أكثر، والعميل يختار الأجمل والأصغر.. وإذا فشلت البغي في إرضاء العميل فإنه لن يقبل عليها مرة ثانية، وإذا كان العميل غير سخي مع البغي فإنها لن ترضى به مرة ثانية.

وكذلك العلاقة في حالة الخيانة تقوم على العرض والطلب وإذا

فشل أي منهما في إرضاء الطرف الآخر فإن العلاقة تنتهي فورًا.. فإذا أصيب الرجل مثلاً بالعجز الجنسي أو إذا أفلس فإن المرأة الخائنة تتركه فورًا.. وكذلك إذا مرضت المرأة وأصبحت عاجزة عن إرضاء الرجل جنسيًا أو إذا كانت علاقته بها ستسبب له أدنى قدر من المتاعب فإنه سيتركها فورًا.. إذن علاقات البغي وعلاقات الخيانة قائمة على التلبية المباشرة والمستمرة للاحتياجات المادية والجسدية.. وكل طرف يحاول قدر إمكانه أن يأخذ أكثر ويدفع أقل..

أما في العلاقة السوية القائمة على الحب الحقيقي فإن كل طرف يعطي دون أن ينتظر المقابل فهو عطاء غير مشروط وغير محدود، والسعادة تتحقق من خلال العطاء وليس من خلال الأخذ، ويقبل كل طرف الآخر بنقائصه وضعفه وما قد يتعرض له من خسائر مستقبلاً. إن الإنسان في هذه العلاقة السوية مرغوب لذاته وليس لصفاته أو إمكانياته.

٣- يتعدد الرجال في حياة البغي وكذلك يتعدد الرجال في حياة المرأة الخائنة.. لا توجد بغي مارست مهنتها مع رجل واحد.. ولا توجد امرأة خائنة خانت مع رجل واحد.. أما في العلاقة السوية القائمة على الحب الحقيقي فإن المرأة لا ترتبط في عمرها كله إلا برجل واحد.. فتجربة الحب الحقيقي نادرًا ما تتكرر مرة ثانية في حياة المرأة..

٤- العلاقات في حياة البغي موقوتة زمنيًا وهي علاقات سريعة لا تستمر طويلاً.. أحيانًا ترتبط البغي بعميل واحد لفترة ما، ولكنها تكون قصيرة.. وكذلك الحال مع المرأة الخائنة لا تستمر علاقاتها طويلاً.. إنها علاقات أطول نسبيًا من علاقات البغي مع عملائها

ولكنها أيضًا علاقات موقوتة لها عمر محدد لا يمكن أن يقاس بالسنوات.. أما في العلاقة السوية القائمة على الحب الحقيقي فإن العلاقة تستغرق عمر المرأة كله أو أهم سنوات حياتها. علاقة تقاس بالسنوات.

٥- في العلاقة السوية القائمة على الحب الحقيقي يلعب الواجدن الدور الأساسي والموجه لمسار العلاقة.. ورغبة العاطفة هي الرغبة الطاغية التي تحرك كلاً منهما ناحية الآخر.. والاشتياق يكون لمجرد رؤية الآخر وليس لممارسة الجنس معه.. فلا يوجد ما يسمى بالاشتياق الجنسي الأوَّلي في علاقات الحب الحقيقي.

الجنس تحركه الرغبة العاطفية.. رغبة التلاقي.. وانعدام اللقاء الجنسي لا يؤثر سلبيًا على الرباط العاطفي، أما أي اضطراب يصيب العاطفة فإنه يؤثر سلبيًا على العلاقة الجنسية.. أي أن العلاقة الجنسية هي علاقة تابعة وليست أولية في العلاقات السوية.. والمرأة يسعدها في هذه العلاقة السوية رغبة الرجل فيها وكذلك يسعد الرجل رغبة المرأة فيه.. أي أن كلاً منهما يسعد برغبة الآخر فيه.. وهي رغبة وجدانية منبعها الحب وتحقق تواصلاً إنسانيًا يتحول إلى تواصل جسدي.

أما في البغاء فإن الشق الوجداني يكون منعدمًا تمامًا.. إنها علاقة مبنية على الرغبة الجنسية المحضة للرجل مقابل الرغبة المالية المحضة للمرأة.. وكذلك في الخيانة تتعطل تمامًا العاطفة. والمحرك الأساسي هو الرغبة الجنسية المحضة لدى الطرفين.

والمرأة البغي لا يعنيها رغبة العميل فيها وكذلك العميل لا يعنيه

رغبة البغي فيه، ولذلك لا ينشغل أي منهما بالآخر بعد انتهاء العلاقة.. وفي الخيانة يحرص طرفا العلاقة على تحقيق توقعات الآخر الجسدية دون الاهتمام بالرغبات العاطفية لأنها ليست موجودة أساسًا.. في البغاء جنس مقابل مال، وفي الخيانة جنس مقابل جنس.

٦- في العلاقة السوية القائمة على الحب الحقيقي يتحقق للمرأة إشباع عاطفي من خلال العلاقة الجنسية. فالاقتراب الجسدي يحقق معنى عاطفيًا. ولهذا فالاتصال الجسدي لا يطفئ الرغبة بل يزيدها.. أما البغي فلا يتحقق لها أي متعة جسدية أو عاطفية.. فالمتعة للعميل وحده هي متعة جسدية محضة، وتنطفئ الرغبة تمامًا لدى العميل بعد انتهاء المزاولة..

وكذلك في علاقة الخيانة فإن الرغبة تكون جسدية محضة لدى الطرفين وتنطفئ تمامًا بعد انتهاء المزاولة.. أي لا تحقق إشباعًا وإنما انطفاء، ولا تؤدي إلى مزيد من الرغبة وإنما تؤدي إلى موت الرغبة.

وقد يشعر العميل بعد انتهاء المزاولة مع البغي ببعض الاشمئزاز وكذلك قد يشعر طرفا علاقة الخيانة بهذا الاشمئزاز، أما في العلاقة السوية فإن الشعور لدي الطرفين بعد المزاولة يكون مفعمًا بالسرور والرضى والزهو الذي يشمل النفس والجسد معًا..

٧- الجسد هو نقطة البداية والنهاية في البغاء وفي الخيانة ولذا فالخيانة مقصورة على المرأة صغيرة السن والجميلة، وكذلك ممارسة مهنة البغاء تحتاج إلى مواصفات جسدية وجمالية خاصة.. وتقدم عمر المرأة يقلل من قيمتها في سوق البغاء وسوق الخيانة.. أما العلاقة السوية فإن المواصفات الجسدية لا تشكل أهمية في استثارة رغبة

الرجل في المرأة إنما تتحرك رغبته بدافع من اشتياقه العاطفي والذي يجعل حبيبته على قمة نساء الأرض جمالاً وحسنًا (حتى وإن لم تكن كذلك).

إن الإدراكات الحسية للرجل تتأثر بعواطفه حيث يقوم الوجدان المشتعل بالحب بتكوين صورة الجسد وتحريك الرغبة تجاهه وبذلك تصبح المرأة المحبوبة موضوعًا جنسيًّا مثيرًا دائمًا بالنسبة للرجل الذي يحبها والذي يشعر بحبها تجاهه.

وتلك الأحاسيس المتكاملة تمنع الرجل من خيانة المرأة التي يحبها إذ لا تستثيره أي امرأة أخرى.. وإذا حاول فإنه يفشل جنسيًّا أو يشعر بالاشمئزاز الشديد وتأنيب الضمير والدونية والحقارة ولذا لا يكرر المحاولة مرة أخرى..

٨- في البغاء يتعرض الرجل للغواية وكذلك في الخيانة تقوم المرأة بغواية الرجل واصطياده والتأثير عليه وجذبه لها، إذ هي التي تسيطر على الموقف منذ البداية وتحرك الأمور بذكائها وخبرتها ووفقًا لاحتياجاتها. وفي معظم الأحوال هي التي تنهي العلاقة إذا زهدت الرجل أو إذا التقت برجل آخر أثار إعجابها.. أما في العلاقة السوية فإن الانجذاب يكون متبادلاً من الطرفين منذ البداية ويسعى كل منهما ناحية الآخر ويلعب الرجل الدور الأساسي في تحريك الأمور وتوجيهها، وتنبني العلاقة تدريجيًّا وعلى مراحل تستغرق وقتًا طويلاً يقتربان فيه وجدانيًّا وفكريًّا ليتكون الهرم العاطفي بشكله السليم أي يحدث امتداد أفقي كافٍ في البداية يتيح الفرصة لامتداد رأسي شاهق..

٩- البغي بحكم طبيعة مهنتها لا تمانع بل ترحب بأن تعرف كل الرجال في وقت واحد امرأة لكل الرجال وليست امرأة رجل واحد.. وهي لا تمانع إذا دعت الضرورة أن تمارس الجنس مع رجلين في وقت واحد.. وكذلك المرأة الخائنة قد يكون في حياتها أكثر من رجل في وقت واحد.. إذ هي بينما تخون الرجل الأول مع الرجل الثاني فإنها تخون الرجل الثاني مع الرجل الثالث.. وكأنها تنتقم من كل الرجال.

وعلاقة البغي أكثر صراحة وأكثر شرفًا. فالعميل يعرف أنها ستذهب إلى غيره مباشرة بعد أن ينتهي من المزاولة معها وأنه لا يمكن الاحتفاظ بها على الإطلاق وأنه لا عواطف.. أما المرأة الخائنة. فإنها تلجأ إلى الستار العاطفي لتتخفى وراءه وتخفي مشاعر البغي داخلها وتحاول أن تقنع الرجل بأنها تحبه وأيضًا تقنع نفسها بأنه يحبها.

إذن علاقة الخيانة تنطوي على الخداع ليس فقط للطرف الآخر وإنما للنفس أيضًا.. البغي لا تخدع العميل ولا تخدع نفسها فهي تعرف تمامًا أن العميل لا يحبها وأنه يقبل عليها كشيء جنسي وليس موضوعًا عاطفيًا إنسانيًا ولذلك تكون قوية واثقة بقدراتها في هذه العلاقة.

أما المرأة الخائنة فلديها مخاوف متجددة من أن الرجل الذي معها قد يتركها في أي وقت حين يزهد فيها وأن عليها أن تبحث عن رجل آخر يعيد إليها الثقة بنفسها، ولذا فهي تحمي نفسها من هذا المطب النفسي بأن يكون هناك أكثر من رجل في حياتها في وقت واحد (ثلاثة رجال) أو على الأقل أن تكون مستعدة بالرجل الثالث فإذا رحل الثاني يكون الثالث جاهزًا ليداوي جراح نبذ الرجل الثاني لها.. فهي

تعرف أنها مثل البغي تمامًا.

إنها بالنسبة للرجل شيء وليست موضوعًا.. إنها شيء جنسي وليست موضوعًا إنسانيًّا.. شيء يتخلص منه الرجل حين يزهد فيه وليست موضوعًا مرتبطًا بحياته.. هي مثل البغي لأن البغي شيء. كأنها سلعة تعرض في السوق وتستأجر بمقابل لبعض الوقت ثم تنبذ ليعاود استئجارها رجل آخر.

أما البغي فهي أقل قلقًا وخوفًا من المرأة الخائنة لأنها موجودة في السوق كل الوقت تعرض نفسها، ودائمًا هناك رجل يدفع. كل ما يحدث هو أنه كلما تقدم بها العمر قل الثمن الذي يدفع لها. ولكن باستمرار هناك رجل.

١٠ - والمرأة الخائنة ذات النمط البغائي أي التي تتشابه مع البغي في سماتها النفسية، قد تلتقي برجل تحبه، هو الرجل الذي أهتم بها كموضوع وليس كشيء.. اهتم بها كإنسانة ولذا رفضها جنسيًّا ولذا أحبته.. ويكون هذا هو الشخص الوحيد في حياتها الذي تحبه فهي لا تحب أبًا أو أخًا أو زوجها أو حتى أبناءها فعواطفها معطلة تمامًا.. وهي لم تحب أي رجل أنشأت معه علاقة إلا هذا الرجل الذي رفضها جنسيًّا فتمنته.. ترغبه ولا يرغبها وتكون مستعدة للخضوع التام له ولكنه لا يريد خضوعها.. ولذا فهي تعيش الشق الجسدي مع آخرين وهم لا يملكونها ولا تخضع لهم وتتمنع عليهم وتذلهم وتنتقل من واحد لآخر.. وبذلك تجمع بين الحب والجنس..

وهي بهذا السلوك تشبه البغي التي ترتبط عاطفيًّا بالقَوَّاد.. والقواد هو الوسيط بين البغي والعميل.. وهو شخص مهم جدًّا في

حياتها تنشأ بينهما علاقة ود ومحبة وتخضع له وتطيع أوامره ولكنه ممتنع عنها جنسيًّا.. فالقواد يرفض أن يعاشر البغي.. وبذلك يكون هناك رجلان في حياة البغي. العميل الذي لا تحبه وبالرغم من ذلك تمارس معه الجنس ولا تخضع له ولا يمتلكها، ورجل آخر تحبه ولكنه رفض أن يمارس معها الجنس بالرغم من أنه يمتلكها بإرادتها وتخضع له.. وهذا هو قمة الانقسام في حياة البغي وحياة المرأة الخائنة والمحاولة اليائسة ولكن ذلك لا يحقق إرضاء أو إشباعًا وإنما مزيدًا من القلق والخوف والجوع، لأن الإرضاء الحقيقي لا يتحقق إلا إذا كان هناك رجل واحد يمدها بالحب والجنس معًا..

في العلاقة السوية القائمة على الحب الحقيقي يستولي شخص واحد على الوجدان وهو الذي يحرك الجسد..

في النقاط العشر السابقة أوضحنا أوجه الشبه بين البغي والمرأة الخائنة ذات النمط البغائي أي التي تشبه البغي في بنائها النفسي وهي تختلف عن أي امرأة أخرى تخون حيث إن هناك أنماطًا أو أنواعًا مختلفة.

## ٢- النمط الأوديبي:

ومعناه أن المرأة التي تخون لديها صراعات أوديبية لم تُحل. وبذلك تكون الخيانة سلوكًا مرضيًّا قهريًّا اضطراريًّا تندفع نحوه بدون وعي وبدون توجيه إرادي. والموقف الأوديبي معناه أن يتجه الطفل الذكر برغبته إلى أمه ليجد نفسه في صراع مع الأب بوصفه المالك الشرعي للأم والذي يقف أمام رغبة الطفل ويحول دون إشباعها. بينما تتجه الطفلة الأنثى بحبها إلى الأب في منافسة مع الأم.

هذه مرحلة طبيعية يمر بها كل طفل وكل طفلة من سن الثالثة إلى سن السادسة ثم يُحل بعد ذلك الموقف الأوديبي حلاً طبيعيًا تلقائيًا صحيًا وذلك يعتمد إلى حد كبير على حسن إدارة الأب أو الأم للموقف ومدى وعيهم بمشاعر أطفالهم واحتياجاتهم.

يحل الموقف الأوديبي بالنسبة للطفل الذكر بتخليه عن رغبته في الأم دون تخليه عن رغبته الجنسية في موضوع بديل. ويتوحد الطفل بأبيه ويقترب منه أكثر ويصير صديقًا له وليس منافسًا في حب الأم.. ويحل الموقف الأوديبي بالنسبة للطفلة الأنثى بتوحدها مع الأم وإرجاء رغبتها إلى السن الذي تصبح فيه موضوع رغبة من الرجل.

وهذا معناه أن الطفل يكتسب قيمة مهمة وهي كراهية المحارم. أي الاشمئزاز والرفض من ممارسة الجنس مع أقارب الدرجة الأولى. أما إذا لم يحل الموقف الأوديبي حلاً صحيحًا سليمًا فإن الصراع يستمر.. صراع الذكر مع أبيه ليفوز بأمه. وصراع الأنثى مع أمها لتفوز بأبيها.

وهذا معناه التثبيت على حب المحارم وبذلك يجد كل منهما- الذكر والأنثى- صعوبة في إقامة علاقة جنسية عاطفية مع الجنس الآخر. أي صعوبة إيجاد بدائل جنسية للأم وللأب.. وحين يختار كل منهما فإنه لا شعوريًا يختار شبيهة الأم- في حالة الذكر- وشبيه الأب في حالة الأنثى.. أي حين يختار الشاب شريكة حياته فإنه يختارها شبيهة بأمه وكذلك تفعل الفتاة حين تختار شريك حياتها يكون شبيهًا بأبيها.. ولأن إشباع الرغبات الجنسية في هذه الحالة يرتبط بالتحريم فإن الرجل يصاب بالعجز الجنسي والمرأة تصاب بالبرود الجنسي.

♥♥♥

بعد أن تعرفنا على الموقف الأوديبي.. ما علاقة الصراعات الأوديبية بخيانة المرأة؟

هناك شقان للصراع.. صراع مع الأم وصراع مع الأب.

في الصراع مع الأم تكون هناك منافسة واضحة ومباشرة ومعلنة بين الطفلة وأمها.. وتكون هناك أيضًا حرب خفية مستمرة وخاصة إذا كانت الأم غير سوية. هذه الحرب الخفية تستعمل فيها الأم كل أسلحتها ويكون الهدف منها تحطيم إحساس ابنتها بأنوثتها. تحاول الأم أن تتفوق على ابنتها في التزين وإظهار محاسنها وجمالها وجذب انتباه الناس لها، وفي نفس الوقت تحرم ابنتها من فرصة إظهار جمالها والاهتمام بمظهرها، وقد توجه لها الانتقادات بشكل مباشر وأمام الآخرين بأنها معدومة الأنوثة وأنها تشبه الرجال أو أنه كان من الأفضل أن تولد ذكرًا.. وتكون المنافسة واضحة وشرسة في مجال العلاقة بالأب.

وقد تنجح الأم في تحطيم ابنتها وإضعاف ثقتها بذاتها الأنثوية. وتصبح هذه الفتاة الصغيرة في مأزق خطير وخاصة إذا كانت ذات حظ قليل أو متواضع من الجمال. قد تكون أقل جمالًا من الناحية الشكلية من شقيقاتها وتشعر بالفتاة الصغيرة بشكل مباشر بهذا الفرق وتراه في عيون أمها وفي عيون باقي أسرتها. وقد تسمعه بشكل مباشر من خلال المديح المستمر لجمال شقيقاتها والرثاء لحظها القليل من الجمال. تشعر أن أباها قد فضل أمها عليها، وتشعر أن أي رجل سيفضل أمها عليها، وستشعر أن أي رجل لن يهتم بها.. ومن هنا تبدأ المشكلة ويبدأ أيضًا السلوك الغريب الذي يجعل هذه الفتاة الصغيرة

حين تصل إلى مرحلة المراهقة تجري وراء كل شاب أو رجل يبدي لها اهتمامًا سطحيًّا أو حتى بدون أن يبدي لها أي اهتمام.. تسعى هي من أجل الحصول عليه، ليس لشخصه، وليس لاحتياجها لما يمكن أن يعطيه أي رجل للفتاة من جنس وحب ولكن لترضي أنوثتها المنقوصة المهزوزة والتي تحطمت على يد أمها وساعدها أبوها في ذلك بإهماله لها.

هذه الفتاة قد تتعرض للنبذ الكامل فلا تنشأ في أحضان أسرتها بل قد يدفعون بها إلى جدتها أو عمتها أو خالتها لتقوم بتربيتها وتكون تلك هي الضربة القاضية في حياة تلك الطفلة البائسة. إذ تشعر بالرفض والنبذ والطرد، وتصبح علاقتها مضطربة مدى الحياة بأمها وبأبيها وخاصة بأمها التي تمثل لها عدوًّا مباشرًا في عقلها الواعي وفي عقلها الباطن والتي طردتها من بطنها إلى الشارع.

هذه الفتاة البائسة تريد أن تشعر أنها مرغوب فيها وأن الرجال يتهافتون عليها وأنها محبوبة. وبالرغم من ذلك يتولد لديها عداء شديد تجاه الرجال ولهذا فهي لا تقيم علاقة ثابتة مستمرة، بل هي تنتقل من شخص لآخر.. وتسعى بالذات وراء الرجل الذي يرفضها أو الذي لا يبدي اهتماما بها. تظل وراءه وتبذل كل الوسائل من أجل أن تحصل عليه. وبعد حصولها عليه تفقد رغبتها واهتمامها به ثم تطرده من حياتها. كما أنها لا تتحمس كثيرًا للرجل الذي يقبل عليها من البداية. وقد تشمئز من الرجل الذي يهيم بها حبًّا وغرامًا وتهرب منه وتحتقره وقد تمعن في إذلاله وتتلذذ بضعفه وتهاويه وتسخر من هيامه وعشقه لها.

وهذه الفتاة قد تمارس الجنس مع كل رجل تعرفه. ولكن أبدًا وعلى الإطلاق لا تستمتع بأي علاقة جنسية بالرغم من ادعائها غير ذلك. فهي قد تظهر للرجل قدر استمتاعها الذي بلا حدود ولكن كل ذلك تمثيل وزيف وكذب وادعاء.. إنها لا تشعر بشيء على الإطلاق فقد ماتت رغبتها الجنسية. إن أمها قد أجهزت على أنوثتها وعلى قدرتها على إرضاء الرجل وعلى قدرتها على الاستمتاع برجل. وحتى لا يهرب منها الرجل الذي تعرفه فإنها تبالغ في إظهار حبها واهتمامها به وتبالغ في إظهار استمتاعها أثناء لقائها الجنسي معه.

هذه الفتاة البائسة تشعر بالحقد على كل فتاة. وتشعر بالمرارة الشديدة حين تسمع عن قصة حب موفقة أو عن زواج سعيد. وهي تنتقد كل فتاة وكل سيدة وتتهمها بأبشع الاتهامات. وهي تتشكك في إخلاص كل رجل. تسعى دائمًا إلى الوقيعة بين كل حبيبين أو كل زوجين. إلى هنا وهي ترى كل امرأة سيئة السمعة. وترى كل امرأة دميمة. ولا مانع لديها- بل هذه هي لعبتها المفضلة- أن تستميل زوج صديقتها ناحيتها وتوقعه في حبائلها. تميل أكثر إلى إقامة علاقاتها مع رجال متزوجين. لا يثيرها كثيرًا الرجل الأعزب بل هي تريد رجلاً متزوجًا لتذل وتؤذي زوجته.. فأي زوجة تمثل أمها وأي زوج يمثل أباها، وهي تريد أن تشعر أنها انتصرت على أمها وأخذت أباها منها. أخيرًا ترك الأب الأم وجاء إليها هي.

* * إنها فتاة في غاية الاضطراب. على علاقة سيئة بأمها وأبيها وأشقائها وشقيقاتها وصديقاتها.. لا تستطيع أن تحتفظ بصديقة. اتخذت موقفًا عدائيًا من الناس ومن الحياة.

قد تتزوج ولكن أبدًا لا تستقيم علاقتها بزوجها. ومن الشهر الأول بعد الزواج تتعرف برجل ثانٍ وثالث وهكذا. تظل تدور في هذه الحلقة التعسة المؤلمة..

وهي ليست متبلدة الإحساس تمامًا إذ تنتابها حالات من الاكتئاب والحزن والإحساس باليأس. تنتابها حالات القلق والتشاؤم والملل السريع ولا تطيق أن تجلس وحيدة.

قد تكون ذكية، مثقفة، متميزة في عملها ولكن لا شيء يحقق لها أي سعادة. وتبذل كل المستحيلات لتبدو جميلة، وقد تكون جميلة فعلاً ولكنها لا تشعر أنها جميلة.. تهتم بشدة بفساتينها. بمكياجها.. بشعرها.. بعطورها.. ترتعب من تقدم السن.. كل قراءاتها واهتماماتها بالجمال وإطالة فترة الشباب وتأجيل التجاعيد. ترتعب من الأمراض وتخاف الموت ودائمًا تشكو من أعراض جسدية ليس لها أساس عضوي. تشكو من آلام في كل جزء من جسدها وتصبح صديقة للأطباء فهي دائمة الشكوى ودائمة الإحساس بالمرض.

والأب قد يلعب دورًا خطيرًا في توجيه ابنته للانحراف فتصبح إما بغيًّا أو خائنة. هذا ما يؤكده كل المحللين النفسيين. فالفتاة التي تعاني من نقص الحب من جانب الأب تصاب بالتبلد الانفعالي الناتج عن الإحباط الشديد مع الشعور بالحقد والعدوانية الشديدة تجاه الأب. إنها تندفع في طريق الانحراف لتحط من قدر نفسها وبذلك تحط من قدر أبيها باعتباره المالك لها.. وكذلك إسراف الأب في حب ابنته يؤدي إلى التثبت العشقي. ولكن الأب في نفس الوقت يفضل الأم جنسيًّا، وتقع الفتاة في مأزق لأنها مضطرة في النهاية للتوحد مع

أمها، وفي هذه الحالة ترى أن أمها بغي أو خائنة ولذلك تسلك الفتاة نفس الطريق فإما تصبح بغيًا أو خائنة..

* * هذا هو النمط الأوديبي للمرأة الخائنة. والأساس فيه اضطراب علاقة الطفلة الصغيرة بأمها وأبيها مما يشوه علاقتها بالرجل في المستقبل.

## ٣- النمط الهستيري:

ومعناه أن المرأة الخائنة تكون ذات شخصية هستيرية. وهي بذلك تدخل حظيرة الطب النفسي وتعتبر خيانتها كأحد مظاهر السلوك الهستيري أو نتيجة للصراعات النفسية التي تعاني منها الشخصية الهستيرية. وتكون الخيانة بذلك ليست سلوكًا مقصودًا لذاته وليست تعبيرًا عن رغبة أولية، والدليل على ذلك أن المرأة الخائنة ذات النمط الهستيري لا تستمتع جنسيًا أو لا تستهويها العملية الجنسية ولا تقبل عليها لإرضاء رغبة بدنية ملحة. ولذلك فبالرغم من تعدد علاقاتها بالرجال فإنها قليلاً ما تنغمس جنسيًا معهم.

والطريف في الأمر أنها قد تتباهى بعلاقات جنسية لم تحدث وهي بذلك تبعد عن نفسها شبهة البرود الجنسي. وأيضًا تتحدث عن تهافت الرجال عليها ورغبتهم فيها وبذلك تبعد عن نفسها شبهة نفور الرجال منها لبرودها الجنسي.

إذن المشكلة الأولى والأساسية لهذه المرأة مشكلة جنسية. هناك كبت للجنس أي كبت واقع على الرغبة الجنسية. سلوكها كله يدور حول هذا المحور فهي تغري الرجل بشتى الوسائل وما أن يقدم على العلاقة الفعلية معها تلبية لنداء الإغراء حتى تبدأ في النفور وتعلنها

صراحة أن هذا الرجل يرغب فيها ولكنها هي الرافضة.

وهي إنسانة سطحية المشاعر إلى حد بعيد أقرب إلى التبلد الوجداني وإن كانت تظهر عواطف حارة ولكنها مؤقتة وسطحية وسرعان ما تتبخر وتزول سريعًا مثلما بدأت. وكل سلوكها مدفوع بالرغبة في جذب الاهتمام كالمبالغة والتهويل والكذب وترويج الإشاعات والوقيعة بين الناس وتمثيل دور الضحية المضحية.. تنتقل بسرعة من علاقة إلى علاقة ومن صداقة إلى صداقة حيث لا توجد علاقات أو أشياء ثابتة في حياتها فهي لا تقوى على الارتباطات الدائمة المستقرة. وتركيزها الدائم على الجوانب المظهرية والشكلية للناس والأشياء والعلاقات دون الاهتمام بالجوهر أو المحتوى أو العمق.

ونفس الاهتمام تعطيه لمظهرها الخارجي والذي هو وسيلتها الأساسية في جذب انتباه الرجال وإغرائهم جنسيًّا ولهذا تميل إلى الملابس التي تكشف أكبر أجزاء من جسدها مع المبالغة في استخدام المساحيق والعطور. كل ذلك وهي معطلة الوجدان ومعطلة البدن.. يكثر خطابها أكثر من شقيقاتها- برغم تواضع جمالها في بعض الأحيان- نظرًا لجاذبيتها الكاذبة.. وبالرغم من ذلك يتم زواجها عشوائيًّا وبسرعة.. وقد تندفع في حماقة فتتزوج بطريقة اندفاعية درامية برجل يكبرها كثيرًا في السن أو يصغر عنها كثيرًا أو من ديانة مختلفة أو من بلد أجنبي. ويتهشم الزواج أو تضطرب العلاقة الزوجية سريعًا مثلما بدأت. تضجر وتتبرم وتود الخلاص.. وقد تندفع في حماقات أخرى مع رجال آخرين.

وبنفس القدر الذي تبدو به ناعمة حالمة رومانسية فإنها تندفع أيضًا في ثورات هائجة تخرج فيها عن كل الحدود اللائقة فتسب وتلعن بألفاظ لا تتناسب مع مستواها الاجتماعي ويبدو أنها تستمتع بترديد هذه الألفاظ وخاصة الجنسية منها مثلما هي دائمة الحديث في المواضيع الجنسية.

لهذه المرأة ثلاث مشكلات: امرأة أجمل منها، ورجل تحاول الإيقاع به، وجنس تحاول أن تثبت أنها مفتونة فيه..

ومعظم خيانات هذه المرأة شفوية أي باللسان دون أن تتورط في علاقة جنسية، ولذا تكثر حولها الإشاعات والتي تؤكدها هي ذاتها بمظهرها المبالغ فيه وبصوتها التي تجيد استخدامه كوسيلة للإغراء. بل قد تسعد هي بهذه الإشاعات التي تؤكد سلامتها الجنسية.. ولكن قد تسلم نفسها فعلاً لرجل في لحظة إحباط شديد حين تنهار ثقتها بنفسها وذلك حين ينبذها أو يرفضها رجل، ولكن هيهات أن يتحقق لها أي إشباع نفسي أو جسدي.

* * هذه المرأة تعيسة بقدر ما هي مريضة، والخيانة إذا وقعت تكون مظهرًا من مظاهر الاضطراب النفسي الذي تعانيه.

## ٤- النمط السيكوباتي:

ومعناه أن المرأة الخائنة تكون ذات شخصية سيكوباتية. وهي شخصية ذات نوازع إجرامية ولذا تعرف أيضًا باسم الشخصية ضد الاجتماعية.. وفيها يكون الأنا الأعلى أي الضمير ضعيفًا وبذلك لا تحكم السيطرة على النزعات الأولية الغريزية لدى الإنسان من حب للمال والسلطة على حساب كل القيم. يكذب ويسرق وينافق ويؤذي

ويخون ويغش. وكذلك يسرف في علاقاته الجنسية (سواء رجل أو امرأة) وتكون علاقات متعددة أي لا وفاء ولا التزام ولا خلفية من أي حب حقيقي ولكنه قد يصطنع الحب الزائف كوسيلة لتغطية سلوكه الجنسي. ولأن من السمات الأساسية لهذه الشخصية عدم الالتزام بعهود أو مواثيق ولا تعرف الإخلاص أو الوفاء.. فالزواج لا يرضي هذه الشخصية فتندفع في علاقات متعددة..

* * هذه الحالات تبدو شاذة وغريبة وخاصة إذا كانت صغيرة في السن. وتلك هي الحالات التي تأتي بها الأسرة عادة للعيادة النفسية. فالمراهقة الصغيرة التي لا يتعدى عمرها الرابعة عشرة تقيم علاقات متعددة مع كثير من الشباب تنطلق من علاقة إلى أخرى وقد يكون لها علاقة بأكثر من شاب في وقت واحد، وقد يتطور الأمر إلى علاقات جنسية. وسمات الشخصية السيكوباتية تبدأ في سن مبكرة. فالفتاة الصغيرة تسرق أو تكذب أو تهرب من المدرسة وتهمل في دراستها وتسيء معاملة والديها وتقسو على إخوتها وأخواتها ولا تحمل أي عواطف لأسرتها. وفي الغالب تعلنها صراحة بأنها لا تحب أيا من أفراد أسرتها ويكون ذلك حقيقيًا لأن من أهم سمات هذه الشخصية التبلد الوجداني. ولكن المشكلة الحقيقية التي تواجه الأسرة هي انحراف هذه الفتاة سلوكيًا بمعنى تعدد علاقاتها بالشباب. وتحاول الأسرة بشتى الوسائل العقابية والإرهابية تقويم سلوك الفتاة ولكنها تفشل فشلاً ذريعًا.

لا عقاب يجدي.. ولا نصيحة تفيد.. وهذه الفتاة لا تجد عادة متعة في هذه العلاقات.. بل أيضًا لا تجد أي متعة جنسية. وهي لا

تتزوج عن حب فهي لا تعرف الحب في حياتها لأنها متبلدة وجدانيًا.. لا تحب إلا نفسها فهي شديدة الأنانية شديدة القسوة والعنف وإن بدت غير ذلك. يستهويها إيذاء الآخرين وتعذيبهم وإذلالهم والحط من شأنهم.. لا أمانة ولا إخلاص ولا وفاء ولا صدق.. تسعى للذة الفورية اللحظية.. لا تستمتع بعاطفة ولكنها قد تستمتع فقط جنسيًا في أحوال قليلة..

وغير معروف حتى الآن لماذا يولد الإنسان بشخصية سيكوباتية.. إنه أمر موروث بلا شك تكشف عنه خصائص جينية كروموزومية. وتكشف عنه أيضًا اضطرابات في كهرباء المخ. وأكبر دليل على ذلك ظهور سمات الشخصية السيكوباتية في مرحلة مبكرة من العمر وفي ظل ظروف بيئية مثالية..

* * والمرأة الخائنة ذات النمط السيكوباتي لا تخون رجلها فقط ولكنها تخون في كل شيء. أي أن خيانتها للرجل لا تكون هي المظهر الوحيد لشخصيتها المضطربة ولكن نوازعها الإجرامية تبدو في مظاهر سلوكية أخرى وفي علاقاتها ببقية الناس..

وهي امرأة تفتقد كل القيم الطيبة والسامية التي أنعم الله بها على بقية البشر فلا شرف ولا وفاء ولا إخلاص ولا أمانة.. انتزع الله من قلبها الرحمة فهي في غاية القسوة، وانتزع الله من قلبها الرضا فهي حاقدة حاسدة أنانية، تقسو على الضعيف واليتيم والفقير وتستولي على مال المحتاجين وتلوك سير الناس وأعراضهم ولا ينجو من شرها أحد.

إنها الصورة المتكاملة للفساد والانحراف على الأرض ولا يوجد

من هو أسوأ منها.. إنها ظل الشيطان على الأرض ومن يقترب منها فإنه يكتوي بنارها ويحترق بشرورها وآثامها.. ولقد آتاها الله براعة التمثيل وبذلك فهي قادرة على خداع البسطاء والطيبين، وهي يستهويها خداع هؤلاء الطيبين والبسطاء وتتلذذ بهذا الخداع.. وهي تتلذذ أكثر حين تخون رجلاً يظن فيها الطهر والبراءة.. وتكون لذتها أقل حين تمارس الانحراف في حالة عدم وجود رجل تخدعه.. إذن هي تتلذذ بالخداع وتتلذذ بالخيانة أكثر مما تتلذذ بالجنس.

ولنوضح الصورة أكثر: هذه المرأة السيكوباتية إذا لم تكن متزوجة وغير مرتبطة برجل ثابت فإنها لا تسعد بعلاقاتها الجنسية المتعددة، وإنما الإثارة والمتعة لا تتحقق إلا إذا مارست هذه العلاقات وهي زوجة أو وهي مرتبطة ارتباطًا قويًا برجل ما.

* * ولا أحد يستطيع أن يعد عدد الرجال الذين عرفتهم في حياتها، فإن كل رجل تقع عليه عيناها ويستهويها فإنها تسعى إليه وتحاول الإيقاع به.. إن حياتها تدور حول هذا المحور.. لابد أن يكون هناك رجل باستمرار في حياتها.. وليس رجلاً واحدًا.. فقد تعرف رجلين أو ثلاثة أو أربعة في وقت واحد ولكنها تعطي الإيحاء لكل منهم أنه الرجل الوحيد الذي تحبه والذي يستهويها.

إن اللذة الكبرى في حياة هذه المرأة هي الخداع والغش.. وكذلك الإثارة.. إثارة أن تعرف رجلاً جديدًا.. به شيء مختلف.. رجلا يبدي لها اهتمامًا.. رجلاً تشعر أنها تمتلكه في لحظة.. واللذة تزداد إذا شعرت أنها أخذته من امرأة أخرى. وهي امرأة ذكية.. والخيانة تحتاج إلى ذكاء لتستطيع أن تدبر وتخطط لكي لا ينكشف

أمرها ولكي تجيد الخداع..

* * وهي نموذج سيئ كأم.. أطفالها يعرفون عنها كل شيء.. وقد تجد لذة أكثر حين يشاهد أطفالها عشاقها.. فهي لا تحاول أن تخفي علاقاتها المتعددة عن أطفالها.. بل قد تستعين بأطفالها لتغطية تحركاتها وهي تقابل عشاقها.. والمأساة الحقيقية أن هؤلاء الأطفال لا يرونها مع رجل واحد من الممكن أن يتصوروا أنها تحبه وأنها ستتزوج به بعد انفصالها عن أبيهم ولكن للأسف فإنهم يرونها مع أكثر من رجل، وذلك قمة الظلم والقهر الذي يقع على هؤلاء الأطفال والذين يتأثرون بسلوكها ويمضون هم أيضًا بعد ذلك في طريق الانحراف.. ليس الانحراف الجنسي فقط ولكن الانحراف في كل شيء أي التخلي عن كل القيم كالإخلاص والوفاء والأمانة.

وإذا استعرضنا الأوجه المختلفة لحياة هذه المرأة فسنجد أن الاضطراب الأخلاقي الإنساني القيمي يشمل كل هذه الأوجه:

١- فهي لا تستطيع أن تصادق.. لا توجد صديقة دائمة حميمة لها ولكن هناك صديقة لكل مرحلة.. والصداقة قائمة على المصلحة المطلقة إذن لا بد أن تستفيد منها.. وإذا انتهت المصلحة وانعدمت الاستفادة فإنها تسقطها تمامًا من حياتها. ولهذا فهناك أصدقاء لكل مرحلة.

٢- معظم الصديقات يَكُنَّ من المنحرفات اللاتي لهن نفس السمات ونفس الميول.. ومن النادر أن تجد لها صديقة تتمتع بقدر معقول من الأخلاق والقيم والالتزام.. ولكن من الغريب أن ترتبط بها صديقة تحمل لها حبًا ومودة وكأنها تعطف عليها وتأمل في أن

تثنيها عن انحرافها وكأنها ترى بداخلها شيئًا طيبًا قابلاً للاستثمار والتوجيه والتنمية.

ويعجب المرء كيف أن سيدة فاضلة تصادق وتزامل سيدة منحرفة.. ولكن يبدو أن هذه المنحرفة السيكوباتية تحتاج بجوارها إلى إنسانة تطمئن لها وتركز عليها وتلجأ إليها لأنها تعرف في قرارة نفسها أن كل ما هو حولها زيف مثلما هي الزيف بعينه.

٣- لا تحمل عواطف لأي إنسان لا لأبيها ولا لأمها ولا لأشقائها.. أبنائها وبناتها.. جيرانها.. زملائها.. وزميلاتها.. لا تحمل عواطف في قلبها لأي أحد.

٤- تسعى إلى المال بشتى الوسائل.. وبدون مبالغة فإن السرقة هي هوايتها المحببة.. بل تسعد بالسرقة وبالنصب والاحتيال والغش من أجل الحصول على المال.. وهي تستخدم المال من أجل متعتها الخاصة ووسيلتها للتأثير على الرجال..

حقيقة هي تستغل الرجل لينفق عليها ويغدق بالمال والهدايا ولكن ليس لديها مانع في أن تشتري رجلاً يعجبها. فمثلما هي تسعد بأن توقع رجلاً ثريًا في حبائلها فإنها أيضًا تسعد بأن توقع رجلاً يعجبها حتى وإن كان فقيرًا غير قادر على نفقات الحب فتقوم هي بالإنفاق عليه ودفع تكلفة الحب.. إنها تفعل أي شيء من أجل أن تحصل على الرجل الذي يستهويها..

٥- الكذب هو السمة الأساسية في حياة هذه المرأة.. لا يمكن أن تصدق أبدًا.. ولا تتورع أن تقسم بالله وبكتبه المقدسة كذبًا.. إنها امرأة لا ضمير لها يوخزها إذا حلفت كذبًا..

٦- إنها امرأة شديدة القسوة لا ترحم أحدًا وتتلذذ بتعذيب الآخرين وخاصة الضعفاء كالخدم والصغار والذين يعملون تحت إدارتها.. وتتفنن في الإيذاء والتحقير وإهانة الآخرين وتسعد وهي تراهم يتعذبون من الألم..

٧- نرجسية لا تعشق إلا نفسها، مغرورة متعالية لديها شعور طاغٍ بأهميتها وبأنها هي الوحيدة التي تملك أندر الصفات وأغلى المواهب ولا أحد مثلها ولا أحد يضايقها ولا أحد يملك أن ينافسها والويل لمن يحاول أي يبزر بجوارها أو أن يتعداها أو حتى أن يرفع قامته بجانبها في لا ترى إلا نفسها عملاقة دون بقية الناس.. خيالها دائمًا يتجه ناحية النجاح غير المحدود. والمحيطون لابد أن يسخروا أنفسهم لخدمتها وراحتها والعناية بها، تستغلهم وتستثمر إمكانياتهم وتستنفد طاقاتهم لخدمة مصالحها ثم تنكر جهودهم. علاقاتها بالناس قائمة على الاستغلال والانتهازية والأنانية.

ولابد أن نقرر حقيقة مهمة وهي أنه لا علاج لهذه الشخصية.. ولهذا فهي لا يمكن أن ترجع عن طريق الخيانة، ستظل خائنة حتى آخر يوم في حياتها.

والشخصية السيكوباتية تعرف عن نفسها كل ذلك.. أي لديها استبصار.. وهي تعرف مدى جمود عواطفها وعدم قدرتها على الحب وميلها أو وعشقها للخيانة.. ومن المهم أن نعرف أن خيانتها ليست مرتبطة بأي عوامل خارجية كأن نتصور منها أنها تخون لأن لديها زوجًا قاسيًا خائنًا بخيلاً، أو أنها محرومة جنسيًّا.. بل على العكس قد يكون لها زوج شاب محب مخلص كريم يبذل كل جهده ليحقق لها

الإشباع العاطفي، الجنسي، ولكنها رغم ذلك تخونه.. إذن الخيانة لمجرد الخيانة.. الخيانة متعة في حد ذاتها لأن الخيانة هي جزء من نسيجها النفسي. جزء من سمات شخصيتها.

وكما أوضحت، فإنه من غير المعروف لماذا يخلق إنسان ما سيكوباتيًا.. وبكل تأكيد سيكتشف في المستقبل إن شاء الله الأسباب التكوينية مثلما اكتشفنا أسباب التشوهات الخلقية التي يولد بها بعض الأطفال.. إن الشخصية السيكوباتية هي نوع من أنواع التشوه النفسي الذي يولد به الإنسان مثل أي تشوه خلقي آخر..

## ٥- النمط الوراثي:

هل الخيانة تورث مثل طول القامة ولون العينين ونوع الشعر وطريقة الرقاد والمشي، ومثل بقية الأمراض الوارثية؟ هل إذا كانت الجدة أو الأم خائنة فإن الابنة تصير خائنة أيضًا؟ هل الخيانة مرض عائلي يورث من جيل إلى جيل؟

هناك بعض الأدلة على ذلك ولكنها أدلة لم ترق إلى الحقيقة العلمية الثابتة المؤكدة.. معظم الخائنات يجئن من بيئات فاسدة.. والمرأة الخائنة قد يكون لها أم أو جدة أو شقيقة خائنة. والعكس صحيح أحيانًا، فامرأة خائنة قد تأتي من أسرة طيبة محافظة متدينة ملتزمة بكل القيم السامية. وأيضًا امرأة مخلصة وشريفة وفاضلة قد تأتي من أسرة يشيع فيها الفساد والخيانة.

هذه الأشياء لا يمكن إثباتها إلا عن طريق الدراسات الإحصائية، وهذا أمر من دروب المستحيل، لأن الخيانة أمر مستتر لا يُعرف منه إلا ما يفتضح أمره ومن الصعب أن تقر امرأة بخيانتها

حتى وإن ضمنت سرية البحث العلمي. وكم من الرجال يتصورون أن زوجاتهم أشرف النساء بينما هنَّ منغمسات إلى قمة شعورهنَّ في الخيانة، وكم من النساء يبدون في قمة الفضيلة والاحترام والشرف أمام المجتمع وهن في حقيقة أمرهنَّ منبع كل فساد وانحراف.. إذن هذا أمر لا يمكن إخضاعه للبحث العلمي لمعرفة دور الوراثة في الخيانة وكذا لابد أن نعتمد على الاجتهاد الذاتي والانطباعات الشخصية..

وأنا أتصور أن في الخيانة جانبًا وراثيًا، أو أن الانحراف عمومًا له جانب وراثي وأنا أقصد هنا بالذات المرأة التي تخون رجلها أي زوجها، أو الرجل الذي تحبه وتدعي له أنها مخلصة له ولا تعرف رجلاً سواه وبالذات الخيانة الجنسية.

## وتثار هنا عدة أسئلة محيرة:

١ - هل لا يوجد انحراف آخر لدى هذه المرأة غير الخيانة؟

٢ - هل تمارس الخيانة لاحتياجات نفسية أم لاحتياجات جنسية غريزية؟

٣ - هل تستطيع هذه المرأة أن تحب رجلا حبًّا حقيقيًّا وأن تخونه في نفس الوقت؟

٤ - هل الخيانة هنا مع رجل واحد أم مع عدة رجال؟ وهل يتعدد الرجال في نفس الوقت أم كل رجل في مرحلة ما؟

٥ - هل يتعدد الرجال بكثرة في حياتها أم أنهم عدد محدود طوال فترة حياتها؟

٦- هل تستطيع المرأة أن تخون رجلاً وهو في هذه الحالة يكون زوجها وأن تخلص لرجل آخر وهو في هذه الحالة يكون حبيبها؟ بمعنى آخر: هل الخيانة والإخلاص يجتمعان؟

وإذا أعطينا إجابات محددة وقاطعة على هذه الأسئلة نكون كأننا صببنا الإنسان في قوالب صماء ليتشابه فيها كل الناس وهذا يتنافى مع الطبيعة البشرية التي خلق الله الإنسان عليها بما فيها من اختلاف وتنوع وتناقض. بل إن الإنسان يختلف من لحظة إلى أخرى، ومن موقف إلى آخر، ومن عام إلى عام، ومن مرحلة في العمر إلى مرحلة أخرى، يختلف حسب الأشخاص الذين يعيشون معه، يختلف في الصحة والمرض، في الفقر والغنى.

**١- إذا أردنا الإجابة على السؤال الأول، وهو: هل من الممكن أن تكون امرأة خائنة ولكن تتمتع بصفات إنسانية أخلاقية تكاد تكون فيها مثالية كأن تكون أمينة، مخلصة في عملها، مخلصة لأهلها وأصدقائها، معتزة بكرامتها، تحرص على حقوق الآخرين، لديها مشاعر رقيقة تعطف بها على الفقير المحتاج والمريض؟**

قلنا إن بعض الناس يصرخون ويقولون مستحيل. الخيانة أم الرزائل، الخائنة لزوجها أو لحبيبها هي خائنة في كل شيء.. الخيانة لا تتجزأ.. الأخلاق لا تتجزأ.. السوء لا يتجزأ.. الإنسانة التي تخون زوجها أو حبيبها إنسانة سيئة في كل شيء لا يمكن أن نثق بها..

ولكن البعض الآخر وهو الذي يتولى الجانب الإنساني في فهمه للنفس البشرية وضعفها يرى العكس.. يرى أن الخيانة قد تكون

انحرافًا مجردًا في حد ذاته منفصلاً عن بقية جوانب الشخصية. يرونه كالنقص في التكوين أو في التشوه الخلقي الذي يولد به الإنسان، وأن هذا النقص محصور في مكانه ولا يؤثر على بقية الجوانب الأخرى. وأن بكل إنسان نقصًا أو ضعفًا ومن الظلم أن نرفض الإنسان كله وأن ندينه كله وأن نلفظه كله لوجود هذا الضعف أو هذا النقص المحدود. ومن كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر.. وأنه إذا تأمل الإنسان في ذاته وبصدق سيكتشف أنه ارتكب أخطاء عدة في حياته.. قد يكون خان مرة، أو سرق مرة، أو كذب مرات، أو تعمد إيذاء أحد أكثر من مرة، أو حقد أو كذب.. أو.. أو.. ولكن هذا ليس معناه أنه سيئ بالإطلاق أو أنه سيظل سيئًا مدى الحياة.

وقد تتمكن رذيلة معينة في إنسان ما، ولكن يمتنع عن بقية الرذائل.. ضعف معين موروث كإدمان الخمر أو القمار أو الولع بالجنس الآخر ولعًا نفسيًا أو جنسيًا.. أو قد يكون له ميل لنفس الجنس أي أن يكون شاذًا جنسيًا ولكنه رغم ذلك إنسان مثالي أو حتى معتدل وطبيعي في جميع شئون حياته.

أصحاب الرأي الأول يرون أن الفضيلة لا تتجزأ أو أن الانحراف لا يتجزأ ويرون أن الخيانة هي أسوأ أشكال الانحراف لأنها تنطوي على عدم الأمانة والكذب والخداع والإنحلال وعدم الشرف ومن المستحيل أن تتمتع المرأة الخائنة بأي سمات أخلاقية طيبة.

أما أنصار الرأي الآخر فيرون العكس فالإنسان في رأيهم ليس كالآلة التي إذا تعطل فيها جزء تعطلت بقية الأجزاء. وذلك لأنها آلة

صماء بلا انفعال وبلا تفكير. وإنما الإنسان هو فكر وإحساس وضمير وغرائز وتاريخ وآمال وإحباطات وضعف وقوة واحتياج وغرائز.. أشياء تتفق وتتعارض.. أشياء اكتسبها وأشياء ورثها.. ولذا فقوانين الآلة لا تنطبق على الإنسان.. ولذا فالخائنة قد تكون أمينة في تعاملاتها المادية ومخلصة لصديقاتها عطوفة على المحتاجين.

**٢- والسؤال الثاني أيضًا من الصعب الإجابة عليه، وهو هل تمارس المرأة الخيانة لاحتياجات نفسية أم لاحتياجات جنسية غريزية؟ إننا نحتاج لامرأة خائنة للإجابة على هذا السؤال.**

وأنا أتصور أن واقعة الخيانة هي المقصودة لذاتها. الخيانة كخيانة هي التي تحقق الإرضاء النفسي.. إنه أمر يكتنفه إثارة شديدة.. إن المرأة تسعى إلى الإثارة تمامًا مثل المقامرة أو ممارسة الهوايات الخطرة التي تعرض صاحبها للموت..

- ربما إن الخيانة تنطوي على خداع رجل آخر في حياتها، فقد يكون الدافع النفسي هو الانتقام.. أو قد يكون لديها إحساس عميق خفي بأنها قد خدعت. إحساس مترسب لديها منذ طفولتها، ولهذا فلابد أن تبادر بالخداع ولسان حالها يقول في كل مرة: «أنا الخادعة ولست المخدوعة.. وسأظل أخدع كل رجل حتى آخر يوم في حياتي».

- أو ربما يكون احتياجًا نفسيًّا من نوع آخر يدفع عنها الملل.. إنها نفس يداهمها الملل الشديد ولا يدفع عنها هذا الملل ولا يسري عنها إلا أحضان رجل..

- وقد يكون الاحتياج للأمان. والأمان عندها رجل.

- أو قد يكون الشيء الوحيد الذي يحقق لها معنى الحياة والإحساس بها أن يكون معها رجل.. وهنا لا يكفي رجل واحد.. بل هي تريد كل رجال الأرض.. رجل تلو رجل.. الرجل هو المعنى وهو الحياة.. والرجال متنوعون.. وكل رجل به شيء جديد.. وكل رجل به لمحة جديدة.. كل رجل يعطي شيئًا جديدًا.. دائمًا هناك شيء جديد تحت الشمس.. ولهذا فهي لا تشبع.. لا يرتوي ظمؤها.. ولهذا تتمني أن يطول بها العمر لتعرف كل الرجال..

- وتبقى الإجابة على الشق الثاني من السؤال الثاني: هل الدافع هنا جنسي محض؟ هل هناك مرض يعرف باسم زيادة الرغبة الجنسية أو النيمفومانيا NYMPHOMANIA هذا أمر مشكوك فيه إلى حد كبير ومن الصعب أن نتصور أن زيادة الرغبة الجنسية هي الدافع وراء الخيانة لأن كثيرًا من السيدات الخائنات مشبعات جنسيًا من أزواجهن، إلا إذا كانت زيادة الرغبة مصحوبة بالرغبة في التنوع أي إن الإرضاء الجنسي في هذه الحالة لا يتحقق بكثرة الممارسة الجنسية وإنما بتنوع الرجال حتى وإن لم يحظوا بالكفاءة الجنسية التي تحقق الإشباع الكامل.. أي أنه ليس من المهم كفاءة الرجل جنسيًا وإنما المهم أنه رجل جديد.

وعمومًا فإن الأمرين يكونان مجتمعين أي زيادة الرغبة مع الولع بالتجديد.. إلا أننا لا نستطيع أن ننكر بالكامل أهمية الرغبة الجنسية الزائدة في الخيانة، وهي تلك السيدة التي تمارس الجنس مع كل رجل تقابله. قد تنتقي أحيانًا رجالاً ذوي مواصفات معينة أي على درجة

من الثقافة أو الوسامة أو القوة أو الملاءمة الاجتماعية، أو قد تندفع في الممارسة الجنسية مع أي رجل تقابله وهذا في تقديري أمر نادر الحدوث جدًا.

**٣- ونأتي إلى أحد الأسئلة الصعبة جدًا وهو هل تستطيع المرأة أن تحب رجلاً حبًا حقيقيًا وأن تخونه في نفس الوقت؟**

بعض علماء التحليل النفسي يوافقون على ذلك ويرون أن المرأة من الممكن أن تحب رجلاً حبًا حقيقيًا ولا تحب غيره، ولكن من الممكن أن تمارس الجنس مع رجل آخر لا تحبه.. إنها تفصل بين الحب والجنس.. فالحب ظاهرة نفسية والجنس ظاهرة بدنية.. ويرون أن الحب، أي السلوك العشقي العاطفي، من الممكن أن يستمتع باستقلال ذاتي ولكنه بالقطع من الممكن أن يؤدي إلى اللقاء الجنسي.. فالاستقلالية هنا ليس معناها الابتعاد عن الجنس أو عدم ممارسته ولكن الاستقلالية تعني أنه قائم بذاته. أي أن المرأة تحب الرجل لذاته كإنسان وليس كمصدر يمدها باللذة الجنسية.. ولكن هذا الشق الجنسي البدني يتبع الشق النفسي العشقي العاطفي.

وفي أحيان قليلة يستغل الشق النفسي العشقي العاطفي، أي يستغل الحب استغلالاً كاملاً بدون اندفاع أو رغبة لاستكمال الشق البدني الجنسي.. ولكن باجتماعهما تتحقق الوحدة الكاملة للإنسان.. إنها علاقة بين جزأين.. وبالتالي فإن الخيانة البدنية لا تنتمي إلى علاقة الحب ومن الممكن أن تتم منفصلة عن الحب.. فالخيانة هنا بدنية ولا يمكن أن تكون نفسية.. أما الحب فهو نفسي وبذلك لا يكون هناك ما يسمى بالخيانة النفسية أو خيانة الحب.. لا خيانة في الحب.. إما الحب

أوْ لا حب.. ولكن من الممكن أن يكون هناك حب حقيقي من المرأة للرجل ولكن يمكنها أن تمارس الجنس مع رجل آخر لا تحبه.

المرأة لا يمكن أن تحب رجلين في وقت واحد ولكن يمكنها أن تحب رجلاً وفي نفس الوقت تمارس الجنس مع رجل آخر.. ولذا فالخيانة البدنية في رأي بعض المحللين النفسيين لا تنتمي لظاهرة الحب.. والإنسان كائن نفسي مثلما هو كائن مادي.. والحب يحقق السعادة للإنسان، أما الجنس فيحقق اللذة للإنسان في اللحظات الأخيرة من الجماع..

* * إن عقل الإنسان لا يستطيع أن يقبل هذا التحليل ولكن هذا هو ما تقرره بعض النساء.. إن هذه المرأة لا تدري سر سلوكها.. إنها تحب رجلاً بعينه وتقسم بإخلاص أنها لم تحب قبله ولا بعده.. أي أنها مخلصة له في حبها.. تراه أحسن الناس وأعظمهم وأفضلهم وتفكر فيه ليل نهار وتفعل أي شيء وتضحي بأي شيء من أجله..

ولكن.. ولكن هذا لا يمنع أن يشدها رجل تراه في أي مكان.. شيء ما يشدها له.. تسعى إليه.. ويكون لها هدف واحد فقط أن تعاشره جنسيًا.. قد ترتبط به فترة ولا يكون اللقاء إلا من خلال الجنس ولا تحمل له أية عاطفة أو تقدير أو احترام.

قد يكون هناك إعجاب لأمر ما.. وهذا الإعجاب هو الذي شدها إليه ولكن قلبها لا ينبض له.. إذا ذهب أو اختفى أو حتى مات لا تهتم ولا تأبه.. هي فقط التي تبحث عنه وتحدد المكان وتحدد ما تريده منه.. فقط لحظات اللقاء الجنسي ولكنها أيضًا قد تعطيه إحساسًا وهميًا بشدة إعجابها به وبحبها له.. ثم تتركه بعد فترة قصيرة

أو فترة ليست طويلة.

وقد يظهر إنسان ثالث وتعاشره بمثل الطريقة التي تعاشر بها الإنسان الثاني.. رجلان أو ثلاثة في وقت واحد حسب ظروفها ووقتها وإمكانياتها.. ولكن لا أحد منهم يمس قلبها.. إن قلبها محجوز بالكامل لحبيبها.. وهذه المرأة حبها دائم وثابت ومستقر ومستمر لا يتزعزع ولا تضعفه السنوات ولا تنال منه الأحداث والأيام ولا تنهكه الجراح حتى وإن أبدى هو- حبيبها- اهتمامًا أقل وإقبالاً محدودًا.. يبقي هو هو.. في القلب والعين مدى الحياة.

ويمر بحياتها العديد من الرجال.. رجال قد يفوقون حبيبها في كل شيء، وسامة وشبابًا ومالاً وجاهًا ولكن لا أحد يحرك قلبها.. إنها فقط تريد هؤلاء الرجال في فراشها.. وبعد أن ينهض الرجل من فراشها ويمضي تنساه تمامًا وكأن شيئًا لم يكن.. لا يبقى منه أي آثار على جسدها وعلى روحها.. فقط حصلت منه على اللذة اللحظية المؤقتة التي استمرت لمدة ثوان، وسبقها استمتاع لمدة ساعات بالتصاقه بها.. إنها لحظات اللذة البدنية دون أي شعور بالسعادة.. السعادة مفتقدة تمامًا في مثل هذه العلاقات.

هذه المرأة قد تعرف عشرين أو ثلاثين أو مائة رجل.. رجل في كل أسبوع أو رجل في كل شهر أو رجل في كل سنة.. رجل هي تختاره.. رجل يعجبها شكلاً.. رجل تتخيله معها في الفراش.. رجل تسعى إليه من أجل شيء واحد محدد ولا تريد منه أكثر من ذلك.. وإذا أحبها هذا الرجل فإنها تنفر منه وتهرب منه فورًا.. إنها لا تريد منه الحب.. إنها تريد جسده.. تريد لحظات اللقاء بالفراش.. ربما

ليس لرغبة جنسية محضة خالصة ولكن لإشباع بدني شامل، فهذه المرأة قد تكون غير قادرة على تحقيق اللذة النهائية أو أن الأمر قد يحتاج مجهودًا مضنيًا من الرجل للوصول بها إلى الذروة، ولكنها عادة لا تسعى إلى هذه الذروة أو لا تعنيها كثيرًا، لأنها تعرف أمر أنها من صعب المنال بالنسبة لها.. ولهذا فهي تكتفي بلحظات الجماع التي يتحقق فيها الالتصاق الكامل.

هذه المرأة قد تحصل على اللذة دون الوصول إلى الذروة.. لذة اللقاء مع الرجل في الفراش في حد ذاتها قد تحقق لها الإرضاء.. ويكفيها أحيانًا أن الرجل قد وصل هو إلى ذروته وفي هذه اللحظة تشعر بالاكتمال واللذة وتكتفي بهذا القدر.. وهي بهذا تقترب من النموذج البغائي الذي سبق أن تحدثنا عنه. فالبغي لا يعنيها أن تصل إلى ذروة اللذة والأمر ينتهي عندها إذا وصل الرجل إلى ذروته.

هذه المرأة التي تحب رجلاً حبًّا حقيقيًّا ولكن تمارس الجنس مع رجال آخرين تحمل سمات مشتركة مع نمط البغي والنمط الأوديبي والنمط الهستيري.. فإذا رجعنا إلى هذه الأنماط فسوف نجد أن هذه المرأة:

١- لا تشعر بالحب تجاه من تمارس معهم الجنس.

٢- لاتصل في معظم الأحوال إلى ذروة النشوة.

٣- تتعدد علاقاتها بالرجال.

٤- هي التي تختار الرجل الذي يعجبها.

٥- تنتهي صلتها تمامًا بالرجل بعد أن تمارس معه الجنس.

٦- تحرص على أن تكون جذابة دائمًا في أعين كل الرجال وتستثيرهم جنسيًا.

٧- لديها مخاوف تقدم العمر وتخشى نبذ الرجال لها.

٨- علاقاتها مضطربة بأبيها وأمها.

إلا أن هذه المرأة تختلف عن أنماط البغي والأوديبية والهستيرية في أنها تحب حبًا حقيقيًا.. تحب رجلاً واحدًا.

وإذا قبلنا رأي المحللين النفسيين في الفصل بين الحب العشقي والخيانة البدنية فإن هذا الأمر من الممكن أن يحدث مرة أو مرتين في حياة المرأة، بمعنى أنها قد تخون زوجها أو حبيبها مرة أو مرتين طوال حياتها خيانة بدنية مع رجل لا تحبه.. ولكن إذا تعددت علاقات هذه المرأة بالرجال من أجل المعاشرة الجنسية فقط، بالرغم من حبها الحقيقي الدائم والمستقر والمستمر لرجل واحد، فإننا نكون هنا أمام ظاهرة مرضية أو على الأقل امرأة غير طبيعية لا ينطبق عليها رأي المحللين النفسيين حين فصلوا بين سلوك الحب العشقي والجماع.

*** * وفي تقديري أن هذه المرأة:**

١- إما أنها تعاني من انهيار شديد في الثقة بنفسها كأنثى أي تتمتع بدمامة زائدة أو تشوه خلقي في شكلها، أو على الأقل تواضع شديد في جمالها مما يجعلها في حالة قلق مستمرة ولهذا تندفع من رجل لرجل حتى تثبت أنها حقًا مرغوبة وأن هناك من الرجال بل كل الرجال، يعجبون بها.

٢- وإما أنها معقولة في شكلها الخارجي أو حتى جميلة ولكنها تشعر في داخلها أنها غير مكتملة الأنوثة وأنها عاجزة عن إرضاء أي رجل.. ولهذا فهي تضع نفسها في اختبارات مستمرة..

٣- وإما أنها امرأة سيكوباتية.. ولكننا قلنا إن السيكوباتية لا تحب، لأنه ليس لها عواطف.. ولكن إذا قبلنا أن لكل قاعدة شواذ فإننا نستطيع أن نقبل أن هذه امرأة سيكوباتية أي منحرفة ومنحلة ولكنها استطاعت أن تحب رجلاً واحدًا وتخلص له بعواطفها ولكنها لا تستطيع أن تخلص له بجسدها.

٤- والاحتمال الأخير أن هذه المرأة قد عاشت في ظروف بيئية شديدة الفساد سواء في طفولتها ومراهقتها وحتى بعد زواجها، ولهذا فالانحراف البدني يبدو أمرًا هينًا بالنسبة لها ولا يتناقض مع مشاعر الحب التي تشعر بها نحو رجل معين..

**٤- بالنسبة للإجابة على السؤال الرابع الذي يتعلق بالخيانة الوراثية أي المرأة التي تأتي من أسرة تشيع فيها خيانة المرأة أو يشيع فيها الانحراف بشكل عام.. والسؤال هو: هل الخيانة تكون مع رجل طوال حياة المرأة أم مع أكثر من رجل؟ وهل من الممكن أن تجمع أكثر من رجل في وقت واحد؟**

**والإجابة:** أن المرأة الخائنة من النادر أن يكون هناك رجل

واحد في حياتها وعلى مدى حياتها. المرأة الخائنة يتعدد الرجال في حياتها.. وإذا كانت من النوع السيكوباتي فإنها قد تعرف أكثر من رجل في وقت واحد..

**٥- وبالنسبة للسؤال الخامس: هل يتعدد الرجال بكثرة في حياتها أم أنتم عدد محدود طوال فترة حياتها؟** فالإجابة هي: أن السيكوباتية فقط هي التي تستطيع أن تعرف رجلاً جديدًا في كل يوم، أما معظم النساء في الأنماط الأخرى فإن عدد الرجال لا يزيد على اثنين أو ثلاثة أو أربعة على الأكثر.

**٦- ثم نأتي إلى أصعب الأسئلة وأعقدها: هل تستطيع المرأة أن تخون رجلاً وهو في هذه الحالة يكون زوجها وأن تخلص لرجل آخر وهو في هذه الحالة يكون حبيبها؟ بمعنى آخر هل الخيانة والإخلاص يجتمعان؟**

إذا كانت الخيانة داء وراثيًا، فالتي تخون زوجها تخون حبيبها.. وكلمة وراثي بمعنى الميل أو الاستعداد أو التكوين.. والاستعداد الوارثي قد يكون كامنًا غير ظاهر ثم تأتي ضغوط خارجية لتظهره أو قد يظل كامنًا مدى الحياة.

إذن العوامل أو الظروف الخارجية أو الاستعداد القوي الطاغي لديها الذي دفعها لخيانة زوجها من الممكن أن يدفعها مرة ثانية لخيانة حبيبها أي الرجل الثاني، وبالتالي يدخل الرجل الثالث في حياتها وهذا أمر غير نادر الحدوث.

ولكن الأمر النادر حقًّا هو أن تخون زوجها وتخلص لحبيبها

مدى الحياة.. إن الأمر في النهاية يتوقف على مدى الاستعداد القوي للخيانة الذي ورثته وعلى مدى العوامل الخارجية التي دفعتها للخيانة.

ومن الناحية العقلية المحضة والمجردة فإن الخيانة والإخلاص لا يجتمعان.. فهي حين خانت زوجها فهي قد خانت العهد والميثاق حتى وإن لم تكن تحبه. فعقد الزواج ينص على الوفاء والإخلاص. وهي حين ذهبت إلى رجل آخر فهي قد خانت هذا العقد.. هذا هو المنطق الأخلاقي الديني القانوني.. ولكن المرأة التي تحب لها منطق آخر.

إن عقلها الباطن وبدون أن تدري يسقط تمامًا كل الاعتبارات الأخلاقية الدينية القانونية بل لا تعتبر نفسها خائنة، فهي ترى أنها لم تحب هذا الرجل الآخر إلا حين كرهت زوجها، إنها لم تحب رجلين في وقت واحد. ولم تتجه إلى الرجل الثاني لأغراض جنسية. إنها فقط أحبته بدون إرادتها ولو حاولت أن تمنع نفسها من حبه لما استطاعت، ولو كان هناك وسيلة أو دواء للقضاء على هذا الحب في قلبها للجأت إليها.

نحن ندين هذه المرأة بالخيانة ولكن لابد أن نستمع إليها ونتعرف على مواطن ضعفها وأن نساعدها في أن تجد العلاج. إنها تريد أن تقول إنها مختلفة عن بقية النساء اللاتي يبحثن عن الجنس واللهو والمتعة. لقد توقف إحساسها النفسي والبدني تجاه زوجها واتجه إحساسها النفسي تجاه رجل آخر. إنه حب عشقي خال من البعد البدني. حب حقق لها سعادة ولم تسع من ورائه إلى اللذة.

وحين يتحقق الشق الثاني وهو البعد البدني الجنسي فإنها تجد المبرر لذلك وهو أن عواطفها سبقت بدنها ليتحقق الاكتمال في العلاقة. إذن- من وجهة نظرها- خيانتها ليست خيانة بدنية. بل هي ليست خائنة على الإطلاق. وإنما هي مجرد امرأة أحبت.

* * في هذه الحالة يجب أن تنتهي علاقتها بزوجها بالشكل القانوني.. قد تكون صادقة في مشاعر الإخلاص تجاه حبيبها ولكن بلا شك هي خائنة لزوجها. ولو تصورنا أنها غير متزوجة وأحبت رجلاً معينًا. وبعد فترة انتهى هذا الحب من قلبها وأحبت رجلاً آخر. المتوقع والطبيعي في هذه الحالة أنها ستترك الرجل الأول الذي أحبته ثم كفت عن حبه وستتفرغ للرجل الثاني الذي أحبته.. ليس من المعقول أن تجمع بين رجلين أحدهما لا تحبه والآخر تحبه.

وهنا نأتي إلى أغرب النماذج من النساء اللاتي أعتقد أنهن يندرجن تحت قائمة المرضى والمضطربات نفسيًّا.. إنها امرأة متزوجة ولا تحب زوجها ولكنها تستمر معه. ثم تحب رجلا آخر وتخلص له في عواطفها. ثم تعرف رجلاً ثالثًا لا تحبه ولكن تمارس معه الجنس.. المجتمع يحكم عليها بالانحراف والانحلال والفساد والطب النفسي يحكم عليها بالمرض..

## ٦- النمط البيئي:

إذا كان الانحراف يورث عن طريق الدماء أي عن طريق الخلايا المحملة بكروموزومات وجينات الخيانة فهل للبيئة نفس التأثير؟ لقد كثر الجدل حول هذه القضية ليس فقط فيما يتعلق بموضوع الانحراف والخيانة ولكن في شتى الاضطرابات النفسية والسلوكية.

هناك اتجاه يدعم بشكل مطلق دور البيئة في التأثير على السلوك والدفع إلى الانحراف وخاصة خيانة المرأة.. والبيئة تشمل الأب والأم والإخوة والأخوات، والجيران والحي والمدينة والمجتمع كله الذي تعيش فيه المرأة.. وحجتهم في ذلك أن الطفل يولد ونفسه وعقله صفحة بيضاء نظيفة ويتطلع حوله ويتعلم بالمحاكاة والتقليد، ابتداء من نطق الكلمات إلى المشي إلى تعبيرات الوجه وهكذا. ثم يتعلم الأنماط المختلفة من السلوك في التعامل مع الآخرين. ثم يكتسب تدريجيًّا مجموعة القيم التي تكون جهازه الأخلاقي وتشكل ضميره.. وجوهر القيم هو الحب. والمصدر الأول هو حب الأم لطفلتها ثم حب أبيها ثم الحب بين الأب والأم.

قد تستنشق الطفلة الحب وقد تستنشق الكراهية.. ومنه تتعلم الإخلاص والوفاء والمودة والتراحم والتعاطف.. ومن الكراهية تتعلم العدوانية والحقد والأنانية وعدم الوفاء وعدم الالتزام بأي شيء.. والقيمة التي تغرس في الطفل تصبح ثابتة، والصور التي تنطبع في ذهن الطفل لا تنمحي. ولهذا فإذا تعرضت الطفلة لقيم سلبية وصور فاضحة فإنها ستتشكل وبصورة نهائية على نسق فاسد انحرافي.

ولكن لابد أن يتم هذا التشكيل في المراحل المبكرة من العمر أي في السنوات الأولى، أي لابد أن تعايش الطفلة الصغيرة خيانة الأم فتتصور أن هذا أمر سهل وسلوك طبيعي، ولابد أيضًا أن تسمع أو تعايش وتشاهد خيانة الأب فتتصور أيضًا أن هذا الأمر معتاد لا غرابة فيه. وخاصة إذا لم يتعمد كل من الأم والأب أن يخفيا خيانتيهما.

وإذا حاولا أيضًا أن يقدما المبررات.. إذن ستصبح الخيانة أمرًا يمكن حدوثه إذا كان له ما يبرره. سيصبح منح الجسد لأي رجل أمرًا سهلاً سواء إذا كانت المرأة متزوجة أو مرتبطة برجل تحبه إذا كان لديها المبررات لذلك..

ولكن أحيانًا تبارك البيئة بشكل أوسع سلوك الخيانة. والبيئة تشمل المجتمع الصغير والمجتمع الكبير حيث يكون من الأمور الشائعة والمعتادة أن يكون للزوجة عشيق وتتباهى بذلك، وأن تتسابق النساء من أجل إقامة علاقات بالرجال، ويصبح ذلك هو الحديث المعتاد والمسلي في تجمعات النساء من كل الطبقات أعلاها وأدناها ولا حرج ولا خجل ولا حياء بل هي أمور تجلب السرور وتدفع الملل وتثري الحياة وتؤكد المكانة الأنثوية الجمالية التي تحظى بها المرأة.

هناك في حقيقة الأمر مجتمعات وصلت إلى مثل هذا المستوى من الفساد بحيث يكون من المستغرب ألا يكون للمرأة عشيق. عشيق دائم لبعض الوقت وعشاق متغيرون متجددون.. وبالطبع لا علاقة بين الحب وهذا الشكل من الانحرافات، فإذا نشأت امرأة في هذه البيئة وارتبطت بها فإنها ستتوحد بأفكارها وقيمها وتصير واحدة منهن وإلا تصبح منبوذة وشاذة وغريبة. والمرأة التي لديها الاستعداد الغريزي الفطري الوراثي لهذا الانحراف تنسجم تمامًا مع مثل هذه البيئة وتتعايش معها.

ولذلك فليس من الصعب أن تدفع سيدة أو مجموعة ومن السيدات امرأة إلى الانحراف والخيانة.. هذه الإنسانة تفقد قيمها

نقطة نقطة وقطرة قطرة.. قد لا يستغرق الأمر وقتًا طويلاً إذا كان استعدادها للانحراف قويًّا.. وقد يستغرق وقتًا طويلاً إذا كان استعدادها للانحراف قليلاً أو إذا كانت من أسرة تتمتع ببعض التماسك القيمي الأخلاقي.. ولكن في النهاية تسقط.. ومؤيدو النظرية البيئية يؤكدون أن وراء كل امرأة خائنة أمًّا خائنة وأبًا خائنًا وصديقة خائنة تأخذ بيدها في النهاية إلى هذا الطريق..

والمنحرفات يتعرفن على بعضهن بسهولة ويُكَوِّنَّ صحبة أو «شلة».. ومن الصعب أن تجد بينهن سيدة فاضلة.. أي أن الطيور على أشكالها تقع. وفي مثل هذه المجتمعات فإن المرأة المنحرفة لا يهمها أن تخفي أمرها أو تداري سلوكها بل هي تتحدث عن مغامراتها بصراحة وتثرثر عن نفسها وكأنها تتلذذ بتعرية نفسها، ولعلها هنا تتشابه مع أصحاب مرض التعرية.. في هذا المرض يجد المريض لذة في كشف أعضائه الجنسية للآخرين.. وفي مرض آخر يجد المريض لذة في أن يشاهده الآخرون وهو يمارس الجنس.

إلا أنه في خبرتي المهنية لا أميل إلى التأييد الكامل للنظرية البيئية، بل أنا أكثر ميلاً إلى النظرية الوراثية.. البيئة فقط تؤثر على من لديها الاستعداد للانحراف.. والخيانة- خيانة الزوج أو الحبيب- استعداد وتكوين وميل فطري غريزي وراثي.. إنه شيء يمشي في الدم أي يدخل في تكوين الخلايا والله أعلم.

## ٧- النمط الهوسي:

الهوس هو أحد الأمراض العقلية المعروفة، وهو مرض متكرر أي يأتي في نوبات منفصلة كل نوبة تستغرق أيامًا أو أسابيع يعود

بعدها المريض إلى حالته الطبيعية أو قد يصاب بعدها أو قبلها بنوبة اكتئاب، ولهذا يسمى هذا المرض بذهان الهوس والاكتئاب الدوري.

مريض الهوس تغمره سعادة طاغية، يكون كثير الحركة والنشاط ولا يكف عن الكلام.. قليل النوم.. يسرف في كل شيء.. والأهم أنه يفقد السيطرة تمامًا على سلوكه الاجتماعي وخاصة في سلوكه الجنسي. ويبدو أن هذا المرض يكشف اللاوعي الحقيقي للإنسان.. يعريه تمامًا. يظهره على حقيقته.. يزيل عن عقله القناع.. لا حياء ولا خجل يقول أي شيء.. يفعل أي شيء رغبته الجنسية الجامحة لا يخفيها.. ينهار وقاره.. ينسي مكانته الاجتماعية.. تتجاهل صورتها كأم، تتحدث عن كل أمور الجنس ببساطة أمام بناتها وأمام كل الناس. تتغزل في الرجال.. تتعرف بأي رجل في أي مكان في أي وقت، ويتم اللقاء الجنسي بعد أول تعارف.. ويتكرر الفعل.. مع أي رجل.

إفراط زائد ونشاط بلا حدود ورغبة جامحة ولا مبالاة تامة. لا مانع أن تعاشر رجلاً جديدًا في كل يوم.. رجلاً تلقاه بالصدفة.. وتحكي لصديقتها عن فعلتها لا تخفي شيئًا.

هذه الصور المبالغ فيها تحدث في حالة الهوس الحاد، ولكن هناك حالات أقل حدة تسمى بالهوس تحت الحاد، وهنا تستطيع المريضة إلى حد ما التحكم في سلوكها ولكنها أيضًا تسرف في علاقتها الجنسية. وهي التي تبادئ بمغازلة الرجال ودعوتهم. تصبح عواطفها حادة وحارة وتشعر أنها تعيش حالة حب مع الرجل الذي تقابله ولذا تندفع معه في علاقة كاملة وتفعل أي شيء من أجله. تتغيب عن بيتها. تسافر إلى مكان بعيد، تنفق عليه من مالها. تهبه كل ما عندها.

تطلب الطلاق من زوجها. تصرح لكل الناس أنها على علاقة حب بهذا الرجل. وهذا الرجل في الغالب لا يكون ملائمًا لها. قد يكبرها كثيرًا في العمر. وقد يصغرها كثيرًا.. قد يكون من وسط اجتماعي متواضع جدًا بالنسبة لها وقد يكون من ديانة مختلفة. وقد تندفع فعلاً في إتمام الزواج وهي تحت تأثير نوبة الهوس تحت الحاد. والمشكلة أن الهوس الحاد قد يمتد شهورًا..

وقد تكون الأعراض بسيطة فلا يدرك أحد أن هذه الإنسانة مريضة. وإزاء سلوكها الجنسي الشاذ فقد تتعرض لمشاكل قانونية جسيمة كأن تضبط في بيت للدعارة أو في مواقعة «زنا» أو قد يطلقها زوجها أو قد تتعرض للقتل من جانب أسرتها.. وهي في كل الأحوال تسيء لنفسها ولأسرتها ولأبنائها. والذي أحب أن أؤكد عليه أن هناك درجات من هذا المرض تختلف في الحدة وأخطرها بالقطع تلك التي يصعب تشخيصها ولا تبدو عليها مظاهر مرضية واضحة وخاصة تلك التي تستمر لفترات طويلة.. وفي هذه الحالة يدينها الناس بالانحراف والانحلال.

والغريب أنه بعد أن تنتهي منها تلك الحالة تعود إلى سلوكها المعتاد المتزن المتوازن، وأحيانًا تصيبها نوبة اكتئاب فتنطوي وتهمل في مظهرها وتفقد رغبتها الجنسية تمامًا.. وقد تطول فترة الاكتئاب أيضًا ثم تعود إلى حالتها المتوازنة أو قد تعاودها نوبة المرح تحت الحاد فتعود من جديد إلى سلوكها الجنسي الزائد.

وثمة مشكلة أخرى خطيرة تواجهنا في هذه الحالة وهي أن نوبة المرح قد تصيب هذه الإنسانة مرة واحدة في حياتها. ولكن في هذه

المرة تفقد كل شيء. تفقد زوجها وتفقد مكانتها الاجتماعية وتفقد احترام أبنائها أي تفقد سمعتها بالكامل ولا أحد يدرك أنها كانت تعاني مرضًا عقليًّا هو الذي جعلها تفقد السيطرة على سلوكها.. والطبيب النفسي هو الوحيد الذي يستطيع أن يحدد الجانب المرضي في سلوك هذه المرأة لكي يحمي مستقبلها ويحمي أسرتها..

## ٨- النمط الفصامي:

الفصام «الشيزوفرينيا» هو أحد الأمراض العقلية المنتشرة. نسبة انتشاره بين الناس حوالي ١-٢٪ وأبرز أعراضه أن المريض غير مستبصر.. أي لا يدرك أنه مريض.. كما أنه منفصل عن الواقع. وأنواعه كثيرة ومتعددة ومن أعراضه الهلاوس، كأن يرى المريض أو يسمع أشياء لا وجود لها وكذلك الضلالات أو الهذاءات كأن تسيطر على عقله أفكار خاطئة أو كأنه يشعر أنه مضطهد أو مراقب وقد يصاب بنوبات هيام وعدوانية. وتلك أعراض واضحة يستطيع غير المتخصص أن يتعرف عليها.

ولكن ثمة أعراض أخرى أكثر خطورة ولكنها غير واضحة وتحتاج إلى خبير لتشخيصها. من هذه الأعراض فقد الإرادة والسلبية والتبلد الواجدني أي عدم الانفصال. هذه الأعراض قد تقوده إلى سلوك خطير وخاصة إذا أصابت المرأة، فقد تعمل بالدعارة أو قد تخون زوجها بلا سبب وبلا هدف وبلا معنى. تصرفات غريبة وشاذة وغير مفهومة تصدر عن مريضة الفصام.. والدافع ليس جنسيًّا على الإطلاق، أي لا تتحرك بسبب زيادة الرغبة الجنسية بل على العكس فهي متبلدة جنسيًّا وعاطفيًّا ولا تستطيع هي ذاتها أن تقدم تفسيرًا أو

مبررًا لماذا خانت زوجها أو لماذا- إذا لم تكن زوجة- تذهب مع أي رجل وتعاشره جنسيًّا.

وليست كل مريضة بالفصام تقوم بهذا الفعل، فقط التي تعاني تبلدًا في الوجدان وفقد الإرادة والسلبية المطلقة والانفصام عن الواقع.. وهي في الغالب ضحية لرجل يكتشف فيها هذا الضعف المرضي فيوقع بها.. تقوم هي بالسعي وراء الرجال.

وهذه الإنسانة المريضة البائسة قد تذهب لزوجها وتعترف له بكل شيء وتحكي له عن كل التفاصيل ولا يبدو عليها أي تأثر أو ندم. وقد تكون هذه هي بداية اكتشاف المرض. والزوج قد يثق بتشخيص الطبيب ويتعاون معه في مساعدة زوجته وعلاجها. هذا الزوج يحتاج إلى قوة نفسية هائلة ليعلو فوق آلامه ويمحو من خياله تلك الصورة المقيتة لزوجته في الوضع الجنسي مع الرجل الذي ضاجعته تحت تأثير المرض.. يحتاج إلى نفس قادرة على الصفح وقلب قادر على العفو وإيمان بقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

إذن هناك خيانة بلا معنى.. بلا سبب بلا رغبة. خيانة غير مفهومة.. خيانة تصدر عن عقل مريض.. لحظة جنون.. لحظة تعطل الإرادة والانفعال.. لحظة لا يسبقها إحساس ولا يعقبها إحساس.. لحظة لا تسبقها حركة ولا تعقبها حركة ولا يحدث أثناءها حركة. لحظة هي أقرب إلى الموت.. ماذا يدفع إنسانة إلى أحضان رجل لا تعرفه لا تحبه ولا ترغبه؟ أي اضطراب في العقل يدفع بالجسد إلى هذا الهوان؟ أي انفصال عن الواقع يفقد العلاقة الجنسية معناها

وجوهرها؟ أي خلل بالوجدان يميت الجسد فيفسد عليه متعته؟.. أم أن هذا المرض يريد أن يكشف لنا عن حقيقة جوهرية وهي أنه لا جنس حقيقيًّا بدون عقل ولا استمتاع بالجنس بدون وجدان.. وأن من يمارس الجنس بدون عاطفة وبدون هدف وبدون معنى وبدون رغبة حقيقية، هو إنسان مجنون؟!

هل هذا المرض يريد أن يكشف لنا عن حقيقة مهمة وهي أن أي خيانة هي الجنون بعينه.. هي موت الروح وفقدان العقل وغياب الوعي.. وحتى إذا تحققت اللذة الجنسية مع الخيانة فما هي إلا ارتعاشات جسد بلا روح وبلا إحساس أي بلا عاطفة.. أي جسد ميت.. جسد منفصل عن الرأس؟!

هل هذا المرض يريد أن يقول لنا إنه لا يوجد إنسان يخون برأسه أي بعقله وروحه ووجدانه وإنما الخيانة هي خيانة الجسد. فالعقل السليم لا يخون والوجدان المشبع بالحب لا يموت والروح الطيبة لا تخون؟

إن مريضة الفصام وهي تضاجع رجلاً غير زوجها بلا هدف وبلا معنى وبلا إحساس وبلا روح وبلا رغبة تعلمنا أعظم درس عن معنى الخيانة.

## ٩- النمط الدوري الشهري:

بعض النساء يُصَبْنَ بحالة أشبه بالجنون في أسبوع ما قبل الدورة الشهرية، يضطرب التفكير ويضطرب الوجدان ويضطرب السلوك.. أيضًا بعض النساء يكن في حالة عقلية غريبة يفقدن فيها القدرة على التفكير المنطقي السليم وتسيطر عليهن مشاعر عدائية عدوانية

ورغبات انتقامية كما تسيطر عليهن اندفاعات غريبة وشاذة.. بعضهن يسرق، وبعضهن يقتل، بعضهن يخربن ويحطمن حياتهن. أفعال فيها الاندفاع واللامعقولية والتهور والتدمير للذات وللآخرين.. وأنا هنا أسجل كلامًا من واقع خبراتي الخاصة في العيادة النفسية.

تقول لي مريضتي: لاتسيطر عليَّ فكرة خيانة زوجي إلا في الأسبوع الذي يسبق الدورة الشهرية. بعد انتهاء هذا الأسبوع أعود إلى حالتي الطبيعية تمامًا وأندم ندمًا شديدًا على ما فعلت. ندمًا يدفعني في بعض الأحيان إلى التفكير في قتل نفسي.. ثم تمضي ثلاثة أسابيع ويأتي الأسبوع الرابع فتعاودني بشدة نفس الأفكار ونفس الرغبات وأخطئ فعلاً. أخطئ بتدبير وإحكام وعن رغبة حقيقية وأعي تمامًا ما أفعل وأدبر وأخطط له بإحكام حتى لا ينكشف أمري. وأؤكد لك أنني أحب زوجي وأحترمه ولا أعاني معه من أي نقص عاطفي أو جنسي.. كما أنني إنسانة متدينة ومخلصة لكل الناس وفي كل شئون حياتي وأربي أطفالي تربية صالحة وصديقاتي من السيدات الفاضلات وأتحاشى صداقة أي امرأة تحوم حولها شبهات سوء السمعة. ورغم ذلك فأنا سيدة فاضلة لمدة ثلاثة أسابيع كل شهر وسيدة منحرفة خائنة في الأسبوع الرابع.

في خلال حياتي المهنية لم أشاهد إلا هذه الحالة. ولكني شاهدت سيدات كثيرات يعانين من اضطرابات سلوكية متعددة في هذا الأسبوع الغريب الذي يسبق الدورة الشهرية.. اضطرابات سلوكية تصل إلى حد ارتكاب حماقات ومخالفات قانونية.. وهذا يفتح الباب أمامنا لسؤال جديد: هل هناك أسباب عضوية في المخ أو اضطرابات

هورمونية أو كميائية في الجسم تدفع بالمرأة إلى الخيانة؟ هل الخيانة مرض عضوي؟ هل الخيانة مثلها مثل أي اضطراب سلوكي آخر من الممكن أن تكون له أسبابه العضوية؟

♥♥♥

## مشكلة الأنماط:

تلك كانت الأنماط التسعة للسيدات الخائنات.. ولا شك أن هناك أنماطًا أخرى لم أستطع أن أهتدي إليها.. وقد تكون بعض الأنماط التي وصفتها غير موجودة.. أو وصفتها وصفًا ناقصًا أو أضفت إليها سمات غير موجودة فيها.. لقد كانت تلك الأنماط التسعة مجرد اجتهاد شخصي..

وهذه عمومًا مشكلة نواجهها في الطب. حتى في الطب العضوي. فإذا تحدثنا مثلاً في أي فرع من فروع الطب العضوي عن أسباب مرض معين فإننا نستطيع مثلاً أن نعد خمسة أسباب ولكننا نضيف سببًا سادسًا وهو: السبب غير معروفIDIOPATHIC أي أن هناك أسبابًا معروفة للمرض ولكن تظل أسباب أخرى مجهولة.

وحينما نتحدث عن «نمط» فهذا معناه أن هناك حالات متكررة تحمل نفس السمات والصفات بحيث يمكن إدراجها جميعًا تحت نمط معين. ولهذا فالنمط الأخير وهو «الدوري الشهري» لا يعتبر نمطًا متكاملاً لأنني لم أعثر منه إلا على حالة واحدة خلال خبرتي المهنية. وبالمثل هناك حالات كثيرة ولكنها فردية.. كل حالة قائمة بذاتها. ولذا لا تخضع للتصنيف النمطي. أين نصنف مثلاً تلك السيدة التي خانت زوجها مع رجل واحد فقط ومرة واحدة فقط طوال حياتها

وليس من قبل أو من بعد؟

أين نصنف المرأة التي عرفت رجلاً واحدًا فقط ولفترة قصيرة ثم تابت وانصلح حالها تمامًا وتدينت بل وأفرطت في تدينها؟ أين نصنف المرأة التي أحبت رجلاً واحدًا وظلت على علاقة به طوال حياتها ولم تخنه مع رجل ثالث؟

أين نصنف المرأة التي تكره زوجها وتصر على الطلاق ولكن لا تجاب إلى طلبها، بل يتمادى في تعذيبها وتحقيرها فتحب رجلاً آخر وتخلص له؟ أين نصنف المرأة التي تتزوج رجلاً فلا تخلص له ثم تطلق منه وتتزوج رجلاً آخر فتخلص له طوال حياتها؟

وهناك العشرات وربما المئات بل ربما الآلاف من الحالات الغريبة.. كل حالة قائمة بذاتها ولا أحد يعرف على وجه الدقة دوافعها ومحركاتها.. وتلك هي صعوبة الخوض في مثل هذا البحث أو في أي بحوث تتعلق بالإنسان.

والصعوبة قد تبدأ مع أول سطر من البحث حين نريد أن نضع تعريفًا محددًا نلتزم به. ولكن هذا التعريف الذي نحاول أن نلتزم به في بحثنا قد يختلف معنا فيه آخرون ولذا فهم لا يوافقون على ما انتهينا إليه من نتائج.

فمثلاً في بحثنا هذا نجد أن المرأة تكون خائنة لزوجها أو لحبيبها إذا عاشرت جنسيًّا رجلاً آخر، هذا هو التعريف الذي التزمنا به. ولكن هناك باحثون آخرون يختلفون معنا في هذا الرأي.. فمن رأيهم أن خيانة البدن ليست خيانة للحب. فهم يفصلون بين الخيانة البدنية وعلاقة الحب العشقية. ومن منطلق تعريفهم فإن المرأة قد تحب رجلاً

ولكن يمكنها أن تجامع رجلاً آخر في ظروف معينة، أو أن زوجة محبة لزوجها تستطيع أن تلتقي برجل آخر جنسيًّا ولا يعد ذلك خيانة لزوجها..

تلك هي صعوبة البحوث النفسية الإنسانية.

## موقف الرجل:

ماذا يحدث للرجل الذي يكتشف خيانة زوجته ويتأكد منها ويصل إلى يقين لا مجال فيه للشك؟ وهنا تعترضنا مشكلة اليقين، لأن هذا اليقين لا يتحقق إلا بمشاهدة الخيانة واقعة وهذا صعب. ولا تكفي للإدانة الإشاعات أو الأدلة المادية التي يتطوع الآخرون بتقديمها والتي من السهل تزويرها كالخطابات أو التسجيلات أو الصور. وليس بالضرورة أن يكون الاعتراف سيد الأدلة، فمن ضمن الحالات التي صادفتها، زوجة اعترفت لزوجها بخيانة لم تقع وكان ذلك بسبب اضطرابها العقلي.

وعمومًا فالمرأة لا تعترف إطلاقًا إلا إذا كان الدليل المادي قويًّا جدًّا لا يرقى إليه الشك، ولا شيء أقوى من مشاهدة زوجها لها في وضع الخيانة.

## ماذا يفعل الزوج؟

يختلف سلوك الزوج في مثل هذه الحالات حسب شخصيته ومدى سلامة جهازه العصبي والنفسي وجهازه القيمي الأخلاقي ودرجة تدينه والبيئة التي تربى فيها والمجتمع الذي عاش فيه. إن سلوك الرجال يختلف إلى درجات بعيدة في مثل هذه الحالة.

١- هناك رجل ينتهي من الأمر فورا، ينهي صفحة من حياته وينساها تمامًا ويبدأ صفحة جديدة، ويكون رابط الجأش سيد الموقف ولا تهتز ثقته بنفسه، ولا يربط بين أي شيء في شخصيته أو يتعلق به وبين خيانتها. فهي خانت لأنها سيئة ومنحرفة ويجب التخلص منها فورًا.

المهم أنه ينساها تمامًا وينسى هذه الفترة من حياته ولا تؤثر على مستقبل علاقاته بالمرأة، بل قد يشرع في الزواج، وقد يحاول أن يفهم بعض الشيء لماذا خانت، ولكنه في كل الأحوال يرجع الأمر كله لسوء طباعها ولذا يحاول في زواجه الثاني أن يراعي مواصفات معينة في اختياره كأن تكون فتاة محافظة متدينة، من أسرة محافظة مشهود لها بالسمعة الطيبة وهكذا. أي أن هذا الرجل يرى أن مشكلة الخيانة هي مشكلة أخلاقية بالدرجة الأولى تتعلق بالبيئة وبالطبيعة الخاصة للمرأة الخائنة. وأنه ليس كل النساء خائنات. كما أن تقصير الرجل أو صعوبة الحياة الزوجية لايمكن أن تدفع بامرأة سوية للخيانة. ولهذا فهو يمضي في حياته المستقبلية بسهولة ودون معاناة. وهذا الرجل بالذات ينهي علاقته بزوجته الخائنة بهدوء تام وبلا شوشرة ويصل إلى قراره في لحظة بدون ثورة أو انهيار، كما لا يعنيه أن يثبت عليها جريمة الزنا، بل يلفظها من حياته بهدوء تام.

٢- رجل آخر قد ينهار تمامًا ويعجز عن التصرف ويمر بفترة ذهول.

وهو يختلف عن الرجل الأول في أنه يفتقد القدرة على مواجهة المواقف الحادة الصعبة. إن لديه مشكلة في جهازه العصبي والنفسي. وقد يثور ثورة عارمة في حالة مشاهدة زوجته في وضع الخيانة وقد

يحاول أن يؤذيها ويؤذي الرجل الذي معها. هذا يختلف عن الرجل الذي يرتب بهدوء لضبط زوجته متلبسة ليقتلها ويقتل عشيقها، الرجل الذي ينهار قد لا يعني بالضبط قتل زوجته وإذا قتلها أو قتل عشيقها فإن ذلك يحدث وهو في حالة الانفصال الشديد الذي يفقده السيطرة التامة على سلوكه وأعصابه.

هذا الرجل الذي انهار، حين يفيق قد يسلك سلوك الرجل الأول ويطلق زوجته وينهي هذه الصفحة من حياته.. ولكن الغريب في الأمر أنه قد لا يطلقها. ينهار ويمر بفترة الذهول ثم يفيق ويجد نفسه عاجزًا عن اتخاذ القرار، أو بالأحرى غير قادر على الخلاص منها. وقد يخضع لتأثيرها وطلبها الغفران، وقد يجد هو بنفسه أو تحت تأثير الآخرين المبرر لفعلتها، وقد يلوم نفسه بأنه هو السبب في دفعها للخيانة لإهماله لها أو قسوته عليها.

المهم أنه يقوم بعملية غسيل مخ ذاتي لنفسه ويسمح لها وللآخرين بالمساعدة في التأثير عليه لكي يستأنف حياته معها مرة أخرى.. وقد يتصور البعض أن هذا نادر الحدوث. ولكن في حقيقة الأمر أن العلاقة الزوجية قد تستأنف وبشكل أقرب إلى الطبيعي بعد فترة من حدوث الخيانة.

وكما قلت من قبل فإن الأمر يتوقف على نوعية شخصية الرجل وموقفه الأخلاقي من موضوع الخيانة وأيضًا على مدى تاريخ علاقته بزوجته وعمق العلاقة بينهما. فقد يصل إلى اقتناع أن ثمة ظروفًا معينة دفعتها إلى هذا السلوك وأن تلك كانت فترة عارضة من حياتها ولن يتكرر الأمر بعد ذلك.

وباستثناء النمط السيكوباتي فإن هذا قد يكون صحيحًا، وتوبة المرأة قد تكون صادقة، والخيانة فعلا قد تكون مرحلة لها أسبابها النفسية، وقد تستقيم حياتها بعد ذلك حتى مماتها. وهذا الرجل الذي يعود لزوجته بعد خيانتها عادة يحب زوجته ويجد صعوبة في التخلص من هذا الحب ونسيانه، وقد يكون حبًا سويًا أو قد يكون ارتباطًا مرضيًا اعتماديًا مثل ارتباط الطفل بأمه حتى وإن كانت أمًا سيئة وقاسية ولا تعطيه الاهتمام أو الحنان أو الرعاية، وبالرغم من ذلك يرتبط بها الطفل ارتباطًا شديدًا لاعتماده النفسي عليها، ولا يتصور الحياة بدونها، يشعر بالضياع إذا ابتعدت عنه.

وهذا الارتباط المرضي بالأم قد يجعله حين يصير شابًا يتغاضى عن سلوكها الانحرافي، أي حين يراها وهي تخون أباه. وهنا لا نجد مفرًا من العودة إلى المشكلة الأوديبية. أي التعلق الجنسي بالأم وكراهية الأب والرغبة في التخلص منه.

هذا الشاب الذي عايش خيانة أمه قد يتساهل أيضًا مع خيانة زوجته ليس لتصدع الجهاز الأخلاقي القيمي لديه ولكن لاستمرار الصراع الأوديبي له. بلغة التحليل النفسي فإن هذا الزوج الذي اكتشف خيانة زوجته يستعيد العلاقة بين أمه وأبيه. إن زوجته هي أمه وعشيق زوجته هو أبوه. أمه التي أحبها وتمناها لنفسه وارتبط والتصق بها. وأبوه الذي نافسه في حبها وكرهه وبغضه ووَدَّ لو تخلص منه حتى عن طريق الموت. وفي نفس الوقت كان يعتبره مثله الأعلى. وإذا مات أبوه فإن إحساسه بالذنب يتعاظم، ولكن تتعمق وتتدعم العلاقة بأمه ويزداد التصاقًا بها.. ويتزوج ولكن تظل أمه في موقعها

المقدس والمحرم بالنسبة له. ولكن لا يستطيع التخلص من أحاسيس الذنب حين تمنى موت أبيه والذي قد يكون مات فعلاً.

وهذا الزوج لا يشعر بالاقتراب النفسي أو الجنسي نحو زوجته بسبب أمه. وحين تخونه زوجته تستيقظ لديه مشاعره الأوديبية. فهذا العشيق هو أبوه الذي بعث من القبر من جديد وعاد إلى أمه (زوجته) وأقام علاقة معها. وتتجدد لديه مشاعر الغيرة والبغضاء. وفي نفس الوقت تستيقظ مشاعره الجنسية تجاه أمه. ولذلك نلاحظ شيئًا قد يبدو غريبًا وهو أن هذا الزوج الذي اكتشف خيانة زوجته ثم غفر وعاد لها تزداد رغبته الجنسية فيها بل يشعر بميل جنسي طاغ ناحيتها بالرغم من عدم استلطافه لها قبل خيانتها!

- وهذا يجعلنا نقترب أكثر من شخصية هاملت الذي كان يعاني العقدة الأوديبية وتمنى لا شعوريًا موت أبيه. ولسوء حظه كان عمه على علاقة بأمه وقتل أباه فعلاً. لقد ارتكب هذا العم جريمته في حق هاملت، قتل أباه وأفسد أمه. المتوقع من هاملت أن يقتل عمه انتقاما، ولكنه لم يفعل.. لم يستطع. إن عمه خلصه من منافسه وهو أبوه الذي كان يشعر بالغيرة منه ويتمنى زواله ولذلك كان يشعر بالإثم العظيم. ولقد عجز عن أن يتخلص من أبيه ولكن عمه أدى المهمة بالنيابة عنه. ولكنه حل محل أبيه. العم هنا بديل الأب. ولهذا لم يستطع أيضًا أن يتخلص من عمه. إن هاملت كان ضحية العلاقة بينه وبين أمه. ومأساته كانت مضاعفة بموت أبيه وبخيانة أمه. ما أتعسه من إنسان.

هذا هو رأي التحليل النفسي في موقف الزوج الذي يعود لزوجته الخائنة. وليس لدينا دليل على صحة هذا الرأي. ولكنها

اجتهادات نابعة من الفكر الفرويدي.

٣- وهنا رجل يعلم بخيانة زوجته ولكنه يتغاضى عنها، بل لا يواجهها إلا إذا أراد أن يستمر زلتها. في هذه الحالة قد يتعمد ضبطها متلبسة أو قد يحتفظ بأدلة مادية على خيانتها لاستخدامها وقت اللزوم. ونحن أمام علاقة تجارية أو علاقة مصلحة وليست علاقة زوجية على الإطلاق. نحن أمام رجل سيكوباتي بكل معنى الكلمة، وامرأة منحرفة إما لأنها سيكوباتية أو لأسباب نفسيه أخرى.

وقد يتصور البعض أن هذا الشيء غير معقول ومستحيل الحدوث أو أنه أمر نادر الحدوث جدًا ولكن للأسف فإن هذا أمر منتشر في بعض البيئات وبعض المجتمعات ومرتبط بالتسيب القيمي الأخلاقي وهوس جمع المال والثراء. وهذا الزوج الذي يعلم بخيانة زوجته ويتغاضى عنها بل قد يسهل لها الأمر في بعض الأحيان يقترب من شخصية القواد.

والقواد هو الوسيط بين البغي (العاهرة) وعميلها وهو الذي يتقاضى الأجر ثم يعطي البغي نسبتها منه ويحتفظ بالباقي لنفسه. ولذلك فإن ثلاثية «القواد- العميل- البغي» تشبه ثلاثية «الزوج- العشيق- الزوجة».

وهذا الزوج القواد لم يسلم من التحليل النفسي الذي يصفه كطفل ارتبط بأمه ارتباطًا شديدًا وتثبت عندها ولكنه في نفس الوقت لا يستطيع الاقتراب منها أو امتلاكها ولذلك يمنحها للآخرين، ويتوحد هو مع هؤلاء الآخرين الذين يمثلون الأب بالنسبة له. وهذا التوحد يتيح له فرص أخيلة الممارسة معها والاقتراب منها فهو الذي

أتى بهم وهو الذي يقبض منهم وهو الشاهد على علاقاتها بهم.

وعلى مستوى الواقع نجد الابن القواد والابنة القوادة، والأخ القواد والأخت القوادة، مثلما نجد الزوج القواد، وأيضًا الأب القواد والأم القوادة..

على مستوى الواقع أيضًا نجد الابن الذي يعرف ويتستر على علاقة أمه الجنسية بشخص آخر غير أبيه. ونجد الأخ الذي يغض البصر بعد أن سهل علاقة أخته الجنسية بشخص يبغي منه مصلحة شخصية، ونجد أيضًا الزوج الذي يدفع زوجته دفعًا غير مباشر (ومباشر أحيانًا) للدخول في علاقة مع شخص آخر. وقد يثور ظاهريًا ولكن سلوكه يؤكد أنه يريد لهذه العلاقة أن تستمر، بل إن رغبته وإقباله الجنسي ناحية زوجته يزيد ويتحسن بفضل وجود هذه العلاقة. وبذلك يكون لدينا منظومات ثلاثية متعددة: الزوج والزوجة والعشيق.. الابن والأم والعشيق.. والأخ والأخت والعشيق.. الأب والابنة والعشيق.. الابنة والأم والعشيق.. وهي كما قلنا منظومات تشبه القواد والبغي والعميل..

♥♥♥

وتبقى إجابة السؤال الجوهري معلقة حائرة تائهة: هل يجتمع الحب مع الخيانة؟ المؤمنون بوجود الحب الحقيقي في حياة البشر يقولون بيقين نابع من حس طاهر: لا. لا خيانة مع الحب.. بإحساسي كإنسان وبوعي ببشريتي ومن قاع ضميري، ومن منطلقات عقلي الحر غير الخاضع لتصنيفات أو قوالب، أقول: إنه لا حب مع الخيانة ولا خيانة مع الحب.. والله أعلم..

♥♥♥

# الفصل الثالث

## سر الحب

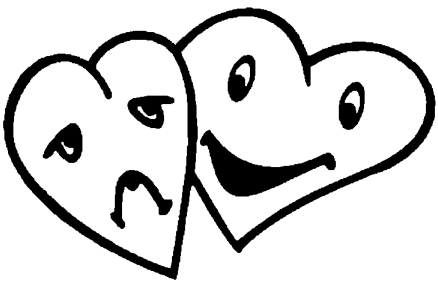

* * إنه سر الأسرار.. يعلو على الزمان والكلمات.. سر قدسي.. سر غامض.. شيء غير موصوف.. ضياء إلهي يشمل جنبات النفس فتشع خيرًا وجمالاً ودفئًا.. نور يشمل الكون كله مصدره النفوس العاشقة ولا تدري أنها المصدر..

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

* * لا نستطيع أن نعبر عنه بكلمات محدودة لأن الكلمات رموز وصفية وهو جليل صعب الإحاطة والوصف.. الكلمات تعبر عن مشاعر محدودة وتصف أشياء معينة من داخل النفس وخارجها، ولكن الحب هو حقيقة شاملة قمة شامخة وعمق أبدي..

♥♥♥

* * هو اللا متناهي والأبدي والخلود.. فأين الكلمات التي تصف بدقة هذه المعاني، ومن الذي يصف؟ أهو العاشق؟ وأي عاشق؟! أم هو كل العشاق مجتمعين؟ وهل تتشابه خبرات الحب، أم هو تجربة ذاتية فريدة شأن كل الظواهر السامية؟! فما بالك وهو قمة هذه الظواهر سموًّا ونقاء وطهرًا وخيرًا وجمالاً؟!

♥♥♥

* * إنه خبرة إنسانية متكاملة لا نستطيع فهمها إلا في حالة ممارستها والمرور بها شخصيًّا.. إنها تستعصي على فكر ووجدان المتأمل والفاحص والمراقب والناظر والباحث والفيلسوف والعالم.. ورب إنسان بسيط يهيم في الحياة لا يشغله غير رزق يومه ولا يدرك من حقائق الكون إلا ليله ونهاره وشمسه وقمره وأرضه وسماه ولا يملك مع هذا غير نفس صافية خيره، ربما يدرك هذا الإنسان من معاني الحب حين يحب ما هو أعمق من إبداعات عقل مفكر لم يخطف الحب روحه ليمزجها بروح إنسان آخر.

♥♥♥

* * إنه مثل القوى الغيبية التي لا تُرى، ولكنها تُحس وتؤثر في وجودنا وتؤثر في حركة الكون، فتظل السماء فوق رؤوسنا بلا عمد، وتظل الأرض راسخة بِرَوَاسٍ لا ندري غورها، وتطلع علينا الشمس

فننعم بالنور والدفء وتدب الحياة، ويطلع علينا القمر فنستأنس بنوره، وتهب علينا رياح لا ندرك مصدر حركتها ومبعث قوتها فتحمل سحابًا لتسقي به أرضًا ميتة وتنقل حبوب اللقاح لتثمر أشجارًا وورودًا.. الحب هو أحد هذه القوى الكونية العجيبة حين يربط روح إنسان بروح إنسان آخر.. هذه الرابطة التي لا تستطيع أي قوة أخرى أو كل القوى مجتمعة أن تصنعها..

♥♥♥

* * هكذا ببساطة- كما يبدو ظاهريًّا- يلتقي إنسان بإنسان.. يتلاقى وعيان.. قلبان.. روحان.. فيتعانقان.. يمتزجان.. يذوبان.. وتتأصل الروابط في ماض لم يكن قد التقيا فيه، وتمتد إلى مستقبل لم يعيشاه بعد.. هكذا من شدة العناق تضيع حدود الزمان ليعيشا التجربة الخالدة الفريدة التي تفوق حدود المشاعر والانفعالات التي يمر بها أي إنسان.. تُطهر وتدفئ وتضيء وتنعم.. تسبغ وتضفي الجمال وتكسب المعنى.. معنى الوجود..

♥♥♥

* * أي سر عظيم؟! لا تدركه إلا الأرواح المتحابة.. فهو سر كائن في أعمق الأعماق. وهو ليس مثل أسرار الكون الغامضة التي يحاول العلم أن يفك طلاسمها، وهو ليس مشكلة علمية معقدة يجتهد العقل في فهم رموزها، ولكن غموض الحب أنه كائن في أعمق الأعماق. أنه مرتبط بصميم الذات الإنسانية، وكل ذات متفردة. لا توجد قوة مماثلة تربط بين القلوب..

إنه مباغت وخالد في نفس الوقت. وليس له أسباب أو مبررات. ليس له مقدمات. إنه قوة فعالة ومحركة تغير في الإنسان..

ترفعه درجات إلى سماء السمو والطهر حتى تصل به إلى القمة. هذه القمة لا يبلغها إلا العاشقون حين تنفتح أمامهم سبل جديدة ممتدة نحو آفاق أرحب من الجمال المطلق والخير المطلق وحيث يمسكون بأسباب الحقيقة.. حقيقة الوجود..

إنها نشوة لا تدانيها نشوة.. وذلك سرور لا يعادله سرور.. إنه انكشاف السر الأعظم.. سر لماذا أنا موجود.. ما معنى أنا إنسان.. وذلك أول لقاء فعلي بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والكون، وبين الإنسان ومصيره.. كل ذلك لا يتحقق إلا حين تلتقي ذات عاشقة بذات عاشقة أخرى.. أي سر إلهي عظيم؟! أي قوة كونية خارقة؟!

♥♥♥

* * ولعل صعوبة وصف الحب في أنه مزيج من الانفعالات التي تختلط وتتواجد في آن واحد. ذلك الخليط من الفرح والحزن والسعادة والشقاء والألم والراحة والقلق والاسترخاء والعذاب والطمأنينة والخوف.. كل هذه المشاعر مجتمعة أو متناوبة تحقق حالة من النشوة.. حالة غريبة محيرة يتواجد عليها الشخص العاشق يحار في وصفها ولكنه يتمسك بها لأنها تجعله إنسانًا جديدًا.. خليط من المشاعر يمتزج فيخلق حالة انفعالية لا يدركها إلا من عايشها.. ومن عايشها يستعذبها.. يدمنها.. يتشبث بها. فمن خلالها يدرك ما لا يدركه أحد، ويرى ما لا يراه أحد.. من خلالها يعيش حياة جديدة..

إنه ميلاد جديد. ميلاد عبقري. إنها مثل انفعالات المبدعين في لحظات الإبداع والتي يصعب وصفها.

ولكن يمكن وصف استجابة النفس والجسد لها حين يستشعر ألمًا وسعادة في آن واحد. وربما تتشابه معها من بعيد تلك اللحظات التي تعيشها الأم وهي تأتي بمخلوق جديد إلى الوجود حين يجتمع الألم والسعادة فينشأ عنهما تجربة انفعالية فريدة لا تدركها إلا من عايشتها..

هناك سر في لحظات الإبداع.. وهناك سر في لحظات ميلاد طفل.. وسر الأسرار هو الحب. ولا يدرك هذا السر ولا ينكشف للعاشق إلا بالمعاناة.. إنها معانٍ تجل عن الوصف..

♥♥♥

* * صعوبة فهم الحب ووصفه تأتي من عدم القدرة على التوصل إلى الأسباب التي جمعت بين روحين.. لماذا أحبها؟ ولماذا أحبته؟ لماذا هي بالذات؟ ولماذا هو بالذات؟ لماذا لم يحب غيرها رغم أن هناك من يفضلها؟ لماذا لم تحب غيره رغم أن هناك من يفضله؟ لماذا هما الاثنان معًا بالذات؟ ولماذا لم يحب غيرها حين التقى بعد ذلك بمن هي أفضل منها؟ ولماذا لم تحب غيره حين التقت بعد ذلك بمن هو أفضل منه؟!

* * هذا هو السر وخاصة حين تعرف أن المحب يرى أن محبوبه هو أجمل خلق الله حتى وإن اختلف كل الناس معه.. وهو ليس جمال الميزات والصفات مثل جمال الجسم والوجه، ولكنه الجمال الذي يشع من الذات الإنسانية الشاملة.. الذات ذاتها.. الإنسان نفسه.. الكل متكاملاً وليس أجزاء متفردة متفرقة..

المحب لا يرى محبوبه ككائن حاضر فقط، ولكنه يرى ماضيه،

ويرى مستقبله.. يرى الأصول الطيبة لماضيه، والجذور الثرية الضاربة في أعماق صباه. يرى بذرة الخير الأولى التي تحمل عناصر النماء والإثمار.. ثم يرى المستقبل المزدهر بالسمو والطهارة.. يلمس ذلك الماضي ويرى ذلك المستقبل حتى وإن لم يتفق ذلك مع الحاضر، حتى وإن كان الحاضر مليئًا بالعيوب الظاهرة.. العيوب السطحية.. العيوب التي تشوه الجمال الخارجي.

إن المحب بقلبه، بعقله، بحدسه، بباطنه، بسحر الحب، بالسر الإلهي، بالقوة الكونية الخارقة، يستطيع أن يلمس وأن يرى ما لا يلمسه وما لا يراه أحد.. يستطيع أن يدرك الجمال الحقيقي الذي ينضح به حبيبه.. يدركه وهو مغمض العينين فيهتف من أعماقه: سبحان الخالق لهذا الجمال. ما أجمله من مخلوق لم أر مثله في حياتي الماضية ولن أرى مثله في حياتي المستقبلة.

♥♥♥

* * أنت الجمال المطلق وأنت الخير المطلق يا من أحببت. ولذلك فحبي لك يختلف عن حبي لأي شيء آخر ولأي ذات أخرى. حبي للأشياء والموضوعات والذوات الأخرى مبني على قدر ما تتمتع به من مزايا وسمات وصفات. وحبي- كذلك- مبني على النسبية. فالأشياء والموضوعات والذوات تعرف بالمقارنة إلى بعضها البعض. وهو أيضًا حب مبني على مدى ما تحققه لي هذه الوسائل من إشباع..

ولكنني يا حبيبي أحبك لذاتك.. لكونك أنت.. مجرد أنت وهذا يكفي.. ولذا فأنا أريد أن أحتفظ بكلمة «حب» وبكلمة «حبيبي» لك

أنت وحدك. أما فيما عدا ذلك من أشياء وموضوعات وذوات فأحمل لها مشاعر تخضع لتسميات أخرى، وذلك هو سر الأسرار في الحب. فالإنسان لا يحب إلا شخصًا واحدًا ليس من قبله وليس من بعده..

♥♥♥

* * وأنا يا حبيبي لا أدركك بعيني ولا بأذني ولا بقلبي. بل أدركك بكل كياني.. بكل ذاتي.. أي بكل وعيي.. تلك هي وسيلتي الوحيدة للالتقاء بذاتك والتعرف عليها.. أن يلتقي وعيي بوعيك. إذن هو إدراك الحدس وليس إدراك المعرفة. إذن هو الإلهام الإلهي. وذلك هو السر الأعظم.

إن علاقتنا بالأشياء والموضوعات والذوات تحددها عوامل معرفية، أما في الحب فإن ما يتحرك من الباطن، من الداخل، من الأعماق.. شيء ما يهديك إلى من تحب. ميل طاغ يحرك كل كيانك نحو إنسان معين مثلما يتحرك مؤشر البوصلة بفعل تلك القوة غير المرئية. حركة تلقائية لا تحتاج إلى سابق معرفة ولا تحتاج إلى خريطة ولا تحتاج إلى قائمة بالمواصفات.. ولذلك فهو أمر لا يوصف.. أمر بعيد عن الوصف..

* * وحين انجذبت إليك بفعل تلك القوة الكونية الخارقة يا لدهشتي وجدتك منجذبًا ناحيتي. فسقط في لحظة أو أقل من اللحظة ذلك الجدار الذي يفصل بين ذوات البشر وإذا بي أرى المستقبل.. أتوقع.. أتنبأ.. توقع المتأكد وتنبؤ الواثق بأننا سنكون معًا إلى الأبد.

وبفعل تلك القوة إذا بي أنفذ إلى صميمك فأطلع على جوهر ذاتك الرائعة، وأرتد منها إلى وجهك فإذا بي أستطيع أن أقرأ كل ما

يطرأ عليه من انفعالات حتى وأنا مغمض العينين. حتى أنفاسك في الظلام تكشف لي عن حالتك الوجدانية. هذا هو السر الغامض في الحب.

♥♥♥

* * والشيء الذي لا يوصف هو ذلك الشيء الذي يفوق في معناه قدراتنا العقلية على التحليل والتشريح والإحاطة والمتابعة. أو ذلك الشيء الذي ندركه بوجداننا أكثر مما ندركه بأفكارنا، وبذلك لا نجد الكلمات المناسبة للتعبير عنه..

وهكذا الحب حين يتمكن من قلب إنسان فيصير محور وجوده أولاً ثم يصبح مبررًا لوجوده ثم يصبح وسيلته للتطلع إلى المستقبل، وتكون له القوة بحيث يبعث في الإنسان يقينًا أن حبه خارج عن نطاق سيطرته. قوة أكبر من إرادة الإنسان ذاته رغم أن الإنسان هو الذي قرر وهو الذي اختار.. فصميم تجربة الحب الاختيار.. الحرية.. الإرادة الإنسانية.. ولكنه بعد ذلك يعلو على الزمان.. يصبح لا متناهي. خالدًا. أبديًّا. لا يموت.

وإذا كان الإنسان يخاف الموت فإنه بالحب يشعر بأنه فوق الموت أو بأنه قهر الموت، فتغمره سعادة وطمأنينة. يخرج من حدود المتناهي إلى اللا متناهي.. من المحدود إلى اللا محدود.. من الموقوت إلى الأبدي.. ذلك أحد الأسرار الخالدة للحب: الخلود. ولذلك تكتسب الحياة معنى جديدًا لدى المحبين، ويتسم أسلوبهم وفلسفتهم في الحياة بطابع جديد.. وفي ذلك شيء من الأسطورة المشهورة عن شجرة الخلود التي إذا أكل منها الإنسان صار خالدًا لا يموت.. تتغير طبيعته

البدنية فيصبح غير قابل للفناء.. يصبح أقرب للملائكة. وبذلك يستشعر المحب تغيرًا جذريًا في كل شيء.. في بدنه.. وفي روحه.. أي في عقله ونفسه، فكره ووجدانه. ليس فقط ميلادًا جديدًا، ولكنه ميلاد على نحو آخر. بصورة مختلفة. وبذلك تختلف المفاهيم والرؤى. بل حتى المشاعر والخلجات الوجدانية تصبح ذات معنى مختلف ووقع مغاير..

الألم يصير غير الألم، والعذاب غير العذاب، والسعادة غير السعادة، والقلق غير القلق، والطمأنينة غير الطمأنينة. ولذلك فإن الطرف الثالث في علاقة الحب (الصديق أو المستشار أو المحكم) لا معنى لوجوده.

لأنه لن يفهم أو لن يشعر كما يشعر الحبيبان. لن يدرك طبيعة الحالة التي استحال إليها العاشقان. حين سيفكر لهما أو معهما فإنه سيفكر بمفردات حياته هو أو حياة الواقع البعيدة عن خبرة الحب. حتى وإن كان هو ذاته عاشقًا.

إن الحب هو تجربة فريدة. شديدة الخصوصية، ولذلك فليس من المفيد استشارة طرف ثالث في هموم الحب الخاصة بنا. لا أحد يستطيع أن يلمس بفكره ووجدانه درجة العمق التي يتمكن منها الحب ويمسك بروح المحبين فيصبح مصيرهما واحدًا لا يؤثر فيهما حسد أو شر أو حقد، ولا ينال منهما إيذاء ومؤامرات عزول..

ذلك هو أحد أسرار الحب المهمة: أبدية العلاقة.

تلك الأبدية التي تهزأ بكل محاولة للنيل من كونيتها وضروريتها واستمراريتها. حتى وإن كان الطرف الثالث مخلصًا في نصحه

ومساعدته فإنه لن يلمس إلا السطح. سطح العلاقة بينهما.. الحب يمسك بالروح. يربط الروح بالروح. إنه أعمق وأوثق تجربة روحية عرفها الإنسان..

حقًّا إنها تنطلق أو تبدأ من الحاضر. لحظة في زمان نعيشه الآن، ولكنها ترتد إلى ماضي الإنسان العاشق فتضفي عليه معنى وقيمة، حتى تصبح اللحظة الحالية هي لحظة اللقاء الأول وكأنها التطور الطبيعي والنتيجة الحتمية لهذا الماضي..

كأن هذا الماضي صيغ بشكل معين ليقودنا إلى هذه اللحظة. وكأن هذا العاشق قد أُهِّل بسمات معينة ليتحقق له هذا اللقاء في هذه اللحظة من الزمان. ثم تمتد بعد ذلك إلى المستقبل. ويصبح المبرر الوحيد لاستقبال الغد هو تلك اللحظة الحالية.. لحظة اللقاء الأول. ثم تمهد لما بعد المستقبل. إلى اللامتناهي. فتكتسب طابع الخلود. إنها شجرة الخلد التي تمتد جذورها إلى أقصى ما تصل إليه الأرض من عمق وترتفع إلى أعلى السماوات. شجرة لا تموت، ومن يطعم منها يخلد.

♥♥♥

* * وإذا قلنا إن الحب نور يمسك بتلابيب الروح ويربطها بروح أخرى فإنه يكشف للإنسان العاشق لأول مرة كل شيء عن روحه وعن روح حبيبه، وتلك إحدى أسرار الحب وقواه الخفية التي تعلو عن الوصف، وبذلك يفهم العاشق ما هو ضمني وخافٍ.. رؤية للواقع.. للحاضر.. رؤية المستقبل وما هو آت وما هو متوقع وما هو ممكن، ولذلك يمضي في طريقه بهداية حبه، بنور وجدانه وكأنما هو

مستسلم لمصيره.. هو يسلم لتلك القوة الخفية التي تدفع به في طريق معين.. وربما يصرخ كل الناس من حوله.. احذر.. ابتعد.. تأنَّ .. انتظر.. ولكنه لا يسمع لأحد، وكأنما يسيطر عليه وحي إلهي لا قبل له بمناقشته أو معارضته، وكيف يناقش أو يعارض الإنسان أوامر السماء.

إنها الرؤية الكاشفة والبصيرة النافذة. إنها المشيئة الإلهية. ولذلك يهتف المحب: إنني أراك يا حبيبي في حضرة النور الإلهي فانكشف لي ماضيك وحاضرك ومستقبلك. ونفذت إلى صميم روحك فأدركت ما أنت مؤهل له للسمو والرفعة وما بك من نزوع نحو المثالية..

إنني أحببتك في حضرة النور الإلهي فكيف يتهمونني بالعمى.

إن المحب لا يحتاج إلى كتاب أو إلى خبرة سابقة أو إلى مشورة من صاحب. لا يحتاج إلى علم أو فلسفة.. الحب يحتاج فقط إلى إنسان مؤهل للحب. إنسان له إمكانيات معينة تجعله مستحقًا لأن يعيش في ظل النور الإلهي الذي يضيء له جنبات روحه ويصله بروح إنسان آخر. وذلك قدر ومصير مكتوب لبعض الناس وليس كل الناس. مكتوب عليهم أن ينعموا في الحياة بأعمق خبرة روحية على حين فجأة.. بلا مبررات.. بلا مقدمات. حدس، كاشف.. حدث كليلة القدر وكأنما تتنزل الملائكة لتزاوج روحين من أرواح بني البشر..

وبما أن الزواج تم على يد ملائكة منزلة من عند الله فإنه زواج مبارك لروحين لهما مكانة خاصة عند الله.. زواج يعد سعادة مطلقة ولكنه من نوع خاص غير الذي يعهده الناس العاديون. وهي سعادة

خفية لا تدرك بالشعور المباشر ولا بالوعي الذي لا يتحقق إلا بكل ما هو ملموس أو مدرك بالحواس بل هي من نوع تلك السعادة التي نشعرها حين نستمع إلى الموسيقى.

هناك موسيقى تبدو وكأنها قادمة من السماء فتنقلنا معها إلى السماء.. موسيقى تمس الروح.. وفي الموسيقى غموض لأنها ليست كلمات، في الموسيقى معانٍ مبهمة.. الموسيقى تخاطب كل إنسان على حدة. مع الموسيقى يتوقع الإنسان ويترقب وينتظر وذلك هو سر الحب أو ذلك الشيء الذي لا يوصف في الحب.. الانتظار.. الترقب.. التوقع.. كمن يقف على حافة الليل مترقبًا ومنتظرًا لانبثاق النور. إنها من أشد اللحظات نشوة وسعادة.. وحين ينبثق شعاع تتلهف النفس للشعاع التالي.

قد تكون هناك معاناة في الانتظار، قد يكون هناك قلق في التوقع، قد يكون هناك خوف من الترقب، ولكنها معاناة غير المعاناة، وقلق غير القلق، وخوف غير الخوف. إنها المعاناة المحببة، والقلق المستعذب والخوف المطمئن.. وربما يكون ذلك هو صميم السعادة في الحب.. قطرة بعد قطرة.. ونفحة بعد نفحة.. وتجل بعد تجل.. وإشراقة بعد إشراقة.. وهكذا يظل العاشق في حالة شوق مستمر.. شوق لا ينتهي.. وذلك هو أصل الجمال في الحب.. وذلك هو الجانب الفني في الحب.. فالفن جمال، والحب جمال، والحب فن، والفن حب.

♥♥♥

* * وبذلك يكتسب طبيعة خاصة تختلف بقية العواطف والمشاعر والأحاسيس الأخرى عنها حيث لا ملل ولا رتابة ولا جمود.. بل هناك شيء جديد دائمًا.. هناك تطور.. هناك إبداع مستمر..

إنه الثراء في الحب.. اللانهائية في كل شيء في الحب.. ولذلك هو سر الأسرار.. شيء لا يوصف ولا يحود..

♥♥♥

* * ولذلك فالماضي كان حلوًا، والحاضر أحلى، أما المستقبل فيعد بحلاوة لا توصف ولا يمكن تخيلها. ولذلك تفيض حلاوة الحب على الواقع المادي المباشر حتى وإن كان مؤلمًا فتحيله إلى شيء أشبه بالجنة.. فيقنع المحبون بالسكنى في كوخ بسيط، ويشبعون من طعام متواضع ويزدهون بملابس رثة وينتفخون بدراهم معدودة.. ولذا فمن أبرز سمات المحبين التواضع، فرحين بما آتاهم الله من نعمة الحب، مستبشرين بما يعدهم الله من خير في الحب..

إذن فمع التواضع هناك توقع حسن.. تفاؤل.. استبصار.. أمل.. شوق.. لهفة.. تطلع.. وهو ليس انتظارًا سلبيًّا استسلاميًّا ولكنه انتظار يحمل طابع التنبؤ.. إنه الظل الذي يظل سرًّا رغم ما انكشف منه وما ينكشف كل لحظة.. إنه العمق الذي يظل عمقًا رغم توغلنا فيه كل لحظة.. وإنها المعرفة التي كلما نهلنا منها فتحت الطريق أمامنا لمزيد من الحيرة والتساؤلات تدفعنا إلى أن نعرف أكثر..

♥♥♥

* * إنه الحب الذي يجعلنا نقف على عتبة الكون لنقترب أكثر من فهم سر الوجود..

* * إنه السر الغامض.. السر القدسي.. النور الإلهي.. أمر غير موصوف.. لا كلمات..

* * أي سر فيك؟ لست أدري؟!

♥♥♥

# الفصل الرابع

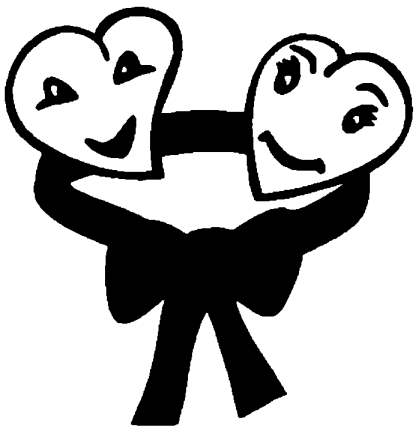

## معنى الحب

* * * هل هو وهم جميل يبدو من صدقه وكأنه واقع أم هو حلم رائع يبدو من وضوحه وكأنه حقيقة؟ أم هو خيال ساحر يبدو من شدة الإستغراق فيه كأنه معاش حقًا. أم هو الحقيقة كل الحقيقة..؟

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

* * ما الحب؟ ما المعنى..؟ ما التعريف؟ ألم نقل إنه لا يوصف!! ألم نقل إنه لا كلمات!!

♥♥♥

* * أنحب بالقلب أم بكل الجسد؟ أنحب بالروح أم بالنفس؟ أنحب بالفكر أم بالوجدان؟ ومن الإنسان المؤهل ليعطينا تعريفًا للحب: الذي أحب أم المحروم من الحب؟ (وهل هناك من لم يحب قط في حياته؟) الذي قاسى من الحب أم الذي سعد به؟ الذي يؤمن بوجود الحب أم الذي يعتقد أنه زيف ووهم؟ من ذا الذي يتصدى لأهم قضية شغلت الإنسان منذ وطئت قدماه الأرض حين كان هناك اثنان وليس واحدًا؟!

♥♥♥

* * هل يحب الإنسان ليعيش أم يعيش ليحب؟ هل الحياة ممكنة من غير حب؟

* * هل هو ميل مبهم نحو إنسان ما ينطوي على إعجاب بأشياء ظاهرة أو خفية في هذا الإنسان؟ وهل يصبح هذا الإنسان الذي أحببناه وسيلتنا لتحقيق إشباعات أو احتياجات معينة؟ وهل يلعب الانجذاب الجنسي دوره في الارتباط وفي حب هذا الإنسان؟ وهل من الممكن أن يكون هناك حب بدون جنس؟ وهل يحب الإنسان شخصا واحدًا أم يستطيع أن يحب اثنين في وقت واحد؟ وهل يستطيع الإنسان أن يحب وفي نفس الوقت يكون له القدرة على كراهية آخرين؟ وهل الحب وَقْفٌ على النفوس الطيبة الخيرة أم يقدر عليه حتى الأشرار والسيئون؟ وهل نحن أحرار في أن نختار من نحب أم أن الحب قدر ونصيب وأن الجامع بين القلوب هو الله وحده

ولا حيلة للإنسان فيه؟

♥♥♥

* * وإذا كان الحب عطاء مطلقًا.. فهل يستطيع الأناني أن يحب؟ هل يجتمع الحب والأنانية؟ وإذا كان الحب إخلاصًا ووفاء.. فهل يستطيع غير المخلص أن يحب؟ وهل يجتمع الحب والخيانة؟ وإذا كان الحب هو الطهارة فهل هو الذي يطهر النفس أم لا يقربه إلا المتطهرون؟

♥♥♥

* * وهل يتشابه حب إنسان مع حب إنسان آخر.. أم كل حب هو تجربة فريدة مستقلة لا يمكن مقارنته بحب آخر..؟ وهل الحب تجربة مركزية محورية في حياة الإنسان.. أم هو تجربة هامشية؟ وهل الحب يجلب السرور أم يجلب الأحزان؟ هل هو مصدر سعادة أم مصدر ألم؟ هل يضيف للإنسان أم يأخذ منه؟ وإذا أضاف فماذا يضيف؟ فهمًا جديدًا؟! وعيًا جديدًا؟! قوة؟! طاقة؟! حيوية؟! إبداعًا؟! ثقة؟! طهارة؟! جمالاً؟! وإذا أخذ فماذا يأخذ؟ وقتًا؟! صحة؟! أعصابًا؟! مالاً؟!

♥♥♥

* * وإذا أحب الإنسان فهل يذوب تمامًا في حبيبه ويصبحان شيئًا واحدًا أم يظل الإنسان محتفظًا بشخصيته المستقلة وكيانه المتفرد ويزداد إحساسًا بذاته وقيمته وجدواه؟ وهل الإنسان الذي نحبه حقًا يكون أقرب إنسان إلينا.. أم تظل هناك حدود وفواصل وحواجز وتحفظات واحتياجات..؟ هل نسلم له تمامًا أم يظل لدينا بعض الحذر؟

♥♥♥

* * وهل الحب مجرد انفعال أو عاطفة صادرة عن الوجدان.. أم هو حقيقة استيعابية شاملة يدخل فيها الإنسان بكليته أي عقله وفكره ووجدانه وجسده وتاريخه وماضيه وحاضره ومستقبله وإمكانياته النفسية والروحية، وبه يتحرك الإنسان ويبدع ويضيف.. يسكن ويسلك.. يقف ويمشي.. يصعد ويهبط.. يتفاعل ويسكت.. أي أنه عاطفة وفكر وفعل.. أي أنه يشمل حياة الإنسان بكل جوانبها.. أو هو الحياة ذاتها.. أو هو عين الحياة وقلبها.. وهل هو الذي يجسد قيمة الحياة وجدواها؟

♥♥♥

* * وهل يجوز أن تحدد أنواعًا وأنماطًا وأشكالاً من الحب؟ هل هناك حب حقيقي وحب زائف؟ حب صحي وحب مرضي؟ وهل هناك فروق جوهرية بين أنواع أو أشكال الحب المختلفة مثل حب الأم وحب الصديق والحب العشقي لإنسان من الجنس الآخر..؟ وما ذلك الحب العشقي الذي يربط بين اثنين من نفس الجنس؟

♥♥♥

* * ولماذا ارتبطت الغيرة بالحب؟ وهل يوجد حب بدون غيرة؟! ولماذا الغيرة؟ هل لأننا غير مطمئنين؟ لعيب فينا أم لعيب فيمن نحب؟ هل لعدم ثقتنا به أم لعدم ثقتنا بالطبيعة الإنسانية ذاتها؟ وهل الغيرة عدم ثقة أم خوف وقلق وحرص وفرط محبة؟ وهل نخشى فقد من نحب أم نخشى فقد الحب؟ وهل هناك أنواع من الغيرة تبعًا لاختلاف أنواع ودرجات الحب؟ وهل الحب درجات.. أم لا توجد إلا درجة واحدة وهي الدرجة العليا.. بمعنى إما حب

وإما لا حب.. لا درجات وسطى..

♥♥♥

* * هل الحب الحقيقي هو علاقة تبادلية أم يوجد من طرف واحد؟ وهل المحب يسعد فقط أم أنه لابد أن يكون هناك توازن بين العطاء والأخذ؟ وهل في علاقة الحب توجد شخصية مسيطرة غازية وشخصية خاضعة متلقية..؟ وهل هناك فرق بين حب الرجل وحب المرأة؟

♥♥♥

* * ثم نعود إلى أصل الحكاية ونسأل: هل الحب نزوع فطري أم شيء نكتسبه ونتعلمه ونحذقه ونتقنه وبالتالي تكون هناك درجات من الإتقان؟ وهل فيه شيء من الفن أو الموهبة؟ هل الحب فن؟ هل هو فن الحياة أم هو حياة الفن؟

♥♥♥

* * والمحبون ألا تنطوي عواطفهم على حب للحب ذاته أم أن الحب كله موجه فقط نحو المحبوب وأنه لولا المحبوب لما عرفنا الحب؟ هل الحب هو الذي قادنا نحو المحبوب أم أن المحبوب هو الذي قادنا إلى الحب؟ وهل نتشبث بعد ذلك بالمحبوب خوفًا من أن نفقد الحب وكل ما منحه لنا أم نتشبث بالمحبوب لذاته؟ أنحرص على المحبوب من أجل الحب؟ وهل كان من الممكن أن يكون المحبوب محبوبًا إلا عن طريق الحب؟! وهل إذا كان الحب للحب ذاته فهل معنى ذلك أن أي إنسان يستطيع أن يمنحنا هذا الحب وأن نعيش معه هذا الحب؟! وهل من الممكن أن يحل محل المحبوب؟ أم أن شخصًا

واحدًا في الوجود كله هو الذي يستطيع أن يثير لدينا تلك العاطفة التي تسمى بالحب الحقيقي؟

في رأيي الشخصي أن المحبوب يجيء قبل الحب.

نلتقي بالمحبوب فنعرف الحب.. حقيقة يجب أن يكون الإنسان مؤهلاً لأن يحب ثم يأتي المحبوب فيفجر كل طاقات وإمكانيات الإنسان المؤهل لتلك المهمة العظيمة وذلك الفتح المبين في حياته وتلك الإطلالة على كل الخير وكل الجمال في الكون ليغترف منه ويعيش سعادته مع المحبوب وبالمحبوب ونعطي لتلك العلاقة اسم الحب.

ولا يمكن استبدال المحبوب بشخص آخر لأن إنسانًا واحدًا فقط هو الذي يستطيع أن يحرك لدينا تلك العاطفة التي تستحيل بعد ذلك لتصبح مركز الحياة أو جوهر الحياة وتضفي علينا كل المعاني.

♥♥♥

* * الحب هو الذي يكشف لنا عن احتياجاتنا وبالتالي لا نقول إننا نحب لتلبية أو إشباع احتياجات معينة، بل هذه الاحتياجات لا تظهر إلى الوجود إلا حينما نلتقي بالمحبوب.. ولهذا فلا نفعية في الحب. لا مكسب يبحث عنه الإنسان. لا طموحات وأهداف يسعى لها ويريد تحقيقها من خلال المحبوب وعن طريق الحب.

وهذه هي البراءة في الحب وتلك هي التلقائية وذلك هو التواضع وتلك هي البساطة. إنه النور الذي يكشف عن كنوز الذات وكنوز الدنيا. وهذا النور مصدره من نحبه. أي أننا لم نكن لنكتشف ذواتنا ولا كنا عرفنا احتياجاتنا ولا أدركنا معنى الحياة إلا حين التقينا

صدفة بهذا الكائن الذي استحال إلى محبوب..

♥♥♥

* * ولذلك فالحب ليس مهارة خاصة ولا حاجة إلى تعليم، وإنما هو نزوع فطري. والنزوع الفطري هو ذلك الاستعداد الخاص للروح لكي تكون قادرة على معرفة الحب حين تلتقي بالمحبوب. ولذلك فالمحبوب هو النصف المكمل لنا والذي حين نلتقي به تكتمل الصورة فيتحقق المعنى بالكامل والشعور بالتكامل.. تكتمل الدائرة فتنطلق شرارة الحياة الحقة لتدفئ وتنير وتشع وتشبع وتنجز وتثرى.. نماء وخصوبة.. إزهار وازدهار وإثمار وعطاء..

إنه تزاوج الأرواح لتتناسل. وتناسل الأرواح غير تناسل الأبدان. الأرواح تتناسل بشكل آخر وتنتج أشياء أخرى وتولد أجسامًا من نوع آخر. الأرواح حين تتناسل تولد حبًّا وخيرًا وقيمًا ومعاني.. إبداع من نوع آخر.. أعظم الفنون..

هو الإدراك للكمال الكلي الشامل المطلق. إنه أسمى درجات الخير وقمة درجات السعادة والتحقق لأجَلِّ معنى للإنسان.. صنع الله. ذلك المخلوق الذي يختلف عن كل مخلوقات الله أدناها وأرقاها. حين خلقه رفعه فوق أرقاها، لذلك وضع فيه الإمكانيات لكي يحب، لأنه حين يحب يتحقق بذلك المعنى وهو إدراك المطلق واللا متناهي والأسمى. وعند هذه النقطة يقول الإنسان بصدق ووعي وفهم واقتناع: لا إله إلا الله.. الذي أبدع هذا الإحساس اللامتناهي في كل صدر وفي كل قلب أحب.

♥♥♥

* * وهل معنى ذلك أن الحب يصبح منحة إلهية ينعم بها الله على بعض عباده؟ وهل يصبحون بذلك هم هؤلاء الذين عرفوا طريقهم إلى الله فعبدوه من بعد أن أحبوه وأحبوا كل شيء أشرق عليه نور الله؟ وبذلك يكون المصدر الأسمى للحب هو الله.. ويكون الأصل في الوجود هو تلك العلاقة السامية التي تنشأ بين إنسان وإنسان والتي اسمها الحب والتي من خلالها تتناسل الأرواح وتتناسل الأبدان.

♥♥♥

* * إن العلاقة العشقية في الحب الحقيقي لا يمكن أن تقوم إلا مع إنسان واحد.. إنسان معين.. نصف مكمل. لا بديل له. ولا استغناء عنه. وهذه هي المشكلة، فالحياة قد تكون ممكنة ومحتملة إلى حد ما قبل أن نلتقي بالمحبوب، ولكن بعد أن نلتقي معه ونكتمل به ونعيش حياة الحب وحب الحياة معه فإنه يكون من المستحيل الاستغناء عنه.. فالموت أرحم من فقده، وما دام أنه شخص واحد فالإخلاص كله يكون له. وبذلك يصبح الإخلاص هو صميم الحب، وحتى إذا حاول المحب عبثًا أن يلعب لعبة اللا إخلاص فإنه يفشل، ولهذا لا فضل للمحبين لإخلاصهم ولا جائزة يستحقونها على هذا الإخلاص.

هذا الإخلاص في الحب ليس فعلاً إراديًا، وإذا كان المحبون – فرضًا – غير مخلصين قبل الحب فإنهم يصبحون مخلصين بعد ذلك وبفضل الحب. إلا أنه يجب التأكيد هنا على أن النزوع الطبيعي لكل إنسان لديه الاستعداد لأنه يحب أن يكون مخلصًا.

الإخلاص هو سمة من هو مؤهل للحب ولكن الممارسة الفعلية الكاملة للإخلاص لا تكون إلا بعد أن يلتقي بنصفه المكمل. ويكون هذا تجاوبًا طبيعيًّا لا مجاملة فيه ولا تعمد ولا محاولة للحرص على التمسك. بمكارم الأخلاق.. ولذلك فالحب هو الطريق العظيم للترقي.. للصعود والسمو. فإذا قلنا إن صميم الحب هو الإخلاص، فإن هذا الإخلاص يولد فيها قيمًا عظيمة أخرى كالوفاء والمسئولية والرعاية والعطاء والاحترام والنزاهة. إنه كل القيم مجتمعة، وهو التجسيد الحقيقي للضمير الإنساني ووسيلته إلى عالم الطهارة والخير والجمال والحق.

♥♥♥

* * كل هذا يأتي بغتة.. في لحظة.. مصادفة رائعة.. إلهام مباغت.. بلا مقارنة ولا تفضيل ولا انتقاء ولا اختيار ولا حسابات ولا شروط ولا علل ولا أسباب، وهنا تفقد النسبية معناها وقيمتها كواحدة من أعظم اكتشافات العقل الإنساني..

♥♥♥

* * المهم أنه لا أسباب ولا مبررات ولا علل ولا مقدمات. كل الضمانات تكون مكفولة منذ البداية وأيضًا بلا أسباب.. نحبه.. لماذا نحبه؟ لأننا نحبه!! ولماذا هو بالذات؟ لأنه هو الذي كان يجب أن نحبه. هو الذي نبحث عنه. هو الذي كان في خيالنا وضميرنا.. فالأصح أن نقول إننا أحببناه ثم قابلناه، لا أن نقول قابلناه فأحببناه. كان حبنا موجودًا قبل أن نوجد. حبنا سابق على وجودنا، ووجدنا لكي نحقق حبنا ولندرك سر وجودنا.. لندرك لماذا وجدنا.

♥♥♥

* * تستغرقنا دهشة منذ لحظة اللقاء الأول وتستمر معنا الدهشة إلى أن نفنى وكأننا مسحورون. ندخل هذا العالم المسحور وننجذب له ولا نريد أن ننفصل عنه ولا نريد أن نرتد إلى واقعنا حيث يصبح لنا واقع جديد له مذاق خاص. رائحة خاصة. ألوان خاصة. أبعاد مختلفة. قيم أسمى. سعادة قصوى. خير مطلق. ورغم شدة تأكدنا من مشاعرنا فإننا نشعر أننا نعيش واقعًا سريًّا غامضًا..

♥♥♥

* * ولأنه لا أسباب ولا مبررات فإننا لا ندخل في تفصيلات. فلا نستطيع مثلاً أن نقول إننا نحبه أكبر لأنه جميل أو لأنه ذكي. كما لا نستطيع أن نقول إن حبنا له قد انخفض درجة لأننا اكتشفنا أنه أقل ذكاء أو أقل جمالاً عما كنا نعتقد. إننا لا نرى ميزاته ولا نرى عيوبه أيضًا. لا ميزات ولا عيوب. ولكننا نحبه هو. كله. ذاته. على إطلاقه. ومنذ أن نلتقي به لا يزيد حبنا ولا يقل.

قد نشعر بعد ذلك أننا نحبه أكثر ولكن الحقيقة هو أننا نكتشف بعد ذلك مدى ما كان عليه حبنا منذ البداية. فالحب يولد كاملاً. الحب ليس كالقمر. الحب يولد بدرًا ويظل بدرًا. ولهذا يظل المحب على حبه لمحبوبه حتى وإن فقد هذا المحبوب بعض قدراته أو بعض إمكانياته أو بعض صفاته بفعل الزمن أو لأي سبب آخر. ويظل أيضًا الحب كما هو حتى وإن تخلى عن بعض عيوبه.

لا يحزننا تراجع بعض ميزاته، ولا يفرحنا تراجع بعض عيوبه، ومن أبرز الدلائل على ذلك أن المحبوب حين يقدم على جراحة تجميل تزيد من جماله كما يتصور فإن حبيبه لا يدرك هذا التغيير

(الإيجابي) الذي طرأ على شكل محبوبه.

إن الصورة التي أحبها منذ البداية تظل منطبعة في ضميره ووجدانه لا يريد لها تغييرًا ولا يلحظ أي تغيير يطرأ عليها، وقد يتقدم به العمر ولكن حبيبه لا يلحظ علامات الزمن. ولذلك قد تعتب المرأة أحيانًا على حبيبها أنه لم يلحظ فستانها الجديد وتتهمه بعدم الاهتمام، والحقيقة أن اهتمامه لم يفتر ولكن لأنه يراها الجمال المطلق فإن أي شيء جديد لا يزيدها حسنًا فهي الحسن ذاته.

♥♥♥

* * ومن الصعب أيضًا أن يقبل المحب أن محبوبه قد تغير أخلاقيًّا في الاتجاه السلبي، لأن الثقة المتبادلة تكون مكتملة منذ البداية. وأيضًا هو يتوقع –مثلما يحدث معه هو شخصيًّا– أن حبيبه سيترقى في الاتجاه نحو المثالية بفعل تأثيره الشخصي عليه وبفعل الحب. فالتطور الطبيعي للشخصية بعد الحب هو أنها تمضي قدمًا في التحليق في سماء الخير والجمال والحق وليس العكس.. وتلك إحدى نعم الحب وهي سعادة الاستقرار ونشوة الطمأنينة.

♥♥♥

## الفصل الخامس

# لماذا نحتاج للحب؟

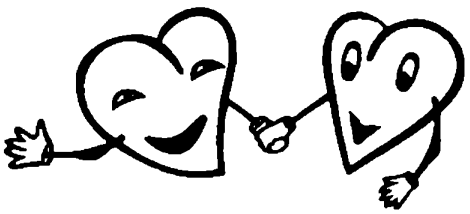

❖ ❖ يحاول المحبون وصف سعادتهم بشتى العبارات التي قد تعجز عن النقل الدقيق لما يشعرون به، ولكن من فرط صدقهم وحرارتهم فإن أصواتهم تكون كافية لنقل ما يجيش بصدورهم، وأنا هنا أنقل عن عبارات صدرت بشكل مباشر على ألسنة المحبين..

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

**يقول المحبون:**

- أشعر بالطمأنينة مع حبيبي.
- تزول عني كل مشاعر الوحدة القاسية حين أكون معه.
- حين يذهب عني تصبح الدنيا من حولي مقفرة جرداء حتى وإن كان معي كل الأصدقاء.
- تنتابني مشاعر الضياع حين أبحث عنه ولا أجده.
- أحس بالاكتمال وأنا معه.
- أحس أن الحياة تمضي بانضباط وهي بجانبي.
- تتبدد كل مخاوفي حين يقترب مني.
- ترتفع معنوياتي حين أبدأ يومي بسماع صوته.
- تنهار قدرتي على المقاومة حين يبتعد عني.
- أشعر باليأس حين أتصور انفصالنا.
- وأنا معه أشعر بأني أنا.. بأني مستمر.. بأني باقٍ حتى وإن مت. أستهين بالموت ولا أخافه. أشعر أن مشاعرنا ممتدة إلى ما بعد الموت، فلا أهمية للموت حينئذٍ.

♥♥♥

* * من هذه العبارات الصادرة عن ذوات عاشقة نستطيع أن نستخلص حقيقة مهمة وهي أن الحب يقضي على أحاسيس الوحدة..

الضياع.. الفراغ.. التوهان.. النقصان.. الفناء.. بالحب نكتمل ونمتلئ ونطمئن ونهدأ ونهنأ ونستقر ونسكن ونسعد ونفرح.

وهذا أمر عجيب. فمن خلال شخص واحد فقط نشعر بكل هذا الامتلاء والاكتمال والسرور. شخص واحد فقط يُذهب عنا الخوف والقلق ويجلب لنا الطمأنينة. شخص واحد فقط يساوي كل الناس مجتمعين. شخص واحد فقط يجتمع فيه أبوك وأمك وأختك وأخوك وصديقك وجارك وزميلك. هو كل الناس. ولو اجتمع كل الناس لِيُسِرُّوك عنك ويملأوا وقتك لما تساوى ذلك مع دقيقة واحدة مع من تحب، ولو اجتمعت لك أسباب القوة من مال وسلطة وعزوة لِطَمْأَنَتِك لما تساوى ذلك مع مجرد تواجد من تحب بجوارك.. مجرد تواجده.

♥♥♥

* * ولهذا نحتاج للحب، ولهذا كانت نقطة البداية حبًّا. القطرة الأولى من الحب هي تلك التي تنزل من ثدي الأم مع القطرة الأولى من لبنها في حلق وليدها. احتواء ودفء ونظرات حانية وصوت حنون وصحبة دائمة. كل شيء يبعث على الطمأنينة وخاصة أنه حب غير مشروط. حب بدون مقابل. حب مطلق. حب لهذا الوليد الضعيف. فإذا الضعف يستحيل قوة. وإذا الخوف يستحيل طمأنينة. وإذا الألم يعقبه لذة. وإذا البكاء يعقبه ابتسام. وياويلتنا حين تختفي الأم عن ناظرينا.

أي أحاسيس فزع وخوف تنتابنا؟! وأي لهفة وأي شوق للقاء؟! وأي سرور وأي طمأنينة حين نلتقي بوجهها مرة ثانية وتضمنا

ذراعاها.. هذه هي القطرات الأولى من الحب والتي تستمر كنهر متدفق لا يهدأ حتى آخر يوم في عمرها أو في عمرنا. ذلك هو النموذج الأول والأكمل للحب.

♥♥♥

* * ونمضي في رحلة الحياة.. مع الغرباء، ولا تفارقنا أحاسيس الضياع.. الوحدة.. العزلة.. الانفصال. ونرقب دورة الحياة.. بداية ونهاية.. ميلاد وموت.. من ضعف إلى قوة نسبية قد تكون وهمية إلى ضعف وفناء. ونفزع.. ونخاف. ومع قسوة الطبيعة وقسوة القلوب نكتئب.. يزداد إحساسنا بالعزلة وبالفناء.. والعجلة تدور.. تسرع في دورانها.. لا تتوقف من أجل أحد.. لا تتوقف إذا سقط أحد.. وتسرع أكثر وأكثر.. وكلما تقدم العلم نصبح أقرب وأقرب إلى الجنون. فإذا لم نجر بالسرعة الكافية دهستنا العجلة أو سقطنا دون أن يلحظ سقوطنا أحد!

♥♥♥

* * لكن عندما نلتقي به..نراه أمامنا على حين فجأة.. فيعاودنا إحساس قديم كنا قد نسيناه. إحساس رائع هو مزيج من الطمأنينة الشديدة والفرح الشديد حين غابت أمنا عن عيوننا فضعنا ثم فجأة رأيناها. هذه هي اللحظة الوحيدة التي اجتمع فيها قمة الطمأنينة وقمة الفرحة وما أروعه من مزيج يجعل كل شيء جميلاً وبديعًا.. قمة المشاعر البشرية. قوة وطاقة وحيوية وأمل وخلود.

لا شيء في الدنيا كلها يستطيع أن يمنحنا هذا الشعور. لحظة أن تلتقي بوجه أمك بعد ضياعها منك. قد يحدث هذا في لحظتين

متتاليتين خاطفتين تعقب إحداهما الأخرى. لحظة يغيب عنك وجهها أو تختفي كلها. كانت أمامك وأدرت رأسك فلم تجدها. يهبط لحظتها في قلبك كل خوف الدنيا وكل يأسها وكل ضياعها. ثم تدير رأسك في اللحظة التالية فتراها فيقفز كل شيء فيك فرحة وانتصارًا..

هكذا نشعر حين نلتقي بمن نحب في أول مرة. في لحظة واحدة يتابنا هذا الشعور العميق الذي كان نائمًا في أعمق أعماق الباطن.. فرحة وطمأنينة. بل أعلى درجات الفرحة والطمأنينة. وتلك هي الغرابة، ومن هنا كانت الدهشة. فأي مشاعر تولد صغيرة وتنمو. والمشاعر يكون لها سبب مباشر وواضح.

ولكن يا للدهشة فمشاعر الحب تولد في قمتها وبلا أسباب وحين ندرك أننا أحببنا، ندرك بالتالي لماذا كنا نحتاج إلى هذا الحب وماذا فعل بنا هذا الإنسان الذي أحببناه؟. إنه أزال شعورنا بالوحدة. إنه أزال كل مخاوفنا وقلقنا. إنه بدد يأسنا. إنه جعلنا لا نخاف الموت ولا نضطرب لسرعة إيقاع الحياة. فإذا كل شيء يصبح مقبولاً جميلاً محتملاً. كل شيء باسِمٌ.. كل شيء سهلٌ.

نحب الحياة. نعيشها باستمتاع. نجتهد. نبدع. نضيف. نتعاون. نحب الجار والزميل. بل نحب كل الغرباء. يستحيل كل الناس إلى أصدقاء لنا. لا نخاف الناس بل نصبح قادرين على رؤية الجانب الطيب الخير في كل الناس ونحاول أن نستثمر هذا الجانب ونستخرجه.

انظر إلى وجهك حين تحب سترى أن ملامحك قد تغيرت.

ستجد أن عضلاتك قد استرخت وأن ثمة بُشْرًا وتفاؤلاً يلوحان من وجهك. ثمة بسمة تشع من وجهك كل الوقت دون أن تتعمدها ثمة قبول وترحيب.. يزول عن وجهك أمارات القلق أو الحيرة أو العداوة أو العنف.

وستقبل مسيرة الحياة كما قدرها الله. ستقبل الموت كحقيقة ماثلة أمام عينيك في كل لحظة.. حقيقة أن يموت من تعرف من الناس أو حتى تموت أنت شخصيًا. إن ذلك لا يهم ما دمت تنعم بأعظم إحساس وهو أنك تحب وأن هناك من يحبك. وتلك هي الحياة ومعناها ومغزاها. وهذا يكفي. وبذلك نعيشها حقًا.

ولأنه إحساس خالد فإن خلوده يستهين بزوال الجسد ذاته. العشاق لا يخشون الموت. أما الذين يفتقدون الحب في حياتهم فإنهم يجزعون من الموت. وستقبل ضعفك أمام قوى الطبيعة. ستشعر أنك أقوى بحبك. أقوى من البراكين والزلازل والأعاصير والفيضانات.. ينهزم أمامك الحر الشديد والبرد الشديد. ستتحمل الصعاب بل الآلام والمحن والأمراض التي تصيب الجسد.

♥♥♥

* * إن طمأنينة روحك وفرحتها حين تحب تجعلك تعلو عن الأرض كمن يركب طائرة فيرى كل الأشياء على الأرض صغيرة. لن تتوقف عند تفاصيل وتضاريس. سترى الحقيقة الكلية الشاملة لمعنى الحياة والموت والصحة والمرض والمصيبة والنجاة منها. تلك الحقيقة الكلية الشاملة التي لم تكن لتعرفها إلا حين التقيت بذلك المحبوب وهي أن المعنى الخالد وراء حركة الكون هو الحب وأنك من

المحظوظين لأنك نعمت بذلك الحب.. أن ذاتًا إنسانية حرة أحبتك، وأنك كنت أيضًا قادرًا أن تحب هذه الذات.. فعرفت كل شيء من خلالها.. عرفتها فعرفت الحياة وعرفت ذاتك.. وأنت أيضا أتحت لها أن تعرف كل شيء.. تعرفك وتعرف الحياة وتعرف ذاتها.. والمعرفة قوة وطمأنينة وفرحة.

♥♥♥

* * هذا الحب يوجه مسيرتك في الحياة توجيهًا إيجابيًّا فتعتدل وتبدع. تعتدل بمعنى ألا تتمادى فالضياع الذي كنت تحسه قبل لقائك بالذات التي أحببتها يجعلك تندفع وتتمادى لتحاول أن تنسى. تنغمس وتنغمر بكليتك تمامًا.. تعمل كثيرًا.. تقرأ كثيرًا.. تسهر كثيرًا.. تنام كثيرًا.. تأكل كثيرًا. أي تطرف في كل شيء. تطرف في الوحدة وتطرف في الاندماج مع الناس. تطرف في العمل أو إهمال متناه. قد تلجأ إلى ما يغيب عقلك. قد تنغمس في شهوات الجسد. ولكن هيهات أن يرضيك شيء. هيهات أن يشبعك شيء. هيهات أن يذهب عنك الخوف والقلق واليأس. كلها أشياء وقتية يتبخر تأثيرها سريعًا وتعود إلى حالتك الأولى. ولهذا فحين تحب فإنك تعتدل. لا يصبح هناك أي ضرورة للتطرف أو الانغماس أو المبالغة. يهدأ إيقاعك وترى الأمور على حقيقتها وبواقعية وتتعامل معها حسب ما تستحق وحسب قدرها.

* * تنتظم حياتك مثلما ينتظم إيقاعك الداخلي.. أي إيقاعك البيولوجي وإيقاعك النفسي. جميع أجهزة جسمك تنتظم. وجميع تفاعلاتك الروحية والنفسية مع عالمك الخارجي تنتظم. قبل أن

تلتقي بمن تحب كانت أنفاسك تسرع أحيانًا فتلهث وتبطئ أحيانًا إلى حد الموت. أما الآن فإنك تتنفس بهدوء بل حتى لا تدرك أنك تتنفس لأنه أمر طبيعي أن تتنفس ولا تشعر أنك تتنفس.

* * تعتدل في علاقاتك بالناس. تصبح غير محتاج إلى أن تندمج معهم إلى حد الانصهار والضياع في وسطهم. وتصبح أيضًا غير محتاج إلى أن تنعزل وتتعالى وتحاول أن تتميز وتتفرد وتنتصر عليهم وكأنهم أعداء متربصون أو حاسدون حاقدون متلهفون للسخرية منك.

* * تعتدل في عملك، وثمة شيء جديد يطرأ عليك هو صفاء الذهن والقدرة على الرؤية الأعمق والفهم الأشمل. تراودك أفكار جديدة وتكتشف بنفسك علاقات جديدة ومثيرة بين الأشياء. ويصبح لديك الرغبة القهرية للاهتمام بالجانب الجمالي بالإضافة إلى الجانب العملي. أصبح الكم لا يعنيك بقدر اهتمامك وعنايتك بالكيف.

وتلك هي اللمسة الإبداعية في الحب.. أن تهتم بالجديد، بالجميل. فالحب ذاته هو قمة الإبداع.. وهذا هو سحره وتأثيره على الإنسان.. يخلق الإنسان من جديد، ولهذا يحاول الإنسان أن يخلق الأشياء من حوله بطريقة جديدة. إنه متعة للنفس وسكينة للروح وصفاء للعقل. قمة التناغم الإبداعي.

♥♥♥

* * المحبون مرحون، والمرح علامة الفرح والسعادة والسرور الذي يشعرون به. فالروح المسرورة هي روح مرحة.. ولهذا ترى

المحبين دائمي الابتسام، ومن السهل أن يضحكوا، والضحكة تكون صادرة عن من أعماق القلب، ولذلك فالفكاهة الحقة تكون صادرة من المحبين أو على الأقل أناس لديهم القابلية للحب. لا مرح مع الجمود العاطفي، ولا مرح مع الكراهية، ولا مرح مع الإحساس بالوحدة والانعزال والخوف واليأس.

♥♥♥

* * ومع الحب لن تتمادى إطلاقًا في مشاعر العداء والعنف والقسوة، وأيضًا لن تتمادى في الاستسلام والانكسار. تصبح أكثر شفقة.. أكثر تعاطفًا.. أكثر تسامحًا.. أكثر تقديرًا لظروف الآخرين وضعفهم. وتصبح أقرب إلى عالم النفس المتخصص الذي يفسر سلوك الآخرين الخاطئ فيرى أنهم قد يكونون مدفوعين قهرًا لمشاكل متعلقة بطفولتهم أو ليأس شديد أو لشذوذ غير إرادي في تكوينهم.. ولهذا فأنت وأنت تحب تحاول أن تفهم وتفسر وتعذر لتسامح وتغفر.

إنها إحدى نفحات الحب، وهي نفحات إلهية. هي الرحمة والتسامح والمغفرة؛ ولذلك فالحب يحقق للإنسان إنسانيته الحقة يسمو به ليصبح أقرب إلى السماء من الأرض، ومن النور إلى التراب؛ ولذلك نستطيع أن نقول إن رحمة الله التي ينشرها على عباده ومن خلال عباده تكون عن طريق المحبين أو المهيأة قلوبهم للحب، وبذلك فإن العالم يصبح وحدة واحدة من خلال عاطفة الحب التي تجمع بين قلبين من البشر. إنه لولا الحب لاحترق العالم؛ فالحب هو القوة المناهضة للشر. الحب هو الحل الأمثل لمشاكل الإنسان على الأرض. الحب هو الضمير الإنساني. الحب هو الوصلة التي تصل

الأرض بالسماء، وترتفع بأهل الأرض في طريق رحلتهم إلى السماء.

♥♥♥

* * بالحب تصبح فردًا.. ذاتًا.. مستقلاً.. حرًّا.. مبدعًا.. تصبح أنت، وبالحب أيضًا تصبح جزءًا من النسيج البشري المتماسك المتآزر.. تشعر بإنسانيتك وأنت ذات منفردة تحب وتحَب وتشعر بإنسانيتك وأنت ذائب مع مشاعر البشر ومشاكلهم، وما أحوج الإنسان المعاصر إلى هذا الحب. الإنسان المعاصر ضائع في الزحام البشري. ترس صغير في عجلة هائلة. نقطة في محيط إن ضاعت لا يهم، ولكي لا تضيع يجب أن تذوب في المحيط وتتوحد بمياهه. أي أن يمتثل، ولكي لا يضيع عليه أن يقدم أحسن ما عنده. إنه مجتمع العرض والطلب. مجتمع مسابقات الجمال وشركات الإعلان الضخمة ومباريات الملاكمة والمصارعة التي تدر الملايين.

مجتمع السلاح والمخدرات، والعنف. مجتمع مضادات الألم والأقراص المنومة والحبوب المهدئة. مجتمع عبادة الآلة.

ساعة أن يأتي الحب ليقول للإنسان إنك ما زلت إنسانًا. أنت لست آلة. أنت محبوب وقادر على أن تحب. إنك مرغوب لذاتك لأنه ليس مطلوبًا منك أن تبذل مجهودًا لكي يحبك أحد يكفي أنت.. مجرد أنت كما أنت بشكلك المتواضع وإمكانياتك المحدودة. مطلوب فقط براءتك وتلقائيتك وعفويتك وبساطتك. يأتي إنسان ليقول لك: أحبك.

هنا تشعر أنك أهم إنسان في العالم. أنك ملك الملوك. أنك ذات

متفردة مستقلة حرة قادرة على العطاء وقادرة على الأخذ دون أن تتوقع أن يُطلب منك مقابل. هنا تختفي الحيرة والتوهان. هنا يثوب الإنسان إلى رشده. يسترد وعيه. يملك زمام ذاته. يضيق من خمر أبخرة المصانع ودخان القنابل وعادم السيارات وحبوب تسكين الآلام والمهدئات والمنومات. هنا يتحرر الإنسان ويسترد حريته المفقودة ويهتف: أنا.. ولولا أنت لما كنت أنا.. ولولا أنا لما كنت أنت.

أنت مرآة ذاتي وأنا مرآة ذاتك. أنت اختياري المطلق وأنا اختيارك المطلق. أنا أسيرك بحريتي وأنت أسيري بحريتك.. أنا أذوب فيك بإرادتي وأنت تخضع لي بإرادتك. أنت اخترتني من ضمن كل الملايين لأنني بالضرورة شيء نادر أستحق حبك وأستحق إخلاصك وأستحق عطاءك، وأنا اخترتك من ضمن الملايين لأنك بكل تأكيد شيء نادر تستحق حبي وتستحق إخلاصي وتستحق عطائي.

* * أحبك بمعنى أنني أميل إليك ميلاً عظيمًا ولا أستطيع الاستغناء عنك ومستعد لأن أفديك بروحي، وأحترمك وأتحمل مسئوليتك بالكامل، وسأبقى معك حتى الموت..

♥♥♥

* * وهكذا يربطنا الحب بالواقع.. ولكننا في نفس الوقت نحتاج للحب لنهرب من الواقع.. لنحلم.. ليستغرقنا الخيال الجامح فننفصل تمامًا عما حولنا. نهرب وننعزل ومعنا من نحب. نعيش لحظات خاطفة من عمر الزمان محلقين بأجنحة الحب في سماء الخيال والرومانسية.. نهرب من أجسادنا ونستحيل إلى كائنات من نور..

نتوحد مع الملائكة ونتوحد مع الطبيعة.. مع النهر.. مع الزهور.. مع النسيم.. مع الشعر.. مع الموسيقى.

إنه عالم سري لا يعرف الطريق إليه إلا المحبون. إنه عطر غير متواجد في الأسواق. عطر يفوح من القلوب العاشقة فيدير الرؤوس ويحقق أعلى درجة من الانفصال عن الواقع والتحليق إلى بعيد. إنها لحظات الصفاء والهيام والشوق.. لحظات الذوبان.. إنها اللحظات التي ينتقل فيها المحبوب مؤقتًا بفعل النفحات الإلهية إلى جنات الخلد والنعيم.

إنها تلك الصلة السحرية بين الحب والفن. ففي الحب شيء من الفن وفي الفن شيء من الحب. الفن سحر وجمال. خلود وكمال. خيال أقرب إلى الواقع وواقع أقرب إلى الخيال. الفن هو خلق لواقع جديد فالواقع القديم بتناقضاته وصراعاته هو الباعث على الفن. وهكذا الحب أيضًا.

الحب نزوع نحو الخير والجمال. نحو الخلود والكمال.. الحب بحث عن الطمأنينة والفرح.. الحب خيال أقرب إلى الواقع وواقع أقرب إلى الخيال، أو هو الواقع والخيال معًا.. الحب هو خلق لواقع جديد.. فالواقع القديم بتناقضاته وصراعاته وماديته وقسوته ولا إنسانيته هو الباعث على الحب، والمحبون يعشقون الفن، والفنانون يتوقون إلى الحب، ولا إبداع حقيقي إلا من خلال حب.

وفي الحب سر وغموض، وفي الفن سر وغموض. هناك باستمرار بُعد غير مرئي. بُعد متروك للإنسان أن يبحث عنه ويخوض

فيه ويحاول كشف سره والوصول إلى مغزاه والتحقق من معناه. يظل مخفيًا، وكلما توغل الإنسان ابتعد. وكلما شرب عطش. كلما أكل جاع. أبدًا لا يمتلكه بين أصابعه وأبدًا لا يستوثق من الإلمام بفهمه والإحساس به، ولذلك فالشوق متجدد.. والإلهام لا يموت.. والحب لا ينتهي.. إنه السر الخالد.. وهو أيضًا سر الخلود.

♥♥♥

* * ويحتاج بعض الناس للحب (وهم المؤهلون بحكم تكوينهم للحب) لأنه يتجاوب ويتوافق مع نوازع نفوسهم وميلهم نحو المثالية والرغبة في وجود دستور أخلاقي غير مكتوب بين البشر، ولأنه يحقق رغبة نحو السمو ورغبة في المثالية.

الحب وثيق الصلة بالفضيلة. لا انحراف مع الحب ولا شذوذ مع الحب. ولهذا قد يكون النسق الأخلاقي لبعض الناس في بداية حياتهم مختلاً ولكنه يصبح شديد الانتظام بعد أن يحبو.

يحدث تغيير شامل في سلوكهم وذلك بعد أن اطمأنت النفس وهدأت الروح وصفا العقل واسترخى الجسد. إن الحب يؤدي إلى التوازن النفسي والبيولوجي وبالتالي التوازن الأخلاقي.

إن الحب يقوم المنحرف ويهذب الشاذ ويطهر المتدنس، وحين يكون لديهم الاستعداد الكامن للحب وتتفجر ملكاتهم حين يلتقون بالنصف الآخر المكمل الذي إذا التحم به غير من طبيعته النفسية والبدنية أو بالأحرى أعادها إلى طبيعتها الطيبة الخيرة المتطهرة..

♥♥♥

* * ولأن الحب منافٍ ومناهض ومناقض للأنانية فلا خير يعم إلا من خلال الحب. ولهذا يصبح الطموح الأسمى للبشرية بأسرها هو الحب حين تريد لنفسها ولمستقبلها خيرًا.

♥♥♥

* * إذن الحب هو الجنة على الأرض. هو مقدمة للنعيم الخالد المقيم في جنات الله.. هو جذورنا التي تثبت أقدامنا على الأرض، وهو الأجنحة التي تطير بنا إلى السماء، وهو الظلال الوارفة والثمار الناضجة التي تظللنا وتطعمنا. هو السكن والمأوى والملجأ.. هو الحرية والإرادة وتحقيق الذات.. هو الاستمرارية والخلود.. هو ماحي الصدمات ومنظم التقلبات ومهدئ السرعات. باعث الطمأنينة وجالب الفرحة ومبهج النفس، ومريح الخاطر، وهو الملاذ وهو الثابت وهو المطلق وهو اللامتناهي. هو الماضي والحاضر والمستقبل. هو المثالية والأخلاق. هو الإخلاص والوفاء.. أي كل القيم مجتمعة.

♥♥♥

* * الحب هو أنت يا من أحببتني.. لأنك جئتني قبل أن يجيء الحب. فالحب بك ومنك ومن أجلك.. أنت الحب.. بل أنت فوق الحب..

♥♥♥

## الفصل السادس

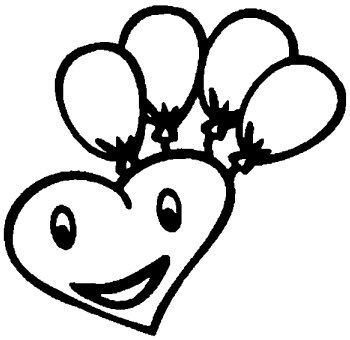

# الحب والنضج

** قد يبدو ظاهريًا أنك اخترت بإرادتك أن تكون عاشقًا أي أن تحب، ولكن في حقيقة الأمر أن الحب هو الذي اختارك وذلك لأنك أهل لأن تُحب وأن تكون محبوبًا.. أي لتخوض أعظم وأعمق تجربة إنسانية وهي الحب. والقادرون على الحب الحقيقي قليلون مثل كل شيء ثمين.

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الحب يحتاج إلى مؤهلات معينة.. سمات خاصة في الشخصية.. ومعظمها سمات ومؤهلات غير مكتسبة.. هذه السمات يرثها الإنسان.. أي يولد بها.. وقليل منها يكتسبه الإنسان في طفولته المبكرة عن طريق الأسرة والمجتمع أي البيئة المحيطة.

* * وإذا فهمنا طبيعة الحب الحقيقي فإننا نستطيع أن نتوقع تلك السمات التي تؤهل أي إنسان ليخوض هذه التجربة السامية.

♥♥♥

* * الحب الحقيقي ليس هزلاً.. ليس عرضًا مؤقتًا.. ليس ميلاً عاطفيًا مجردًا.. ليس نزوة.. ليس رغبة.. ليس عبثًا.. ليس تسلية. ولكنه تجربة استيعابية شاملة مركزها جوهر الإنسان وذاته ووعيه.. مركزها الباطن، وتشمل كيان الإنسان كله أي الفكر والوجدان والسلوك، ولذلك فجوهر تجربة الحب الحقيقي هو الصدق، وإذا كان الموت هو الحقيقة المؤكدة الماثلة أمام أعين البشر وتؤثر تأثيرًا ضخمًا في حياتهم وهي ذات مغزى. فإنه على الطرف المقابل يأتي الحب الحقيقي ليصبح هو الحقيقة الأخرى المؤكدة والتي تؤثر في حياة البشر تأثيرًا ضخمًا وتحمل جل المعاني.

* * إذن الحقيقتان الثابتتان في وجود الإنسان هما الحب والموت.. مركزا الحياة.. ومعنى الحياة.. يحددان مصير الإنسان ويشكلان وعيه ورؤياته وفلسفته ويؤثران على إدراكه وفهمه وسلوكه. لحظة الحب الحقيقي هي لحظة الصدق. ولحظة الموت الحقيقي هي لحظة الصدق أيضًا.

* * ولهذا فإن تجربة الحب الحقيقي لا يقوى عليها إلا إنسان

صادق.. هذا هو الشرط الأول والأساسي. الحب الحقيقي يدل على صدق الإنسان الذي يعايشه. والإنسان الصادق يدلل على أن حبه هو حب حقيقي، لا يمكن لكاذب أو مخادع أو منافق أو غشاش أو نصاب أن يعيش تجربة صدق.. ولا يمكن للتجربة الصادقة أن تتحقق من خلال كاذب أو مخادع أو منافق أو غشاش أو نصاب.

♥♥♥

* * وإذا كان جوهر الحب الحقيقي هو الصدق فإن جوهر الصدق هو الصدق مع النفس. إن الصدق مع الذات هو أسمى وأعلى مراتب الصدق بل هو قلب الصدق. فلا صدق بدون صدق مع الذات، والصدق مع الذات يتطلب وعيًا.. نضجًا.. استبصارًا.. شجاعة.. خبرة.. ثقة بالنفس. فالصدق مع الذات هو القوة الحقيقية.. رمز القوة في الإنسان، من أقوى البشر؟ إنه الإنسان الذي يتمتع بأكبر درجات الصدق مع الذات.. إنها البصيرة.. القدرة على النفاذ إلى الداخل.. السيطرة الكاملة على الوعي.. الفهم الحقيقي..

إنه التحرك من الداخل إلى الخارج.. من المركز إلى المحيط.. من القلب إلى الأطراف.. من الباطن إلى السطح، وتلك هي الحركة الطبيعية في الكون كله، وذلك هو الناموس الطبيعي الذي حدد الله به علاقة الأشياء ببعضها وعلاقة كل شيء مع نفسه.

هذه هي الصورة المثلى الطبيعية التي صيغ الإنسان عليها.. أن يكون له وعي، وحين يكون هذا الوعي صادقًا فإنه يحدد حركة الإنسان الطبيعية في الحياة بأن يكون هو مركز هذه الحركة. وبذلك يكون هذا الإنسان منسجمًا مع كل ما هو طبيعي وصادق في الحياة..

ولهذا لا نتوقع منه إلا الصدق.. ولهذا فإنه في لحظة ما يستطيع أن يحب. أي يختاره الحب حين يمهد له اللقاء مع ذات إنسانية أخرى تتحرك هي أيضًا من وعيها الصادق، وبذلك يكون الحب الحقيقي التقاء ذاتين.. التقاء وعيين.

♥♥♥

* * لا يمكن أن يتحقق حب حقيقي بين اثنين إلا إذا تحرك كل منهما من الداخل. من مركز الوعي.. أي لابد أن يكون كل منهما صادقًا مع ذاته.. وبذلك يتحرك كل منهما نحو الآخر وكأنه مَسُوق.. مدفوع.. كأن يدًا خفية تدفعه ناحية الآخر.. يتحرك بحدسه.. بإلهام معين.. بقوة غير مرئية.. بصيرته هي التي تقوده ولا شيء سواها!

* * إن لحظة الصدق التي يشعرها كل منهما ناحية الآخر في لحظة اللقاء الأول أو في هذا الجزء من الثانية.. هي التي تحدد مسار العلاقة بعد ذلك، وهي التي تجعل كلاً منهما يتوقف عند الآخر.. يندهش.. ينبهر.. تتحرك كل أجهزته تهيؤًا للحدث العظيم.. يشعر أنها أهم لحظة في حياته.. بل أخطر لحظة في حياته.. منعطف مهم.. نقطة تحول جذرية..

يرى أن المستقبل الحقيقي يبدأ من عند هذا الجزء من الثانية.. إنها لحظة كشف.. وتتسلط الأنوار كلها عند هذه البقعة من وعيه.. ويقترب دون خوف بجرأة قد تكون غير معتادة.. بثقة.. بتحدٍّ.. بشجاعة.. لا يمكن أن يترك هذه اللحظة من الزمان تفلت منه لأنه يريد أن يربطها بكل لحظات حياته المستقبلة.. وذلك تأكيد للصدق.. لصدقه.. أي لتحركه من مركز وعيه.. فالصدق يجعله شجاعًا جريئًا واثقًا.

♥♥♥

* * في اللحظة الأولى أو في هذا الجزء من الثانية يتابه شعور الفرحة ممزوجًا بالطمأنينة، ويندهش حين يتأكد لديه شعور آخر غير مفهوم بأنه يعرف هذا الإنسان من زمن بعيد، ألفة غريبة يشعرها مع هذا الغريب الذي لم يكن يعرفه من قبل والذي التقى به منذ لحظة واحدة.. ويتأكد لديه شعور آخر أكثر غرابة بأنه سوف يظل يعرف هذا الإنسان بقية حياته من خلال علاقة قريبة جدًّا.

♥♥♥

* * ولذلك فإننا حين نقول لإنسان: انضج فهذا معناه: كن نفسك.. وهذا معناه أيضًا: كن صادقًا مع ذاتك.. أي تحرك من داخلك.. تحرك من صميم ذاتك ومن مركز وعيك بفهم كامل وبصيرة نافذة.. وبذلك تكون أصيلاً فهذه هي الأصالة.. بذلك تكون ناضجًا.. أي مؤهلاً للحب الحقيقي.. أي أن تكون إنسانًا حقيقيًّا.

♥♥♥

* * الإنسان الحقيقي هو الإنسان القادر على الحب.. هو الإنسان المؤهل لأن يحب وأن يكون محبوبًا.. أما الإنسان المزيف فهو غير قادر على الحب.. ليس مؤهلاً لأن يحب. قد ينخدع بمظهره إنسان بسيط فيعجب به لحين. وقد يخدع هو الآخرين بعواطف زائفة.. ولكنه سرعان ما ينكشف أمره.. ولهذا ينتقل من علاقة إلى علاقة تحت مسمى الحب. ولكنه حب زائف. وهو لا يستطيع أن يحب لأنه لا يستطيع أن يعطي نفسه بالكامل، في الحب الحقيقي أنت تعطي نفسك بالكامل لمن تحب أي تهبه حياتك.

* * الإنسان الحقيقي المؤهل للحب هو إنسان كريم سخي

معطاء.. سعادته الحقيقية في العطاء.. الإنسان البخيل هو إنسان أناني نرجسي.. والأناني لا يحب.. والنرجسي لا يحب.. الأناني النرجسي يريد كل شيء لنفسه، ولا يرى إلا نفسه، ويريد أن يسخر الآخرين لخدمته، لا يأبه لمشاعر الآخرين وآلامهم.. ولذلك فهو معزول نفسيًّا.. لقد أقام جدارًا خرسانيًّا صلبًا بينه وبين الآخرين.. بينه وبين جيرانه وزملائه وأقاربه، ولذلك فهو غير مؤهل وغير مدرب لأن يلتقي بتلك الذات الإنسانية التي تجبره على هدم ذلك الجدار الذي يفصله عن الناس، وهو غير قادر على أن يثير الحب في صدور الآخرين.

هناك بشر يملكون هذه المقدرة العجيبة على تحريك مشاعر الآخرين إيجابيًّا تجاههم.. فهم قادرون على تحريك العواطف.. قادرون على إشعال نار الحب في قلوب الآخرين..

ثمة نور أو قل إشعاع يصدر عنهم.. هالة تحيط بهم.. سر غامض لا تستطيع أن تدركه أو تفسره يجعلهم يستقرون على مقعد قلبك الرئيسي، وبمجرد أن تراهم وربما لأول وهلة.. بينما الأناني النرجسي يفتقد هذه المقدرة تمامًا.. قد يثيرك جماله، وقد تعجب بنجاحه، وقد تنبهر بذكائه ولكنه أبدًا لا يحرك قلبك.

♥♥♥

* * والإنسان الكريم لا يكون كريمًا مع حبيبه فقط ولكنه موقف عام.. أسلوب حياة.. فلسفة خاصة.. هكذا هو من قبل أن يلتقي بمن يحب.. وهو موقف قائم على الإحساس بالآخرين.. الإحساس بالبشر والشعور بالمسئولية تجاه الإنسانية عامة.. إنه يشفق

ويعطف من قبل أن يعرف الحب طريقه إلى قلبه.. وهو أيضًا يحترم الذات الإنسانية.. ينظر إلى البشر على أنهم ذواتٌ حرةٌ مستقلة تحمل نزوعًا للخير يفوق نزوعها للشر.. فقدرته على التسامح عالية.. لا ينصب نفسه قاضيًا أو جلادًا.. ولا يترفع أو يتعالى أو يتكبر.. ولهذا فالتواضع من صميم صفاته.. المتكبر لا يستطيع أن يحب، والمغرور لا يستطيع أن يحب ولا يستطيع أحد أن يحبه.. إنها صفات تزيد من الهوة التي تفصل بين نفوس البشر.

♥♥♥

* * الإنسان المؤهل للحب لا يتمادى في عداء.. ولا يلجأ إلى العنف.. ولا يخطط لإيذاء.. ولا يسعد بمصيبة آخر.. ويهب عن طواعية وطيب خاطر لمساعدة من يحتاجه أو من يلجأ إليه.. لا توجد لديه ميول سادية على الإطلاق ولهذا فهو يتسم أيضًا بالشجاعة.. شجاعة مصدرها قوة إيمانية.. إيمانه بالله.. ولهذا فهو يحب كل مخلوقات الله ويتعاطف معها ويحترمها. ولذلك يهتم بأن يكون له دور إيجابي في الحياة، يرفض أن يكون سلبيًّا ويرفض أن يكون عاطلاً ويرفض أن يكون متجمدًا.. فهو إنسان نشط.. إنسان منتج.. إنسان يعمل ويجتهد أن يبدع وأن يطور ذاته..

إنه في حالة حركة مستمرة.. حركة للأمام ولأعلى.. حركة إيجابية هادفة.. ولذلك فهو حين يحب فإن حبه يكون حقيقيًّا، فالحب الحقيقي ليس مجرد هوى وميل وانجذاب وتعلق وعاطفة.. الحب الحقيقي هو موقف واتجاه وحركة وفعل. حب يمتد نحو العالم.. عالم الحركة والفعل والفكر.

الحب الحقيقي يشمل بناء الشخصية ذاتها وارتباطاتها بعالمها المحيط.. الحب الحقيقي الصادر عن إنسان حقيقي هو فعل إبداعي لأنه يتضمن ارتباطًا روحيًا عميقًا بذات أخرى تتمتع بالنضج وقادرة على العطاء المطلق والإحساس بالمسئولية واحترام البشر والتعاطف معهم.. ذات مؤمنة متواضعة شجاعة.

♥♥♥

* * هذا هو مفهوم النضج الذي يجعل الإنسان صادقًا يتحرك من جوهر ذاته.. أي إنسانًا حقيقيًا.. إنسانًا يتمتع بصفات روحية سامية تتضاعف عشرات المرات وتتأكد وتثمر حين يلتقي بنصفه الآخر.. توأم روحه.. فيتاح حينئذٍ لفيض الخير الذي بداخله أن يجد من يتلقاه كالنهر السخي الذي لابد أن يجد أرضًا صالحة طيبة تتشرب مياهه وتزدهر بها.. ولذلك فالحب الحقيقي هو خبرة إبداعية.. والمحب هو أقرب إلى الفنان أو هو عاشق للفن.. والفن عنده أسلوب حياة. إن تناوله للحياة هو تناول الفنان الذي يعطي كل اهتمامه لفنه.. عمله حتى وإن كان بسيطًا يحيله إلى فن.. يؤديه باستمتاع وإتقان وإخلاص ويضفي عليه لمسات جمال.

* * حواره فن فهو لا يتلفظ إلا بكل ما هو جميل ذو معنى ومضمون إنساني فكري حتى وإن كان متواضعًا في علمه وثقافته.

* * علاقاته بالآخرين من أغراب وجيران وزملاء وأصدقاء وأقارب فيها فن أيضًا.. فهي علاقات تتسم بالبراءة والبساطة والتلقائية والمباشرة والبعد عن سوء الظن، وافتراض الخير كأساس لكل علاقة إنسانية. فن يبتدى بوضوح في مودته التي تصبغ كل

علاقاته الإنسانية بكل الطبقات الاجتماعية.

* * وهو يتخير الأخيار لصحبتهم.. لا تقوى روحه على مصاحبة أو مزاملة خبيث أو مخادع أو منحرف أو متكبر أو أناني.. الإنسان الحقيقي يحيط نفسه ببشر حقيقيين.

♥♥♥

* * والإنسان الحقيقي هو الإنسان القادر على اتخاذ قرارات حقيقية.. أي القرارات الصادقة. الحقيقة والصدق وجهان للشجاعة. إذن هو إنسان حقيقي.. أي صادق.. أو شجاع.

* * قراره حقيقي أي صادر منه هو.. من داخله.. من بؤرة ذاته وعين عقله وقلب باطنه.. دون أن يخضع لأي مؤثرات خارجية.. ولهذا فاختياراته حرة مطلقة.. وهو يتحمل مسئولية اختياراته.. ولهذا يتنازل عنها بسهولة إزاء صعوبات أو مشاكل تواجهه. أما الإنسان المهزوز الذي يبني مواقفه وقراراته على آراء الآخرين وتكون اختياراته خاضعة للإيحاء من الآخرين فإنه يتنازل عنها بسهولة.. ينقلب إلى النقيض في ثانية.. يتراجع عن قراراته ومبادئه لأنه يعرف أنها غير حقيقية وغير صادقة.. أي ليست نابعة من ذاته.

إن الإنسان الحقيقي هو من يدافع عن حبه.. يحافظ عليه.. يناضل من أجله.. ولذا فالحب الحقيقي يستمر مدى الحياة.. أما الحب الزائف فهو حب مرحلة.. متقلب.. متغير.. هو الحب الذي من الممكن أن ينقلب إلى جفوة أو كراهية أو تبلد تام على أقل تقدير.

♥♥♥

* * والإنسان الحقيقي بالرغم من أنه يتغير بمعنى يتطور- بل هو حريص على التطور- فإن مبادئه الأساسية ثابتة.. جوهره ثابت.. ولذا فحبه ثابت.. فهو إنسان مؤمن بنفسه، ومؤمن بمن يحب.. وهو حين اختار فإنه قد اختار بإرادته الحرة، اختار من صميم ذاته ولهذا فهو سيد قراره.. قرار اتخذه بوعيه الكامل.. أي يعرف كيف اتخذه.. يستطيع أن يلمس ذلك في أعماقه.. يعرف تمامًا أنه صادر عن أعمق أعماقه ولهذا فهو يتحمل كافة المسئوليات المتعلقة بهذا القرار.

من النادر أن يستشير أحدًا إذا واجهته صعوبة أو مشكلة. ومن المستحيل أن ينصاع لرأي أحد يختلف مع رأيه أو يطلب منه التنازل أو التراجع عنه.. ولهذا فهو قد يُتهم بالعناد أو بالصلف أو بالضعف.. والحقيقة أنه ليس كذلك.. فالتصميم على الرأي ليس عنادًا بل إيمان.. وعدم القدرة على التراجع عنه ليس ضعفًا بل قوة..

♥♥♥

* * والقرار الحقيقي يصدر عن شيئين: إلهام داخلي، وفهم للذات والموضوع، فالإنسان الحقيقي لأنه يتمتع بالصفاء فإن له بصيرة أكثر عمقًا ووعيًا، يعتمد على حدسه. يهتدي إلى الطريق بفعل ضوء داخلي صادر من مكان ما في أعماق باطنه. وهو يثق بهذا الإلهام وهذا الحدس ويمشي وراءه بثقة ويؤمن به عن اقتناع.

ويبدو هذا اقتناعًا غير موضوعي ولكنه في الحقيقة قمة الموضوعية لأن ذلك هو جوهر حياة الإنسان.. حياة باطنية وحياة خارجية.. حياة روحية وحياة مادية.. واقع ملموس وغيب غير مرئي.. وكلما كانت النفس مؤمنة صافية عامرة بالحب خالية من

الحقد والحسد بعيدة عن الشر قريبة إلى الخير والتواضع.. كانت أقدر على الاستشفاف والإدراك الخفي والرؤية الباطنية.. ولهذا فإن الإنسان الحقيقي حين يحب يدرك حقًا أنه يحب وأن حبه حقيقي، لا أحد يهديه أو يدله على ذلك.. إنه يهتدي بنور داخلي يصدر من مكان ما في أعماقه.. وهو يفهم ذلك تمامًا.. أي يفهم نفسه.. أي هو مستبصر.

* * وهو أيضًا قرار مبني على فهمه للإنسان وللموضوع.. أي للواقع المحيط.. فرؤياه ثاقبة مبنية على خبرة بريئة.. والخبرة البريئة هي القادرة على رؤية العلاقات الصحيحة بين الأشياء. أما صاحب الخبرة الخبيثة أو المبنية على خبث أو التي أكسبت الإنسان خبثًا وسوء نية فإنها ترى العلاقات مضطربة ومعوجة ومنحرفة ولهذا تكون علاقاته بالعالم الخارجي مبنية على الشك وسوء النية.. ولهذا فهي علاقات مضطربة قلقة وتسبب ألمًا وتزيده حيرة وعداوة.

♥♥♥

* * الإنسان الحقيقي لكل هذا يدرك أن قراره قرار صحيح وأن اختياره اختيار حكيم.. ولهذا يشعر بالطمأنينة والفرحة.. وتلك هي المشاعر المباغتة التي تنتاب الإنسان حين يلتقي بنصفه الآخر وتوأم روحه للمرة الأولى.. ولهذا يشعر بسعادة طاغية خالية من الخوف وبعيدة عن الشعور بالذنب.. سعادة تجسد حريته المطلقة.. أما الإنسان الذي لا يتمتع بهذه الصفات فهو عبد ذليل خائف ولهذا فهو لا يثير حبًا ولا يحظى بحب.

♥♥♥

* * وفي النهاية يهتف الإنسان الحقيقي صاحب القرار الحقيقي من أعماقه: أنا حر.. إذن الإنسان الحقيقي هو إنسان حر شجاع قوي.. ورغم قوته فهو متواضع.. وتواضعه هو مصدر رحمته.. وتلك هي الشخصية الثرية السخية اللامحدودة الطموحة.. أما الإنسان الزائف فهو إنسان فقير ومحدود. ليس فقرًا ماديًا ولكن فقر في الشخصية، لا يستطيع أن يبتعد خارج حدود ذاته، ولهذا من المستحيل أن يلتقي مع جوهر ذات أخرى.. وصحبته دائمًا من الأشرار السيئين لأنهم يتكلمون لغة مشتركة.. مع السيئين يشعر بعدم التهديد.. لن يهدده أي حصار عاطفي.. الإنسان الزائف يخاف من حب الآخرين ويخاف من نفسه.. يخشى أن يقع في الحب.. وهو في الحقيقة لن يحب لأنه غير قادر على الحب.. وإذا تعلق بإنسان من الجنس الآخر فهو تعلق مادي.. مال أو جنس.. نفع أو شهوة.. أي قمة الفقر والزوال والعدمية ثم الحسرة..

♥♥♥

# الفصل السابع

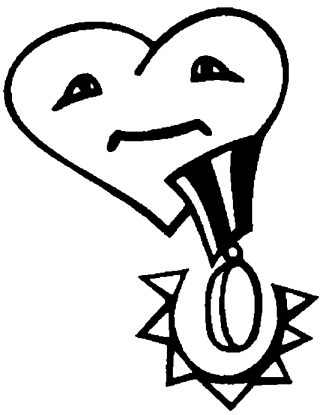

## اكتشاف الذات

* * الحب يجعل الإنسان سعيداً. إنه أقصى متعة روحية.. يلمس الإنسان بيديه وبروحه أعلى درجات السعادة.. وإذا تصورنا أن هذه السعادة معلقة في السماء فإن يدي الإنسان وروحه تصلان فعلاً إلى السماء، والغريب أن الإنسان حين يحب يشعر أنه ولد من جديد. إن يوم ميلاده الحقيقي هو اليوم الذي التقى فيه بحبيبه.

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

* * لماذا؟ لماذا هذه السعادة وتلك الفرحة القصوى والتي بلا حدود والتي لم يشعر بها من قبل والتي لا يعرفها ولا يتصورها أي إنسان لا يحب مهما كان يبلغ ويملك من كل أسباب السعادة التي نعرفها في الحياة..؟

* * إن السبب يكمن في أمر مهم وفريد وهو أن الإنسان يلتقي ولأول مرة منذ أن ولد مع ذاته الحقيقية. يلتقي مع نفسه، يرى نفسه من الداخل. يكتشف أو يعثر على مركز وعيه.. ومركز وعيه هو المحطة التي ينطلق منها إلى عنان السماء ليثمر ويبدع وينتج ويتحقق ويكتمل ويمتلئ ويعطي ويسخو ويثري.

إنه يرى «أنا».. يرى إمكانياتها الحقيقية، يرى الخير والجمال الذي تحظى به ذاته ولم يكن يدركه أو يعرفه من قبل. كيف ذلك..؟

إن فهم هذا يحتاج إلى قدر كبير من التخيل، ولكي نقرب الصورة فإن الأمر يشبه اللحظة الأولى التي يلتقي فيها الإنسان مع وجهه في المرآة. المرآة التي تعكس صورة وجه الإنسان. فلتتصور إنسانًا عاش في مكان لم تكن فيه مرآة. وكبر هذا الإنسان دون أن يرى نفسه أبدًا.. ماذا يشعر هذا الإنسان إذا أتينا له بمرآة يرى عليها صورة وجهه.. ستكون بالقطع لحظة اندهاش.. نشوة.. فرحة.. لحظة يعانق فيها نفسه.. يتعرف فيها على نفسه.. يصادق فيها نفسه.. يألف فيها نفسه.. ويهتف ويصيح «أنا». ويكون لكلمة «أنا» معنى جديد.. رنين جديد.. وما كان يمكن أن يعرف «أنا» هذه إلا من خلال المرآة.. المرآة العاكسة للصورة.

إن كل إنسان منا محتاج لمرآة. وهذه هي الفائدة العظيمة للمرآة

في حياتنا لكي يلتقي الإنسان مع نفسه ويألفها ويحبها ويكتشف الجمال الظاهر منها، وكل شيء عظيم يحتاج لمرآة تعكس صورته لكي يراها، ولا شيء في الدنيا أعظم من الإنسان. وليس مهمًّا هنا أن يكون دميمًا أو جميلاً.. بل كل إنسان جميل. أو به جمال، أو إن هناك من يراه جميلاً. أو من يراه أجمل مخلوق، عين أخرى تراه هكذا، وبذلك تصبح عينا الإنسان الآخر مرآة أخرى يرى عليها الإنسان صورته.

إن الحبيب يقول لحبيبه بصدق: أنت أجمل مخلوق على وجه الأرض. وهذا حقيقي. وهذا صدق. ولا نقصد هنا الرؤية الداخلية ولكننا نقصد بالتحديد الرؤية الخارجية.. فالحبيب يكتشف الجمال الحقيقي لحبيبه. جمال شكله وملامحه، وكل عظيم وكل جليل يحتاج لمرآة تعكسه حتى يستطيع أن يرى ذاته وأن يتحقق منها وأن يحبها وأن يعجب بها، الشمس بكل جلالها وعظمتها محرومة من هذه النعمة، ليت هناك مرآة كونية ضخمة تعكس الشمس حتى تستطيع هذه الشمس أن ترى نفسها.

♥♥♥

* * وهذا ما يفعله الحب الحقيقي.. إنه مرآة الذات.. المرآة التي يلتقي فيها الإنسان مع نفسه.. مع ذاته.. مع جوهره.. مع وعيه.. مع «أنا».. أن تكون محبوبًا من إنسان آخر معناه أن تكتشف جوهرك الحقيقي عن طريق هذا الآخر. وأن تحب إنسانًا معناه أن تتيح لهذا الإنسان أن يكتشف جوهره الحقيقي عن طريقك أنت.

* * هذا هو الحب. ظاهرة تقابلية، لغز متفرد يشاهد فيه جوهر إنساني جوهرًا آخر.. وهكذا تتواجد «الأنا» من خلال تواجد

«الأنت».. أو هكذا تتحقق «الأنا» من تواجدها من خلال تواجد «الأنت».. إنه تحقق متبادل للوجود، ويحق للإنسان حينئذ أن يقول «أنا أحب إذن أنا موجود». بمعنى أنا أدرك ذاتي وأعرفها حق المعرفة وأعرف إمكانياتها وقدراتها، أعرف سموها ورفعتها، أعرف طموحها نحو الخير ونزوعها للجمال.

♥♥♥

* * في عملية الانعكاس أنا أجرب وأتفهم للمرة الأولى تميز وعيي الداخلي الحقيقي، وهذه إحدى جوائز الحب العظيم التي يمنحها الحب للإنسان ويمنحها الحبيب لحبيبه. وهي أن الإنسان يشعر بتفرده.. بتميزه.. بتفوقه.. بأهميته.. بقيمته الكبرى.. هكذا تنعكس ذاته وهكذا يرى ذاته على مرآة حبيبه. ولا يصيبه ذلك بالدوار والغرور وإنما يشعر بالتواضع.. بل بمزيد من التواضع لأن تفرده وتميزه وتفوقه الذي يشعر به إنما هو تفرد العقل والحكمة والنضج وذلك يقوده إلى التواضع بل قمة التواضع.

* * وأنت أيها المحب حين تدرك صورة ذاتك منعكسة على جوهر حبيبك، ثم تدرك أن حبيبك يرى صورته منعكسة على جوهرك فإن هذا الإدراك المتبادل يجعلك أيضًا تشعر بمدى أهميتك في أن ذاتًا أخرى قد رأت انعكاس صورتها بفضلك وبسببك وبحبك. إنك أسهمت في اكتشاف ذات أخرى. أصبحت تدرك ذاتك وتدرك وجود هذه الذات الأخرى. إدراك الوجود المتبادل.

هكذا تشعر بذاتك وتشعر بالذات الأخرى، ونفس الحال مع الذات الأخرى، إذ تشعر بذاتها وتشعر بذاتك أنت، وهكذا يكتسب

كل منكما حساسية فريدة ناحية الطرف الآخر، تصل إلى قمة الإحساس به. الشعور باحتياجاته وبذلك تكون الاستجابة الفورية لتلك الاحتياجات. تقرأ بسهولة تعبيرات وجهه، نظرات عينيه، نبرات صوته، حركة جسمه، هذا هو الحب، الإحساس بالآخر، الإحساس بتفرد الآخر، الإحساس بحرية الآخر ووجوده كذات مستقلة قادرة على أن تعكس ذاتك وأنت قادر على أن تعكس ذاتها.

♥♥♥

* * هكذا يتعرف الإنسان على نفسه، ويصبح نفسه، ويتعرف على ماهيته، ويكون على بينة من وعيه.

* * وهذا حدث كوني مهم في حياة العشاق، إنه ميلاد جديد، فبعد أن تكتشف ذاتك، وبعد أن تتيح لإنسان آخر أن يكتشف ذاتك فإنك تكون قادرًا على رؤية هذا الآخر بطريقة مختلفة.. تراه كما لا يراه أحد. وهو يراك كما لا يراك أحد، ومن موقعكما الفريد، ومن توحدكما وتفردكما في آن واحد، وبوعيكما الجديد، أو بإدراككما لوعيكما الجديد فأنتما الآن تريان العالم بطريقة مختلفة.. رؤية جديدة.. أبعاد جديدة.. تجسيم جديد.. علاقات جديدة.. مفاهيم جديدة.. رؤى جديدة. إنه إشعاع الحب يفترش الكون والنابع من داخلكما. إنه شيء لا يوصف، شيء غير قابل للشرح، خبرة لا نستطيع أن نمسكها بأيدينا ولكننا نعيشها.

* * إذن الحب هو الحقيقة، حقيقة أن يتعرف الإنسان على حقيقته من خلال إنسان آخر، وأن يتيح لهذا الآخر أن يتعرف على حقيقته، وبذلك يكون الطريق سهلاً وممهدًا لفهم الحقيقة الكلية

للوجود. هكذا تصبح أنت كالشمس التي اكتشفت ذاتها واكتشفت شمسًا أخرى فأضاء الكون بشمسين لا بشمس واحدة، نور ساطع باهر، نور حقيقي، نور الحقيقة وحقيقة النور.

♥♥♥

* * الحب هو تحقق.. تحقق للذات وتحقق للكون، وهذا هو سر الحب الأعظم. الحب خلق للذات، الحب هو خلق لذاتك ولذات أخرى، ولهذا فأنت حين تحب تقول بشعور يقيني صادق: أنا لا أتواجد بدونك يا حبيبي وأنت لا تتواجد بدوني. وأنا وأنت نعتبر جوهر الوعي ولسنا أبدًا مجرد أجساد أو كائنات تسعى بتلقائية وبدون وعي. فنحن نحن.. نحن الإرادة.. نحن الوعي.. نحن الهدف. نحن العمل والإنتاج والإبداع والتطور والنضج. نحن نحب. نحب وجودنا، نحب الكون، نحب الحياة. نحب ماضينا وحاضرنا، نحب المستقبل، والأمل متجدد، لا يأس على الإطلاق، ولذا فنحن سعداء، قمة السعادة والفرحة، نلمس نجوم السماء بأيدينا وبأرواحنا.

♥♥♥

* * ولذلك ينسجم الحب مع الطبيعة البشرية، الطبيعة الفاهمة الواعية الباحثة عن أصل وجودها وسر تواجدها، ولهذا فإن الإنسان حين يحب يبدأ بالإدراك التام لجوهر الوعي، وبالإدراك التام لجوهر الآخر الواعي. ثم ينتقل الحب بعد ذلك إلى المشاعر فيهزها ثم ينتقل إلى الأجساد.

المشاعر والأجساد هي وسائل للتعبير ليس أكثر.. ثم يقود ذلك إلى الزواج والأطفال والأسرة. لكن نقطة البداية الأصيلة وصميم

الحب هي مركز الوعي. إنها نقطة الانطلاق إلى العالم كله، إنه العثور على الذات والعبور إلى ذات أخرى ثم الخروج عبر الجسد إلى المجتمع والطبيعة وذلك بصحبة الذات الأخرى، إنها حركة دائمة إبداعية. نهر متدفق سخي، منبع متجدد، مجرى متحرك، مصب مغدق، إنه حياة.. حركة من الداخل إلى الخارج، حركة إبداعية. حركة أساسها العطاء والسخاء والإثمار والازدهار. ولذلك لا يبدأ الحب أبدًا بالشهوة الجسدية ولا بالانبهار الشكلي. أي أنه لا يمضي أبدًا من الخارج إلى الداخل.

إن ذلك عكس قانون الحياة وضد الطبيعة البشرية السوية. إن حبًّا يبدأ بالرغبة الجسدية ليس حبًّا، الحب يبدأ من الجوهر. من الداخل. اكتشاف لهذا الجوهر عن طريق الإنسان الآخر وإتاحة الفرصة لهذا الآخر أن يكتشف جوهره عن طريقك. إنه التقاء جوهرين.. وعيين.. روحين. ومن الجوهر ينطلقان معًا نحو العالم ليدركاه من جديد، ليكتشفاه.

* * إن الهزة التي يستشعرها الجسد لذة حين يلتقي بحبيبه هي نشوة لقاء الروح، عناق الداخل، تمازج الوعيين، إنها خبرة متفردة ومن الصعب وصفها. إنها الخبرة التي تتيح الانصهار في عناق شديد مع الإبقاء على الفردية في نفس الوقت وهذا هو جوهر الوجود كله.

* * وبذلك يستطيع الإنسان أن يصل إلى أعمق أعماق ذات حبيبه وأن يلمس جوهر وعيه ويشعر كل منهما أنه أصبح تحت سيطرة الآخر تمامًا، إنه التقابل السامي لوعيين. وهذا التقابل هو الذي يمنح لكل شيء معنى.. كل فعل.. كل تفاعل مع الناس.. كل لقاء مع

الطبيعة.. وأيضًا يعطي للقاء الجسدين معنى وقيمة وينقل المتعة الجنسية من درجة الغريزة إلى درجات أعلى وأجمل وأمتع لا يدركها ولا يعرفها إلا المحبون.

♥♥♥

* * وحين يحدث الانكشاف، انكشاف جوهر كل منكما للآخر، واكتشاف كل منكما لجوهره بفضل الطرف الآخر تبنى أقوى جسور الثقة: الثقة بالنفس والثقة بالآخر. ومصدرها الإيمان بالنفس والإيمان بالآخر، ولذا فإذا قلنا إن هناك حبًّا حقيقيًّا بين اثنين فلا مجال إذن لمناقشة موضوع الثقة، الثقة داخلة في نسيج الحب، أنا أحبك معناها أنا أؤمن بك وأؤمن بنفسي. أي معناها أنا أثق بك ثقتي بنفسي.

إنه الإشعاع الذي افترشت به النفوس نورًا فأتاح لكل محب أن يرى قدر الطهر في نفسه ونفس الآخر. أن يرى هذا النزوع نحو المثالية وأن يدرك القيمة الحقيقية لذاته ولذات المحبوب، ونصل بهذا إلى أن دعامتي الحب وهما الطهارة والطمأنينة ما كان لهما أن يكونا إلا بفضل الإيمان.

* * وإذا كان داخلي متاحًا ومكشوفًا تمامًا للآخر والذي بفضله عثرت عليه أنا أيضًا، فإنني أجد سعادتي وراحتي بالبوح له بكل شيء. انفتاح وانكشاف كاملان، أكون نفسي أمام حبيبي، أكون أنا كما هو أنا، أكون على طبيعتي. لا أداري شيئًا ولا أخجل من شيء وهل يخجل الإنسان من نفسه!! وهل يخجل الإنسان من الذي أعانه على أن يرى نفسه!!

إن حبيبي هو حامل المصباح الذي أنار كل جنبات نفسي وكل جنبات وجودي. وهو المطلع الأوحد على كل خبايا نفسي، إنه الإدراك الكامل والمعرفة المطلقة التي تحقق للإنسان التوحد مع الآخر، إن ذلك يحقق للإنسان سعادة أن يكون نفسه ويحقق للإنسان ضربًا من الطمأنينة ويقضي على إحساسه بالوحدة، إحساسه بأنه ذات منغلقة على نفسها. إحساسه بالهوة التي تفصله عن الآخرين. إحساسه بالجدار الأصم بينه وبين الآخرين.

حين أحببت انهدم الجدار واختفت الهوة وانفتحت الذات على ذات أخرى. ولذا نجد المحبين يجدون راحة كبرى في الكلام والبوح بكل أسرارهما، يشعر كل منهما براحة كبرى وهو يحكي أدق تفاصيل حياته الماضية والحاضرة، لا خجل ولا حياء بين المحبين، يشعر الواحد منهما أنه يحادث نفسه.. فحبيبه هو نفسه.

♥♥♥

# الفصل الثامن

## اكتشاف إنسان آخر

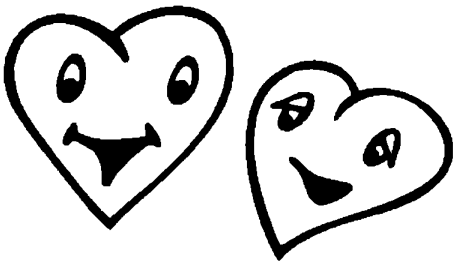

* * يقول الرجل للمرأة التي يحبها: أعبدك.

* * وتقول المرأة للرجل الذي تحبه: أعبدك.

* * أي أن كلاً منهما العابد والمعبود.

* * والعبادة إيمان وتسليم وخروج عن الذات والتخلي التام عن الأنانية. ولا تقوى على ذلك إلا النفس المحبة العاشقة وهي النفس الثرية الغنية الكريمة. وهذه هي الطبيعة المتسامية للحب. البخيل عاجز عن الحب.. والأناني أكثر عجزًا. وعند محراب الحب يخلع الإنسان المحب ما علق بنفسه من بخل وأنانية ونرجسية.

تنسيق: علامة تعجب
www.ibtesama.com

والإنسان حين يحب من جوهر وعيه فإن هذا الوعي يتخطى الذات ليدرك ويلتقي مع الذات الداخلية لإنسان آخر. والتعبد هو التعبير الدقيق عن هذا.. وهذه هي القدسية بعينها.

* * التعبد يقودنا إلى التقديس وهذا لا يتحقق إلا بالخروج من الذات والانفتاح على الذات الأخرى. إدراك هذه الذات كأعلى قيمة. كأثمن جوهرة. كمثل أعلى، حتى وإن لم يكن كذلك فالمحب يكون له من القدرة ما يتيح له أن يتبين الإمكانيات الهائلة التي يتمتع بها المحبوب، والتي تتيح له أن يعلو ويسمو ويحقق المثل الأعلى. وهذه هي الطبيعة الأصيلة للإنسان الحق وهي أن يخترق أسوار ذاته، وهذا يعني أنه في حاجة إلى أن يعطي وأن يصبح رقيقًا عطوفًا. ولذا فالحبيب يعطي بسخاء. ويكون في أكثر حالاته رقة وعطفًا وسماحة مع حبيبه.

إن هذا هو الفرق بين البحر الميت أو البحيرة المنغلقة على مائها وبين النهر المتدفق السخي لأن له منفذًا يستطيع من خلاله أن يعطي. إنه غني بذاته لأنه يستطيع أن يعطي من مياهه ما يجعل الأرض تفيض زهرًا وثمرًا. سخاء. وخصوبة. ولذا فالنهر عابد معبود تمامًا مثل الحب. أما البحر الميت فإنه يفزعنا.. يخيفنا.. لأنه تعود على أن يحتفظ بما لديه من مياه.

♥♥♥

* * إن التعبد هو منتهى التعبير عن اختراق الذات لأسوارها وعبورها من خلال جوهرك إلى جوهر آخر.

* * أن تقول لمحبوبك أنا أحبك أو أنا أبجلك أو أنا أعبدك

معناها أن تجد طريقك إلى محبوبك بدون التفكير في ذاتك، ولكنك على أي حال ستظل ذاتك لكي تستطيع أن تستمر في التدفق والسخاء والعطاء. فلكي تعطي ينبغي أن تكون حرًّا مستقلاً ثريًّا. وبإرادتك الواعية تسلم كل ما عندك لحبيبك.

* * إذن الحب هو حاجة ملحة للنفس البشرية. الحاجة للخروج من دائرة الذات المغلقة والاتجاه إلى ذات أخرى لكي نعطي. لكي نقدم له كل شيء. نحن لا نذهب إلى هذه الذات لكي نأخذ أو لكي نحقق منفعة، ولكن نحن نتجه للحبيب لذاته.. لكينونته، ولأنه هو الذي يعطي لنا الفرصة لكي نعطي. هو الذي يتيح للنهر المنفذ والمصب. وبدون المصب يتوقف النهر.. تتوقف الحركة.. يتوقف العطاء.. يصبح النهر ميتًا.

وهكذا حياة الإنسان تكون راكدة متوقفة إلى أن يحب. فإذا أحب دبت الحياة في روحه وجسده.. يتحرك.. ينشط.. يعلو.. يسمو.. يبدع. إذن الحب حركة.. فعل.. عمل.. حياة. ووراء كل ذلك رغبة حقيقية في العطاء.

♥♥♥

* * إذا أحب الإنسان نفسه فقط فإنه لا يستطيع أن يخرج من حدود ذاته ليحب الآخر. وإذا كان الإنسان أنانيًّا أي يكره العطاء فإنه ليس بمقدوره أن يحب آخر، لأن هذا الحب يفرض عليه طواعية واختيارًا أن يعطي وألا ينتظر مقابلاً.

* * بمجرد أن يحب الإنسان يشعر أنه قد تحول إلى كيان فوري يشع بكل ما هو جميل.. يضفي الجمال والخير والبركة. يستعذب

العطاء ليس لحبيبه فقط وإنما لكل الدنيا وبذلك ينجو بنفسه من عالمنا المادي الأناني.

إن الحب هو الطريق الوحيد الذي يأخذنا إلى جنة الأحلام بعيدًا عن نار الواقع. بماديته وأنانيته.

* * في جنة الحب تأتي «أنت» قبل «أنا».. في واقعنا حين يخلو من الحب تأتي «أنا» قبل «أنت».

وإذا سألنا أنفسنا كيف استطاع هذا الحب أن يخرج من حدود ذاته ويتجه إلى الطرف الآخر؟ ماذا وجد في هذا الآخر حتى يجازف ويخرج من حدود ذاته وينطلق بشوق وحماس واقتناع ويقين ناحية هذا الآخر؟ لماذا لم يتريث؟ لماذا لم يحسب ويقدر؟ ألا يخشى أن يندم؟

ألا يترك الباب مفتوحًا لكي يتراجع إذا أراد؟ والحقيقة أنه لا إجابة على كل هذه الأسئلة. إنه شيء كالحدس الداخلي أو كالإلهام.

لذلك فالحب ليس مجرد عاطفة أو رغبة. إنه تحرك كلي للنفس نحو الآخر. إنه إذابة لكل الحدود والفواصل. الإنسان يتحرك بكل ما لديه، وهل هناك أغلى وأثمن من ذاته ليعطيها بدون تحفظ لمحبوبه؟ وبدون معرفة سابقة وبنفس الحدس والإلهام يدرك ما لدى المحبوب من إمكانيات هائلة كإنسان غير عادي.

من اللحظة الأولى يدرك ماهيته. يدرك كم هو رائع وعظيم وجميل وأنه مؤهل للصعود إلى سماء الفضيلة والمثالية والكمال. ويشعر بأن القدر وضعه في طريقه وأن دوره أن يعينه على هذا الصعود. يعينه على أن يكون خالقه. وفي نفس الوقت يشعر هذا المحب بحاجته إلى

هذا المحبوب لكي يخلقه. لكي يعينه هو ذاته على الترقي والصعود إلى سماء الفضيلة والمثالية والكمال.. إنه النزوع المطلق القوي نحو المثل الأعلى.

* * تعال يا حبيبي لأخلقك.

* * تعال يا حبيبي لتخلقني.

* * وبذلك يصبح الإنسان في علاقة الحب هو الخالق والمخلوق.. وهو العابد والمعبود.. ولذلك نظرة المحب إلى محبوبه هي نظرة سامية.. فمعبوده لا مثيل له، وخالقه لا مثيل له. بدونه هو ناقص غير مكتمل. من غيره هو خائف قلق. من قبله هو حزين مهموم. بدونه هو أسير وحيد. ولذلك حين يلتقي به يطمئن قلبه ويسر خاطره ويشعر بالاكتمال.

هو الوحيد دون العالم كله الذي يمنحه الأحاسيس السارة المطمئنة. هو القوة وهو الحماية وهو السلام وهو الطمأنينة. هو الركن الهادئ وهو الصدر الحنون. يشعر بانجذاب شديد نحوه ولا مفر من الاندفاع إليه بإرادته وطوعًا وبرضى وسرور.. إنه شخص واحد فقط الذي يفعل بنا كل ذلك. لا أحد غيره. ولا يمكن استبداله. ولا يمكن مقارنته بأي إنسان آخر. إنه فوق الجميع. هو الوحيد الذي يمنحنا السعادة والطمأنينة. إنه الجنة الحقيقية على الأرض. وما الجنة إلا السرور والسلام.

♥♥♥

* * وهذا النفاذ إلى ذات أخرى يحقق لذة قصوى. إنها لذة معرفة إنسان إلى أقصى درجة. فأي إنسان يبدو أمامنا لغزًا. حتى أبونا

وأمنا.. حتى أبناؤنا وبناتنا.. حتى أصدقاؤنا. ولكن هناك شخص واحد نقترب منه اقترابًا شديدًا. ونظل نقترب ونقترب حتى نعرف دقائق نفسه. فتحدث ألفة شديدة بيننا وبين دقائق هذه النفس فنحبه حبًّا شديدًا.. وبذلك نفهمه من صوته.. من أبسط ملامح وجهه. وبذلك ينكشف حجاب الإنسانية أمامنا. ولأن هذا لا يتحقق إلا مع إنسان واحد فقط فإننا لا نستطيع أن نتخلى عنه أبدًا. لا نستطيع في يوم من الأيام أن نبتعد عنه نفسيًّا..

* * والغريب في الأمر أن هذا الفهم العميق وهذه المعرفة الأصيلة لهذا الشخص تتيح لنا أيضًا أن نقترب من عيوبه أكثر وأكثر.. ويا للعجب نجد أننا نحب هذه العيوب.. فهذه العيوب النفسية أو الشكلية هي جزء من هذا الكل الذي أحببناه. على المستوى الشكلي نجد شيئًا من هذا يحدث: فإذا كان حبيبنا أصلع أو معوج الأنف أو له أسنان بارزة أو قصير القامة أو لا يرى إلا بالكاد أو حتى لا يرى على الإطلاق، إذا بنا نحب حبًّا شديدًا هذه العيوب فهذا الشيء المعيب هو جزء من الكل. جزء من الإنسان الذي أحببناه.. ينتمي إليه.

* * وحتى العيوب النفسية أو الأخلاقية التي يفزع منها الناس لا تكون سببًا في ابتعادنا عن المحبوب ولا نأخذ منها موقفًا ناقدًا مثل بقية الناس.. فنحن الأقدر عن طريق الحب على رؤية الجانب الطيب الحقيقي في هذه الشخصية الإنسانية. فنحن في الحقيقة لا نحب إلا إنسانًا طيبًا.. لا نستطيع أن نحب إنسانًا شريرًا.. شريرًا بمعنى أنه لا عواطف ولا قلب له، أناني، بخيل، يسعد بإيذاء الآخرين، حاسد، حقود.

هذه صفات تبعدنا عن أي إنسان. ولكن قد يبدو إنسان بخيلاً أو حاقدًا أو عدوانيًا أو غير أمين. هذه هي الظواهر التي يراها كل الناس. ولكن يأتي الإنسان الذي أحبه والذي استطاع أن يخترق حواجز ذاته وأن ينفذ إلى جوهره وإلى أعمق أعماقه فيرى إنسانًا مختلفًا عن الذي يراه الناس. يرى الجانب الطيب الأصيل ويرى النفس الأصيلة.

أما العيوب التي يراها الناس فإنه وحده- أي المحب- هو الذي يستطيع أن يتتبع جذورها ويعرف أسبابها ومصادرها. يستطيع أن يراها كعوارض مؤقتة وأنه يستطيع أن يخلصه من هذه العيوب ليس فقط ليبدو جميلاً ومقبولاً أمام الناس ولكن ليخلصه من المعاناة ويخلصه من الأسباب التي أدت إليها ولكي تنسجم كل أجزاء النفس مع بعضها.

♥♥♥

* * هذه هي روعة الحب. روعة أن ننفذ إلى أعماق إنسان ونفهم أدق خبايا نفسه وخبايا روحه وأن ينفذ هو إلى أعماقنا. ولهذا فهي علاقة أبدية. علاقة فريدة. علاقة لا تتاح إلا مرة واحدة في حياة قلة من البشر. علاقة ندافع عنها حتى الموت. علاقة نؤمن بها. ونؤمن بالإنسان الذي أسهم معنا في خلق هذه العلاقة. أي نؤمن بالحب وبالمحبوب وبأنفسنا. نؤمن أن حبنا يستحق المخاطرة والقوة والشجاعة والتحدي حتى وإن اتحدت كل قوى العالم ضدنا، فالمحب كالفدائي الذي يؤمن بوطنه ويحبه ويخاطر بحياته من أجله.

* * قد لا يرى الناس وجهة نظرنا. قد يختلفون معنا. قد

يدينون بشدة ذلك الإنسان الذي أحببناه. قد يؤمنون بقيم مختلفة. ولكن يأتي المحب فيرى ما لا يراه الناس. ويرى أن محبوبه يستحق أن نضحي وأن نتألم وأن نناضل من أجله. إنه يستحق أن نهبه حياتنا طوعًا ورضى.

إن العاشق هو إنسان مؤمن شجاع مخاطر جريء مناضل يكره الضعف والاستسلام. لا يضحي بقلق الحب من أجل سلام زائف لا ينعم به غير المؤمن. قلق الحب أروع وأعذب من سلام الموتى. بل يتمسك بالصعاب التي تواجهه من أجل أن يتحداها وينتصر عليها ويظفر بحبيبه ويحافظ على حبه ويطير بعد ذلك إلى سماء السعادة الحقة.

يرتفع بحبه وبحبيبه إلى أعلى سماء حيث يكونان معًا.. وحدة قائمة بذاتها وبذلك يصبح لا شيء قابلاً للمقارنة أو الحساب. إن حبه مطلق وحبيبه مطلق.. وبذلك يعانق اللامحدود واللامتناهي والمطلق.

.. هذه هي قمة كسر حدود الذات والانطلاق إلى حيث جوهر المحبوب.. أرض جديدة.. سماء جديدة.. بل كون جديد.. كون المحبين.

♥♥♥

* * هذا الحب لا بداية له ولا نهاية. بدأ من قبل أن يلتقيا.. هي خُلقت له وهو جُعل لها. لم يكن من الممكن أن تحب شخصًا آخر غيره، وهو لم يكن من الممكن أن يحب إنسانة أخرى غيرها.. ولهذا فإننا لا نسمع من المحب عبارات مثل: أحبك لأنك طيب أو لأنك جميل أو لأنك ذكي.. لا علة.. لا سبب.. لا تاريخ.. لا ميقات محدد..

♥♥♥

# الفصل التاسع

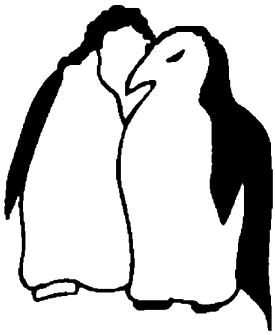

# العطـــــاء

* * * لا نغالي إذا قلنا إن الحب هو أقدس رابطة بين اثنين من البشر. ولا نغالي أيضًا إذا قلنا إنه المنبع الحق للخير في الحياة. ولا يمكن أن تنمو زهرة وأن تنضج ثمرة وأن يشب إنسان إلا إذا كان هناك حب يرعى هذا النمو والازدهار. لا تنمو الموجودات إلا بفعل الحب، لأن النمو يحتاج إلى رعاية، والرعاية الحقيقية التي تضمن النمو والاستمرار لا تأتي إلا من خلال حب.

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

*** * إن أحبك معناها أنني قررت أن أتولى مسئولية رعايتك. أن أكرس حياتي من أجلك. وأنك لو احتجت حياتي لأعطيتها لك عن طيب خاطر.**

*** * أن أحبك معناها أنني أهب كل وجودي لك. أن أهب نفسي.. روحي.. والهبة هنا معنوية وليست مادية. والرعاية لا تعني المسئولية المادية ولكن المسئولية النفسية. وذلك لأنك أهم إنسان في حياتي. إنك الأول. إنه لا يوجد من يحل محلك.. لا يمكن استبدالك.**

* * هذا هو المعيار الأساسي في الحب الحقيقي والذي يتلخص في الالتزام والإحساس بالواجب وفي تكريس نفسك لحبيبك.

* * وإن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يكرس حياته من أجل إنسان آخر. الحيوان لا يستطيع أن يفعل ذلك. إن العطاء المطلق هو فعل إنساني بحت. وهذا العطاء المطلق لا يمكن أن يكون إلا من خلال حب حقيقي. إنه عطاء المحب للمحبوب. ولابد أن تكون مقدرة العطاء موجودة أصلاً عند هذا الإنسان. وتلك أحد المؤهلات الأساسية التي تؤهل الإنسان لكي يكون قادرًا على الحب. أي أن تكون لديه القدرة على تكريس حياته من أجل إنسان آخر. أن تكون لديه القدرة على العطاء النفسي. أن يعطي جزءًا من وقته واهتمامه وإحساسه وتفكيره لإنسان آخر. أن يهتم بقضاياه. أن يعيش مشاكله. أن يدرك بإحساس صادق معاناته. أن يكون قادرًا عن طيب خاطر وبلا شروط وبلا مقابل أن يكون بجانب هذا الإنسان الآخر.

بهذا يكون ذلك الإنسان مؤهلاً لأن يعيش الحب الحقيقي. وهو حين يحب يدرك هذا تمامًا. يدرك أنه قد اختار بوعيه وإرادته أن يهب حياته لإنسان آخر. أنه قرر واختار أن يعطي بلا مقابل. أن يتفانى. أن يضحي. وتلك هي متعته الكبرى. تلك هي قمة سعادته. الإنسان في هذه الحالة يتمتع بمشاعره هو. تلك المشاعر الفياضة التي تهب وتمنح وتعطي وتسخو.

إن ما يهمه في هذه الحالة هي مشاعره وأحاسيسه. مشاعره التي تفتحت على الشخص الآخر. وأحاسيسه الصادقة بالرغبة في العطاء والتضحية والتفاني. إنه هنا لا يعنيه الطرف الآخر. أي لا يعنيه رد فعله. ولا ينتظر منه شيئًا مقابلاً. لا يسعده أن يقابله حبيبه بالعطاء المتبادل. إنه لا ينتظر هذا إطلاقًا. إنه لا يريد شيئًا لنفسه ولا يسعى لمقابل. إنه يسعد فقط بعطائه. تلك هي سعادته الحقة. وهو في هذه الحالة لا يحب من أجل أن يكون محبوبًا. ولكنه يحب من أجل ذات محبوبه. من أجل جوهر هذا المحبوب. وهذه سمة من سمات الملائكة. فالبشر القادرون على الحب هم أقرب إلى طباع الملائكة.

♥♥♥

* * إذن في الحب الحقيقي لا يوجد أي شروط مسبقة. أنا أحبك وأرعاك لأنني قد اخترت أن أحبك وأرعاك ولا أريد أي شيء في المقابل ولا أتوقع أي شيء. فقراري بتكريس نفسي من أجلك غير مُقيد، وإنني لا أفعل ذلك لتحقيق أهداف في المقابل. إنني أحب وأتفانى لأنني قررت أن أحب وأتفانى.

إن القرار بالتفاني هو تضحية بالنفس. والمتعة في الحب تتحقق

بأن نحب ونسعد بأحاسيسنا ومشاعرنا أكثر من سعادتنا بما تجلبه لنا هذه المشاعر في المقابل. وسأظل أعطي وأعطي بلا نهاية ولا حدود.

* * والمحبوب حين يفعل نفس الشيء.. أي يعطي كل ذاته وكل وجوده، يكتشف المحب أنه يأخذ كثيرًا بالرغم من أنه لا يريد ذلك.. لقد قرر أن يعطي كل شيء فإذا به يأخذ كل شيء. يعطي كل نفسه فإذا به يجد أن محبوبه يمنحه كل نفسه. يعطي كل وجوده فإذا به يجد محبوبه يتنازل عن كل وجوده من أجله.

والعطاء هنا هو عطاء الذات. عطاء النفس. عطاء الوجود وهو أثمن من أي عطاء مادي. وأي عطاء مادي مهما عظم لا يوازي ذرة من العطاء النفسي الذي يمنحه المحب لمحبوبه. ولهذا فالإنسان لا يستطيع بمال الدنيا كله أن يحصل على ذرة اهتمام من إنسان آخر.

إن الثراء النفسي هو ما يهم في علاقة الحب. المحب يدرك مدى الثراء النفسي الذي يتمتع به محبوبه، وأبدًا لا ينظر إلى ما يملكه من مال وأشياء. المال والأشياء لا تزيد مكانة المحب عند محبوبه.

♥♥♥

* * والعطاء هنا نابع من إرادة حرة. إنه تعبير عن الحرية. ولا يستطيع أن يعطي بسخاء وبتفان إلا الإنسان الحر. والحب هو التعبير الحقيقي عن قمة الحرية التي يتمتع بها الإنسان. ولهذا فالإنسان حين يحب وحين يعطي يشعر بحريته الحقيقية. يشعر بالأنا في أوج صدقها وقوتها وجمالها وإبداعها.

إذن في الحب تحقيق للذات وتأكيد لحريتها من خلال الرعاية والعطاء والتضحية والالتزام بالطرف الآخر. ولهذا فالعطاء يحقق

المتعة الحقيقية في الحب. العطاء أكثر إمتاعًا من الأخذ. وهو عطاء مبني على الإدراك الواعي للقيمة النفسية الحقيقية للطرف الآخر. قيمة عليا سامية متفردة جديرة بأن تكون مسئولاً عنها جديرة بالاحترام. الاحترام لكيانها المتفرد. لماهيتها. لحريتها.

♥♥♥

* * وهو لأنه سام ورفيع وحر فإنه اختارني بمحض إرادته.. اختارني لأنني «أنا.. أنا» كقيمة سامية رفيعة متفردة. اختارني بملء إرادته وكل حريته. واختار أن يعطي ذاته ووجوده. اختار أن يضحي من أجلي وأن يتفانى في سبيل سعادتي ووجودي.

إذن هي رعاية متبادلة. احترام متبادل. مسئولية متبادلة. ولا يقوى على ذلك إلا الأحرار. أثرياء النفس. الأخيار الملائكة. إنهم القلة النادرة من البشر.

* * ولذلك لا يحظى بالحب إلا من يستحق الحب ومن هو مؤهل للحب. إنها النفس الطيبة الخيرة الثرية المعطاءة الخالية من الكبرياء والغرور والأنانية والنرجسية.

وكل محب يستطيع بسهولة أن يتعرف على محبوبه. أن ينفذ إلى جوهره وأن يرى طاقات النور المبنعثة من صميمه. إنها القدرة على النفاذ التي يتمتع بها المحبون. القدرة على الاكتشاف. القدرة على المعرفة إنه الإلهام والحدس والمقدرة الخاصة. إنها الشفافية والبراءة والطهارة. إن هذا هو أنت وهذا هو أنا لذا التقينا وتحابينا منذ اللحظة الأولى بل من قبل ذلك وسيظل هذا طوال عمري وعمرك، وهذا هو أعظم دليل على مصداقية حبنا. إنه الوفاء.. أي «السنين».. أي

المستقبل.. أي العمر بأكمله.. ما هو آت..

♥♥♥

* * هذا التفاني نراه في الحنان والمودة والرحمة والكرم وتلك مفردات المشاعر التي يشعرها المحب نحو محبوبه. وتلك هي الاحتياجات النفسية التي يتوقعها المحبوب من حبيبه والتي تحقق له إشباعًا وإرضاء. وتلك هي الواحة الجميلة الوارفة التي يستظل بها المحبون.

تلك هي المشاعر الدقيقة التي لا ينعم بها إلا المحبون والمقصورة على علاقة الحب.

المحب يفيض حنانًا ورقة ورحمة ومودة وسخاء نحو محبوبه. من عينيه ومن لمساته ومن أنفاسه ومن ملامحه يشيع ذلك الحنان وتلك الرحمة وهذه المودة.. قمة الحنان والرحمة والمودة والكرم. قمم لا تعلوها قمم أخرى..

♥♥♥

* * ولأن هذه المشاعر متبادلة فإن ثمة وحدة تجمع بين المحب ومحبوبه. تشملهما معا. تمزجهما. وهذا أمر لا يدركه إلا المحبون. فهما في قمة ذوبان كل منهما في الآخر يشعران بتفردهما. بل إن كلاً منهما لا يشعر بأنه ذات متفردة أصيلة قوية متميزة إلا في إطار هذا الامتزاج والتمازج.

إنه الامتزاج الذي يعطي لكل طرف الإحساس الكامل باستقلاليته. وربما يرجع ذلك إلى أن الرجل لا يشعر برجولته الحقة إلا من خلال المرأة التي تحبه ويحبها، والمرأة لا تشعر بأنوثتها الحقة إلا

من خلال الرجل الذي أحبها وتحبه. إنه أحبها بكل رجولته ومن خلال رجولته. وهي أحبته بكل أنوثتها ومن خلال أنوثتها. أحبت رجولته وأحب أنوثتها. امتزجا كروحين مما أتاح لأنوثتها ولرجولته أن تظهرا بوضوح على خلفية هذا الامتزاج الروحي العميق..

هكذا يشعر كل منهما نحو نفسه. وهكذا يشعر كل منهما نحو الآخر. فهو يراها أبدع أنثى خلقها الله. وهي تراه أبدع رجل خلقه الله. هي أعظم نموذج للأنثى. وهو أعظم نموذج للرجل. وهي أقرب أنثى إلى قلبه وعقله وإحساسه وهو أقرب رجل إلى قلبها وعقلها وإحساسها، ولهذا يتحقق منهما أقصى درجة من الانجذاب بين الذكر والأنثى حتى يستحيلا كيانًا واحدًا يشعران فيه بقمة التمايز الأنثوي والذكري. ينشدان كل الوقت الالتصاق الكامل حتى الذوبان حتى وإن باعدت بينهما بلاد وبلاد ومسافات ومسافات. ولهذا فالحنين دائم والشوق مستمر. الحنين للاقتراب والشوق للذوبان. كل منهما يعيش أخيلة وأحلام الذوبان وتلك هي السعادة والنشوة.

* * ولذلك فالابتعاد يسبب ألمًا قاسيًا.. ولذا يموت الحبيب ولا يبتعد عن حبيبه أو هو لا يتخيل الحياة بعيدًا عنه. لا يتحمل أن يتوقف عن عطائه النفسي لحبيبه ولا يدري حينئذٍ ماذا يفعل بحنانه الذي يملأ قلبه ووجدانه.

* * وأكثر ما يخشاه هو الموت. فهو الوحيد القادر على أن يبعده إلى الأبد وبدون رجعة. فالمحب يتعلق بوجود محبوبه ولا يتصور أن تكون حياة من بعده. حياته معلقة بحياته. بل الكون كله معلق

بوجود المحبوب، إذ يصبح المحبوب هو مركز الكون. ولذا فهو يحبه بلا شروط وبلا مقابل. يكفي وجوده. مجرد وجوده. يحتاج وجوده.. يحتاجه لأنه يحبه وليس يحبه لأنه يحتاجه. هذا هو الحب غير المشروط وهو أقرب إلى حب الأم لطفلها.

* *وحين يدرك المحبوب تلك المشاعر العميقة السامية التي يكنها له حبيبه فإنه يشعر أنه على قمة العالم الأوحد. إذ ليس أروع من أن يشعر الإنسان أنه محبوب لذاته. محبوب لوجوده. محبوب لكونه هو وليس لما يتمتع به من مزايا. ليس لأنه ثري أو جميل. محبوب دون أن يبذل مجهودًا.. دون أن يسعى هو لذلك.. حبًا حقيقيًا وليس إعجابًا.

* * إذا شعرت أنك تحب إنسانًا لما يتمتع به من مزايا فأنت لا تحبه بل تحب مزاياه وتعجب به، فإذا زالت عنه هذه المزايا فإنك تفقد مشاعرك نحوه. أما في الحب الحقيقي فأنت ترى حبيبك كحقيقة كلية شاملة. هناك شمولية في الحب الحقيقي. من خلال هذه الحقيقة الكلية الشاملة ترى في حبيبك ما لا يراه كل الناس. تراه كمخلوق أصيل فريد لا مثيل له. لا يضاهيه أحد ولا يشبهه أحد.

♥♥♥

* * الحب الحقيقي معناه أن تكون لك هذه القدرة العجيبة على النفاذ إلى داخل هذا الإنسان لترى سحره وكماله وجماله ونقاءه وبراءته وطهارته، وأن تتعرف على إمكانياته الحقيقية التي سوف تتيح له من خلالك أن يسمو ويسمو ويصبح مثلاً أعلى. فأنت الوحيد الذي ترى أنه مؤهل لهذه المكانة العالية السامية الرفيعة. ولهذا فأنت تراه أعظم خلق الله. ولهذا لا يعجبك أحد غيره. لا يهز إنسان آخر

شعرة في جسدك ولا يحرك لك وجدانًا ولا يثير لك فكرًا.

يصبح كل الناس عديمي التأثير. هو وحده فقط الذي استثار لديك كل المشاعر وكل الأفكار وكل الأحاسيس وكل الحواس. وهو الوحيد الذي يحرك جسدك إذ يكتسب جلدك حصانة ضد أي لمس من إنسان آخر. ولا يتحرك أي نبض إلا من خلاله. تموت النبضات إذا حاول آخر أن يثيرها أو إذا حاول الشيطان أن يدفعك بعيدًا عنه في لحظة ضعف. سرعان ما تفيق وتفزع وتهرع وتبتعد وتكتئب وتعاقب نفسك حتى الموت.

♥♥♥

* * قد تتعرض سفينة الحب الحقيقي لموجات عاتية ورياح قاسية. صراعات وأعاصير وهزات. ولكنك أبدًا لا تقذف بنفسك بعيدًا لتنجو. لا تلجأ إلى سفينة أخرى. لا تبحث عن الشاطئ. إنك كالقبطان النبيل الشجاع الذي يهيم حبًا وعشقًا بسفينته حتى وإن ضعفت ووهنت أمام الضربات حتى وإن كانت على وشك الغرق. إنه يموت معها. يغرق معها. إنه حب حقيقي.

ولهذا لا توجد شكوك مع الحب الحقيقي. توجد الغيرة فقط. الشك معناه أنك لا تحب حبًا حقيقيًا. الشك والحب الحقيقي لا يجتمعان. فقط تغير إلى حد القلق الشديد. إنها الغيرة على الحب لأن الحب هو أثمن ما لديك في الوجود. وإذا أحاطت بك ظروف ضارية تدفعك دفعًا إلى الشك حتى الجنون فإنه يظل داخلك جزء يرفض.. مستحيل.. جزء يؤكد طهارة وبراءة من تحب. جزء من داخلك يدافع ويناضل حتى الموت.

وفي النهاية ينتصر هذا الجزء وتعلو راية النقاء فوق هامة الحب الحقيقي الذي يظلكما. ولهذا لا ينهزم الحب الحقيقي أبدًا أمام الشيطان وذلك لسبب بسيط جدًّا وهو أنك تعرف حبيبك جيدًا. أنت الوحيد الذي تعرف حقيقة أمره. أنت الوحيد الذي تعرف خبايا نفسه. أنت الوحيد الذي تعرف ما وراء سلوكه الظاهر. أنت العين التي استطاعت أن تصل إلى أعمق أعماقه، فأنت الوحيد القادر على معرفة درجة نقائه وطهارته.

ولهذا من المستحيل أن توجد خيانة مع الحب الحقيقي وإن أكدت كل الظواهر والشواهد على عكس ذلك.. ولهذا فهناك وفاء.. خلود.. لا نهائية.. استمرارية حتى الموت رغم التوتر والعذاب والقلق والحيرة.. رغم الغيرة. ولكن لحظة سعادة في ظل الالتصاق بروح الحبيب تعادل كل الشقاء. إنه الإشباع الروحي الذي لا يعادله إشباع ولا يستطيع أي شيء آخر أن يقدمه.

* * إن الحب الحقيقي يمثل قمة السعادة.. أقصى متعة روحية. وأيضًا تتحقق من خلاله أقصى متعة جنسية. إنه القمة. قمة القمم.

♥♥♥

## الفصل العاشر

# الحب اختيار

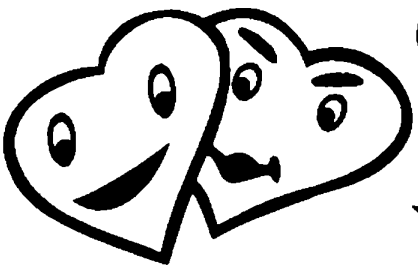

* * في العطاء تتجلى إحدى سمات الحب الحقيقي بل أهم سماته وهي التأكيد على حرية الإنسان واستقلالية الطرف الآخر. «أنا» و«أنت». في علاقة الحب الحقيقي ذاتان متفردتان مستقلتان حرتان. فأنا أعطي بمطلق حريتي.

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أعطي لأني حر، أعطي بإرادتي. أعطي لأنني اخترت أن أعطي. أعطي لشخص معين بالذات. شخص أنا اخترته من ضمن الملايين. وحين قررت أن أعطيه ولا أنتظر مقابلاً.. فهذا معناه اعترافي بكامل حريته. باستقلاليته. بإرادته. عدم انتظاري ردًّا لعطائي هو قمة اعترافي باستقلالية هذا الإنسان الذي أحببته.

إذن أنا أراه كذات مستقلة.. كوعي حر.. كإرادة مطلقة.، ككيان.. كوجود.. كقوة.. ولذلك فأنا لا أفكر في أن أمتلكه ولا أريد أن أستحوذ عليه أو أسيطر أو أهيمن على حياته.. بل يسعدني أن يكون هكذا حرًّا.. ولذا فأنا لا أستخدم قوتي ولا نفوذي أو ما لدي من قدرات للسيطرة.

هناك آخرون في حياتي أستطيع أن أسيطر عليهم أو ينبغي في بعض الأحيان أن أسيطر عليهم إلا هذا الإنسان الذي أحببته.. فلا سيطرة في الحب.. لا قهر ولا استغلال ولا استعباد.. بل حرية.. إرادة.. استقلال.. إيمان.

وجمال الآخر وكماله وتألقه لا يكون إلا وهو يتمتع بكامل حريته. ولهذا فإن هذا المحبوب حين يقبل نحوي.. حين يختارني.. حين يعشقني وهو في كامل حريته ووعيه وبكامل إرادته.. فهذا معناه أنني أنا الأوحد والأسمى والأعلى والأكمل وليس الأجمل. فهو لم يخترني لجمالي أو لقوتي. وهو حين اختارني لم يقارن بيني وبين غيري. لم يخترني لأنني الأفضل. لا مقارنة ولا نسبية ولا انتقاء. وإنما حقيقة كلية شاملة جامعة.

إن أعظم ما يحصل عليه المحبوب من محبة هو حريته. ولذلك

فهو ليس في حاجة إلى السيطرة عليه.. إن الرغبة في السيطرة هي خوف. ومعناها أنه لا يثق بحبه لمحبوبه. ولا يثق بحب محبوبه له..

السيطرة هي الخوف من أن يفلت حبيبه من بين يديه، وهذا اعتراف بعدم أهليته هو شخصيًّا للحب. في الحب الحقيقي لا يحتاج الإنسان لهذه السيطرة لأن الحبيب يقبل على حبيبه بمحض إرادته. يأتي له ويسلمه حريته. ويقول له أنا معك لأنني بك.. وحين أكون معك فأنا موجود. إن وجودي مرتبط بوجودك. وأنت لست في حاجة إلى السيطرة عليَّ لأني لا أستطيع أن أمضي بعيدًا عنك فأنا جئتك حين لم تأمرني، ولا أستطيع أن أمضي بعيدًا عنك.. ليس بفعل مجالك المغناطيسي ولكن بفعل قوة أخرى هي قوة الحرية.. إنني أستطيع أن أتحرك في مجالك بكامل حريتي. أستطيع أن أروح وأجيء وإذا بي أجد نفسي أجيء. أقترب وأقترب. لا تحملني قدماي ولكن تحملني روحي. تدفع بي ذاتي ينقلني وعيي إليك. وعيي الحر. وأنا مقيد بك أتمتع بكامل حريتي. أشعر أن حريتي هي التي تجرني وتشدني إليك.

ليس حبًّا أن أشعر أن لك مجالاً مغناطيسيًّا يشدني كقطعة حديد صماء مسلوبة الإرادة. إنني لأشعر أنه ليس لك نفوذ أو سيطرة أو مجال جذب ورغم ذلك أجدني مشدودًا مدفوعًا. أعظم شيء أن تكون قوة الجذب والدفع نابعة من داخلي.. صميم اختياري.. اختياري الحر المطلق.

♥♥♥

* * إذن لماذا الغيرة؟ ما الذي يخشاه الإنسان في علاقة الحب الحقيقية؟ ممَّ يخاف؟

* * إنه يخاف أن يفقد هذا الحب. أن يفقد هذه الروح التي أقبلت عليه بمحض إرادتها، وحريتها. في الحب أنت لا تشعر أنك امتلكت شخصًا أو كيانًا أو جسدًا وإنما تم اختيارك من قبل حرية. من قبل روح سامية.. وإن هذه الحرية وهذه الروح أعطتك أسمى ما في الوجود.. أعطتك نفسها. أي سلمت حريتها وذاتها.. إنها أحبتك.. أحبتك كحقيقة شاملة متكاملة سامية.. وإن ذلك جعلك تشعر بأن لوجودك في الحياة مبررًا.. ولهذا ففي فقدك لهذا الحب انتفاء لمعنى وجودك.. ضياع.. نهاية.. نهاية لكل معنى في الحياة.

♥♥♥

* * إذن كل طرف في علاقة الحب الحقيقي يتمتع بحريته وتفرده واستقلاليته وإرادته. ومن خلال ذلك يقتربان. وتتملكهما رغبة في الامتزاج والتوحد وليس رغبة في إذابة الطرف الآخر في داخله ليمحوه. إن الطرف الآخر إذا ذاب وانمحى لم يصبح له وجود. الحب يعتمد على الثنائية والتبادل وليس الاستحواذ والاستيعاب والإلغاء والذوبان. في قمة الالتصاق والتوحد والامتزاج يشعر كل منهما بقمة حريته وإرادته وتفرده واستقلاليته. إن كلاً منهما يرى الآخر رؤية واضحة ويدركه ككيان متكامل متماسك وبذلك يستطيع أن يحبه وأن يسبغ عليه وأن يعطيه ويحترق ويرعاه ويكون مسئولاً عنه.

* *ولذلك فالالتصاق تأكيد للحرية وتعميق للإرادة وتثبيت للاستقلالية وتوكيد للتفرد والتميز. إذن أنا أحب معناها أنا حر. وأنا حر معناها أنا قادر على الحب ومؤهل له.

* * ولذلك لا عنف ولا انتقام في الحب الحقيقي حتى وإن قسا أحد الطرفين أو ابتعد أو تسبب في ضرر غير مقصود. الحب الحقيقي لا يعرف إلا الرحمة والحنان. والمحب يفهم سلوك محبوبه ويقدر ظروفه ويرجع أي إساءة منه إلى دوافعها النفسية العميقة التي لا تنطوي أبدًا على سوء ظن أو قسوة حقيقية أو حقد أو شك في إخلاص. ولا يفهم المحبوب إلا حبيبه.. ولا يقدره إلا حبيبه.. ولا يرحمه إلا حبيبه.. ولذلك لا يوجد ما يسمى بالمغفرة في الحب.. فالمغفرة لا تكون إلا لمن أساء إساءة حقيقية. ولا إساءة حقيقية في الحب الحقيقي.

* * المحب يفهم محبوبه مثلما يفهم نفسه. ولأنه يدرك بوضوح دوافع الخير في نفسه، فإنه يدرك وبنفس الوضوح دوافع الخير في نفس محبوبه.. الأخيار يختارون الأخيار وليس الأشرار. إنها النفوس الطيبة القادرة على الحب. النفس الطيبة تختار نفسًا طيبة مثلها. ولهذا لا شك ولا سوء نية ولا سوء قصد ولا سلوك متعمد.. وإنما تلقائية وبراءة. ولهذا فهناك فهم وتقدير واحترام وحنان ومن ثم مودة ورحمة.

* * ولذلك فبالرغم من أن المحب يشعر أن محبوبه مختلف عنه فإنه يشعر أنه يشبهه. أو أنه يمثل جوانب في نفسه حبيسة. أو أنه يجسد معاني يحبها في الإنسان والإنسانية. فالإنسان بفطرته يفزع من الشر ويكرهه. يفزع من الخيانة والنصب والاحتيال والكذب والنفاق والرياء والبغضاء والكراهية والحسد والحقد والغرور والأنانية والنرجسية.

إن الإنسان أيضًا بفطرته السمحة يحب الطيبة والتواضع والاحترام والالتزام والكرم والمودة والتسامح والرقة والعذوبة والشاعرية والرومانسية. يحب الجدية والإخلاص وقوة الإيمان والشجاعة والشرف. ولهذا يلتقي المحبوب حول هذه السمات. ويلتقي المبغضون على الصفات المغايرة. فالأخيار يلتقون مع الأخيار ويحبون حبًا حقيقيًا. أما الأشرار فيلتقون مع الأشرار ويحبون حبًا زائفًا قائمًا على التملك والشهوة والشك والسيطرة والعنف والانتقام إذا اقتضى الأمر.

♥♥♥

* * ونحن حين نقول إن الإنسان يحب إنسانًا مختلفًا عنه مغايرًا له فإن الاختلاف والتغير يعنيان تفرد الشخص، تفرده بذكائه وطموحه واهتماماته وفلسفته في الحياة وأسلوبه.. ولكن يبقى أن الصفات الأساسية للإنسان ثابتة.. القيم الإنسانية العليا السامية.

هذه القيم غير قابلة للتغيير. ولا يمكن أن يلتقي اثنان في علاقة حب حقيقي وبينهما اختلاف وتغاير حول هذه القيم الإنسانية السامية الثابتة. الاختلاف بمعنى أن لكل منهما شخصية متميزة. شخصية ديناميكية تسعى وتتحرك بحرية وإرادة ووعي في الحياة وتسعى لتطوير نفسها والتأثر على عالمها والتأثير به. شخصية ناضجة متفتحة خيرة سامية وبذلك تكون مؤهلة للحب. الحب هبة إلهية. سر قدسي. نور إلهي.

* * وإذا كان هناك تطابق في الشخصية فإن الحب يصبح صعبًا. لأن الحب حركة ونمو وتطور وإبداع.

ولهذا فلا بد أن يكون لكل منهما شخصيته المختلفة المتميزة. ولهذا فالتقاء المتغايرين يحدث التفاعل الحي. التفاعل المبدع الذي يضيف للحياة لونًا وطعمًا وبهجة وثراء.

الحب الحقيقي ليس سكونًا وليس انغلاقًا. الحب الحقيقي كالنهر الحي المتدفق الثري. أو كالبحر العميق الثري بالحياة وباللآلئ.. بداخله حياة وكنوز وأسرار.

* * الحب الحقيقي ينطوي بداخله على قدس الأقداس وسر الأسرار وكنز الكنوز ويفيض خارجه بالحياة والنماء.

* * إذن التماثل بين الحبيبين ليس في الشخصية وإنما فيما تنطوي عليه نفس كل منهما من حب للخير والتمسك بالقيم الإنسانية السامية. والتغاير بين الحبيبين إنما هو في الشخصية. أي التنوع البشري الذي يتيح التفاعل الحر التلقائي السخي. ولذلك فالحب هو أهم حدث في حياة الإنسان، ولا نتجاوز في القول إذا قلنا: إن أهم ثلاثة أحداث أو تواريخ في حياة الإنسان هي يوم مولده ويوم موته واليوم الذي يلتقي فيه بنصفه الآخر.. بحبيبه.. يوم أن تكتب له شهادة ميلاده المعنوي. يوم أن يجد مبررًا لوجوده. يوم أن يجد معنى لهذه الحياة التي نحياها.

قبل أن يحب كانت الحياة فاترة مائعة باهتة، وبعد أن أحب أصبحت تفيض سحرًا يخلب العقل. أصبحت باعثة على النشوة. أصبحت تهز الوجدان. أصبحت الحياة حياة.

♥♥♥

* * إذن الوعيان في الحب مستقلان. إنهما ليسا- بأي حال-

واحدًا، ولا يعتبر أي واحد منهما استمرارية للآخر. إن الطرف الآخر سيصبح دومًا شخصًا مستقلاً وليس امتدادًا لك. وهو أيضًا مختلف عنك، ووجوده يؤكد نفسه ككائن مختلف عنك تمامًا.

إن الإنسان الناضج الذي يتمتع بالصدق مع الذات يتعايش ويرحب باستقلالية الوعي الآخر. يستطيع أن يتقبل هذا. بل أكثر من ذلك أن استقلالية الطرف الآخر تعطيه قوة.

* * إن الشخص الضعيف الذي لا يتمتع بنضج كافٍ هو ذلك الشخص غير المستحب للحب لأنه سينهار تحت ضغط استقلالية الطرف الآخر.

* * إنك تستمد وجودك من استقلالية الوعي الآخر، لأن هذا الوعي انعكاس لجوهر ذاتك. ولذلك فأنت حقيقة قائمة منعكسة على وعي آخر حقيقي ومستقل. ولذلك فأنت لا تشعر بالوحدة. إنها عملية خلق متبادل. ولا يقوى على الخلق إلا الناضج المستقل الحر. الحب الحقيقي هو خلق لذاتك ولذات الآخر.

♥♥♥

* * ولذلك يقول المحب لمحبوبه: أنا لا أتواجد بدونك وأنت لا تتواجد بدوني.

♥♥♥

# الفصل الحادي عشر

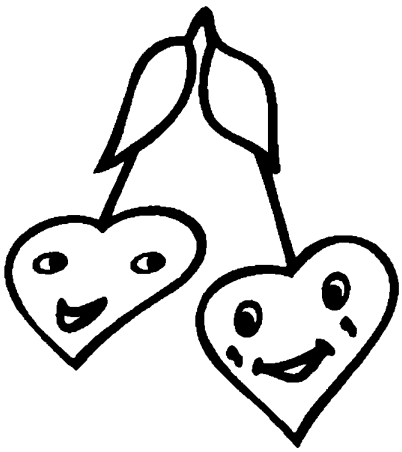

## الغـــــزو والخضـــوع

* * مـــن أبـــرز سمـــات الحـــب الحقيقـي الصـدق. إنهـا أصـدق علاقـة. وطرفاها الرجل والمرأة. يصدق الإنسان مـع نفسـه ويصـدق مـع حبيبـه. في هـذه العلاقة السامية يكون الإنسان نفسه.. ذاتـه.. يكـون هـو.. علـى حقيقتـه.. بـلا قناع.

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

*** * وهو يشعر أنه محبوب لما هو عليه. بدون «رتوش» بدون «مكياج» هو وحده يكفي، فهو الجمال الحقيقي وهو القمة. وذلك أحد جوانب السعادة الحقيقية في الحب. ولهذا فالإنسان يسلم نفسه. يسلم حريته. يخضع بإرادته بلا تحفظ. يعطي نفسه بالكامل. يخضع بلا شعور بالهزيمة. بلا إجبار. وتلك هي الحرية الحقيقية في أعظم صورها. وهي أن يخضع الإنسان بإرادته تطوعًا.**

ليس خضوع المهزوم. ولكنه خضوع القوي الشجاع المؤمن بالحب. المؤمن بنفسه. المؤمن بالطرف الآخر. وما دام هناك طرف يخضع، فمعنى هذا أن الطرف الآخر يتم الخضوع له. أي يكون الطرف الغازي. طرف يغزو وطرف يخضع. طرف يسلم حريته وطرف يحتوي هذه الحرية ويكون مسئولاً عنها.

إنها مسئولية ضخمة. مسئولية رهيبة. مسئولية تحتاج إلى نضج وتوازن نفسي وقوة وإيمان وشجاعة. فهذا هو إنسان قد جاءه تطوعًا وخضع له وسلم له حريته. فأصبح هو حينئذٍ مسئولاً عن هذه الحرية. مسئولاً عن تسليم إنسان له.

احتواء هذه الحرية يحتاج إلى شجاعة واقتدار. فهو ليس غازيًا منتصرًا والآخر خاضعًا مهزومًا. بل الآخر الخاضع شجاع وقوي ومؤمن لأنه محب وعاشق. وأن الأمر يتطلب من الطرف الغازي أن يكون أكثر قوة وأكثر شجاعة وأعمق إيمانًا حتى لا يرى الأمر من منظور الانتصار والهزيمة. فالطرف الآخر لم يخضع له بسبب قدرته الغازية أو بسبب ميزته الشخصية. إنه قد خضع له واستسلم له وأعطى له كل شيء لأنه أحبه. أحبه كله. أحبه كما هو. أحبه بعيوبه

ونقائصه ونقاط ضعفه. ولكنه رأى نوره الداخلي. رأى تساميه وشجاعته وقوة إيمانه. أدرك مثاليته الكامنة في أعماق نفسه والمتاحة في الزمان المستقبل. أحبه رغم اختلاف الناس عليه.

إنه حين أحبه سلم له حريته لأنه وثق به. ولا يمكن أن يثق به إلا إذا أحس أنه إنسان صادق. إنها لحظة حاسمة أو منعطف مهم في بداية علاقة الحب. لحظة الصدق أو منعطف الصدق. أحبك فأثق بك لأنك لو لم تكن صادقًا لما أحببتك. ولأنني أحببتك فأنت صادق ولهذا أثق بك. ولذا فأنت أهل لأن أخضع لك ولأن أسلم لك حريتي لتكون مسئولاً.

♥♥♥

* * وهي متعة كبرى. متعة التسليم. إنها من أروع أحاسيس الحب. إنه الإخلاص كله والانتماء كله.

ذلك هو جوهر الإخلاص أو ذلك هو فعل الإخلاص. ذلك الفعل غير المتعمد. ولا يمكن أن يكون هناك غير الإخلاص. وكيف لا يخلص الإنسان وقد اختار تطوعًا وبإرادته أن يسلم حريته لإنسان آخر وأن يخضع له.

إنه هو وحده الذي يستحق. ليس من قبله وليس من بعده. ولا شبيه له ولا مثيل له.

إنه هو الأعلى والأسمى والأكمل والأصدق والأجمل. إنه الوحيد الذي أثق به في هذا العالم كله الصدق ذاته. وجوهر علاقتنا الصدق. ولذا فأنا بدون تحفظ أستسلم له، وأخضع له. وهو قادر على احتواء هذا الخضوع الكامل وهذه هي روعته. روعته في أنه استطاع

أن يحتوي حريتي وأن يشعرني في الوقت ذاته بقمة استقلاليتي.. بقمة حريتي. بقمة شعوري بذاتي ووجودي. بحيث أستطيع أن أقول إن خضوعي له جعلني أتيقن من حريتي الكاملة ومن إرادتي التامة.. أتيقن من أن وجودي له معنى ومبرر. وأن لي ذاتًا حقيقية. أي أنني إنسان حقيقي وهذا ميلاد جديد لي وبداية حقيقية لعمري.

♥♥♥

* * والغزو والخضوع لا يمكن أن يحدثا على أي مستوى آخر من العلاقة الإنسانية. يحدث هذا فقط في الحب الحقيقي. أي لابد أن يكون حقيقيًا لأنه في الحب الزائف يسعى الإنسان للامتلاك والسيطرة والقهر. في الحب الزائف هناك صراع وأنانية.

أما الحب الحقيقي فهو تسليم وأمان وسلام وثقة لأن هناك صدقًا.

* * وظاهرة الغزو والخضوع قد تبدو غير ديمقراطية ولا يمكن أن تحقق معاني الاستقلالية والتفرد والتميز والوعي الكامل والإرادة المطلقة. كيف يكون الإنسان حرًا وفي نفس الوقت خاضعًا؟ ذلك هو الأمر الغريب المحير في الحب. ذلك هو سر الحب. وتلك هي القدسية.

وهذا هو مصدر السعادة القصوى والمتعة الروحية التي هي بلا حدود. وإنه الشعور بالأمان والطمأنينة. فالإنسان لا يسلم نفسه إلا لمن يثق به. ولا يثق إلا بمن يكون صادقًا. وهو حين يسلم نفسه يعلم تمامًا أنه يقدم نفسه هدية لمن يستحق. وهي هدية غالية جدًا. وهو يعلم أنه حين يقدم هذه الهدية فإن الطرف الآخر سوف يقدرها حق

قدرها. بل سوف يفصح أنه لا يستحق هذه الهدية العظيمة، وأنه ليس أهلاً لها.

هنا فقط يشعر من قدم الهدية أنه قدمها فعلاً لمن يستحق. هذا الذي يستحقها سوف يشعر بالوجل والخوف من تلك المسئولية العظيمة. ولكن لأنه هو الآخر عاشق ومحب فإنه سوف يتقدم بشجاعة. سوف يحمل هذه الشمس العظيمة في يمينه. سيعلن أنه سيكون مسئولاً. سيقول لمن خضع له: أنك ما دمت قد سلمت لي نفسك وحريتك فسوف أكون مسئولاً عنك. وسوف أرعاك وأحميك. إنني أحترمك وأؤمن بك. سوف أعطيك أنا الآخر ذاتي وكل حياتي. سوف أهبك نفسي. فإذا الذي يعطي سيأخذ أكثر مما أعطى. وإذا الذي يسلم يمتلك. وإذا الذي خضع يشعر أنه عظيم في خضوعه رفيع في استسلامه.

كيف إذن يرتفع من يخضع؟ كيف إذن يمتلك من يستسلم؟ كيف إذن يتحرر من يهب حريته؟ كيف إذن يتفرد ويستقل من يحاول جهده أن يذوب وأن يتوحد؟ هذا هو الحب.. هذا هو سر الأسرار. هذا هو المعنى العميق الغريب. هذا هو التسامي والقدسية.

♥♥♥

ومن الذي يخضع ومن الذي يغزو؟ المرأة أم الرجل؟ وهذا أيضًا من أسرار الحب. أنت قد لا تعرف من الذي يخضع ومن الذي يغزو. وبهذه الصورة العجيبة يكون الإنسان غازيًا وخاضعًا في نفس الوقت. لا فرق هنا بين الرجل والمرأة. ليس هناك إلزام أن يلعب الرجل دور الغازي وأن تلعب المرأة دور الخاضعة. لو أننا فهمنا

معنى الخضوع في الحب لعرفنا أن هذه ليست أدوارًا مرتبطة بنوعية الجنس. إنها أدوار تلقائية مرتبطة بانطلاق الشرارة الأولى ومرتبطة ببعض خصائص الشخصية. إلا أن المرأة مع بداية العلاقة تأخذ دورًا معينًا يمكن أن نطلق عليه دور الأنثى أو سلوك الأنثى وهو نابع من تكوينها وصياغتها كأنثى. أي هكذا تكون الأنثى. أو هذا هو دورها في عملية الحب. وبالتالي يكون هناك دور للرجل.

ولا يوجد هناك تحديد قاطع وحاسم يفصل بين دور الرجل ودور المرأة، ولكن هكذا يكون المسار الطبيعي والتقليدي لكل منهما والذي ينسجم مع التكوين الداخلي لكل منهما، وهنا يلعب الخيال دوره. الخيال مع الواقع في امتزاج جميل لا يحدث إلا في الحب. ولابد من قدر من الخيال في الحب.

إنها علاقة رومانسية تعتمد في جزء منها على الوهم الجميل.. على الحلم.. الحلم الذي يريد الإنسان أن يحققه على أرض الواقع الصلبة.

* * وليس مستغربًا أن تكون المرأة في البداية هي الغازية والرجل هو الخاضع. مثلما نجد في أحوال أخرى أن يكون الرجل هو الغازي والمرأة هي الخاضعة. إذن ليس هناك حتمية لدور معين يختص به الرجل أو المرأة.

الأمر ليس بسيطًا كما يبدو وخاصة إذا عرفنا أنه في عملية الحب الحقيقي لا يوجد إغراء أو محاولات اجتهادية من طرف لشد انتباه الطرف الآخر. كما أن الانجذاب لا يحدث لوجود مزايا ولكنه شعور داهم شامل يحرك الإنسان ويدفعه دفعا نحو الإنسان الآخر وكأنه

ظل يبحث عنه سنوات عمره الذي مضى حتى وجده فجأة أمامه.

إنه النور المباغت في وسط ظلمة حالكة يبعث على الدهشة ويذهب بالعقل في لحظات أشبه بالذهول. إذن لا تعمد.. لا خطط.. لا محاولات إغراء. لا اجتهاد في إظهار مزايا وإخفاء عيوب. إنه شعور يقيني صادق بأن هذا الإنسان خلق لي وأنا خلقت له. ولهذا يتحرك أحدهما نحو الآخر أو يتحرك كلاهما معًا كل منهما نحو الآخر.

وكما قلنا فإن ما يحدد الدور الغازي هو من اندلعت لديه الشرارة الأولى والتي قد تسبق الشرارة التي اندلعت لدى الطرف الآخر بجزء من الثانية. والأمر أيضًا يعتمد على خصائص شخصية كل منهما.

ولكن مما لا شك فيه أن مسار العلاقة بعد ذلك يحتاج إلى دور أنثوي ودور ذكري. إنه التكوين الطبيعي الرباني. إنه ناموس الحياة وقانونها الثابت والذي يخضع له كل الكائنات.

♥♥♥

* * المرأة عمومًا تريد أن تسلم نفسها طواعية وكلية للرجل الذي تحبه. الرجل الذي حين رأته اندلعت في كل كيانها شرارة الإحساس الأولى. تيقنت أنه رجل الرجال. الرجل الأوحد. الرجل المكمل لها. ليس من قبله ولا من بعده. الصادق الذي أثق به فأخضع له وأسلمه حريتي. أهبه نفسي. أهبه حياتي. وما أعظمها من هدية، وما أثمنها من هدية.

* * كيف يحصل رجل على هذه الهدية العظيمة؟ كيف يحصل

رجل على حب امرأة؟ ماذا يفعل؟ ماذا يقدم؟ ماذا يمتلك من مواهب وإمكانيات؟ أي جهد يبذل؟ أي خطة يرصدها؟ لا شيء.. لا شيء على الإطلاق.. بل إنه لو أنفق كل مال الأرض لما استطاع أن يحصل على حب امرأة فقيرة بسيطة ترعى الأغنام.. إن حب المرأة شيء غالٍ وثمين.. شيء لا يقدر بمال الأرض جميعه.. شيء لا تستطيع أن تحصل عليه حتى ولو كنت تملك كل مزايا الرجال مجتمعة.

* * المرأة تعطي بإرادتها.. بحريتها.. باختيارها المحض. يستطيع الرجل أن يغتصب امرأة.. ولكنه لن يحصل على روحها.. قلبها.. عواطفها.. وجدانها.. مشاعرها.. عقلها.. كلها.. في الاغتصاب يحصل الرجل على جسد ميت.

* * إن أي رجل ذكي كفء يستطيع أن يكون ثريًا مشهورًا عظيمًا ناجحًا في مجالات متعددة ولكنه لا يستطيع أن يحصل على روح امرأة بإرادته وحدها. إن روح المرأة هي الهدية التي لا يستطيع منحها إلا المرأة ذاتها.

* * والمرأة لا تعطي هديتها الغالية أي نفسها إلا لمن يستحقها عن جدارة. وهي لا تبغي شيئًا مقابل هديتها. إنها تعطي نفسها بسخاء وكرم وطيب خاطر. إنها تغزوه بهديتها. تغزوه من أجل أن تخضع له.. تقتحمه لتستسلم. إنه فعل فريد. تجربة فريدة غير قابلة للوصف، إنها بهذه الهدية تبعث نبض الحياة في الرجل.

إن الجثمان الميت تبعث فيه الحياة بفعل هذا الحب الذي تمنحه امرأة. وهي منحة ذات قيمة لا نهائية. وما أغلى الذات الإنسانية. ما أغلى من الوعي الداخلي لإنسان. ما أغلى من جوهر الإنسان.

إن مركز الوعي يجعل من نفسه هدية للطرف الآخر. إنه يقوم بمنتهى التضحية وذلك لأنه يعطي الشيء الأكثر قيمة في الكون. وهو تصرف نابع من الحرية الخالصة. لا يوجد أي سبب أو احتياج يجعل المرأة تمنح هذه الهدية إلا أنها أحبت. والمرأة تفعل ذلك بإصرار داخلي. وهي لا تتوقع الطرف الآخر: أنا لا أريد منك شيئًا، وليس عندي شروط، فقط أنا أحبك.. فقط أنا أمنحك ذاتي.. فلتتقبل هديتي ولا تفعل شيئًا.. لا تتحرك.. لا تنشغل بشيء.. لكن كن كما أنت.. كن في موقعك.. وسأنتظر عشرين سنة حتى تقول لي أحبك.. قد يكون هذا هو منتهى أملي، يكفي أنك موجود.. يكفي أنني أستطيع أن أراك.. فقط كل ما أتمناه أن تتقبل هديتي.. أن تقبل ذاتي.. أن تمسك بيدك حريتي.. تصرَّف بتلقائية خالصة. أنت بهذا يا حبيبي تخلق شيئًا من لا شيء.. تخلق حبًّا. إننا الآن اثنان بدلاً من واحد.

♥♥♥

* * يشعر الرجل بالخوف.. بالقلق.. بالرهبة.. إن المسئولية كبيرة. إن المرأة الغازية الخاضعة تحمله فوق طاقته. ترى فيه ما لا يراه هو في نفسه. تراه كاملاً ويرى نفسه ناقصًا. تراه جميلاً وهو لا يرى نفسه كذلك. تراه عظيمًا ويرى نفسه عاديًّا. تحمله مسئولية حرية إنسان وهو غير قادر على تحمل هذه المسئولية.

* * ولكنها حين تمنحه نفسها فإنها تمنحه وعيها الداخلي فإذا به يرى نفسه بوضوح على مرآة هذه الذات العاشقة. يرى نفسه لأول مرة. فإذا كل ما حققه في الحياة يتضاءل أمام هذا الإنجاز العظيم، وهو أنه حظى بحب امرأة. إنجاز لم يبذل جهدًا من أجل الوصول

إليه. حظى بتسليمها وخضوعها وامتلاكه لإرادتها وحريتها. يشعر بأنه يعاد خلقه من جديد كمخلوق متكامل. يشعر أنه أمام تجربة عظيمة.. ميلاد جديد.. حياة جديدة.. معانٍ جديدة.. أول تجربة للتلاحم الإنساني.. الاكتمال.

* * المرأة هنا اختارت أن تعطي والرجل تلقى الهدية. هنا تكمن أسباب وفاعلية وأهمية الغزو والتسليم. الغزو يعني أن الواحد أصبح اثنين دون أن يفقد الفرد فرديته. وبالمثل فإن التسليم يعني أن الواحد قد أصبح اثنين دون التلاشي.

إن المرأة لا تتلاشى أو تتبخر أو تنصهر حين تسلم بل على العكس فهي تحتفظ بالتكامل. والرجل لا يحطم المرأة حين يغزوها وحين يتقبل حريتها. بل هو يراها كذات فريدة متميزة متكاملة غاية في الروعة رائعة الحسن مثيرة لكل خيال وجمال جديرة بالاحترام والتقدير. إنها تعيد خلقه وهو يعيد خلقها. إن إمكانية الانصهار في عناق شديد مع الإبقاء على الفردية في نفس الوقت هو جوهر الوجود كله.

* * تقول المرأة للرجل وهي تقدم هديتها:

لقد استطعت الوصول إلى أعمق أعماق ذاتي دون أن تبذل مجهودًا. استطعت أن تلمس جوهر وعيي. إنني أشعر أنني تحت سيطرتك تمامًا.

* * هنا يشعر الرجل بأنه أمام حدث مهم في حياته. حدث يهزه هزًا. ضوء ساطع كاشف يتسلط على داخله فيضيئه ويبهره. إنه يرى

ذاته من خلال هذه المرأة العاشقة. لقد كان هو مرآتها وهي الآن مرآته.

* * يشعر الرجل بسعادة فائقة. ليس زهوًا وليس غرورًا. وليس سعادة الإنسان السادي حين يخضع له إنسان آخر. فهذا ليس خضوع الذل والانكسار أمام قوة غاشمة. إنه خضوع إرادي لا يقدِّره إلا الإنسان الناضج المتكامل السوي نفسيًّا. حين يشعر الرجل بهذه السعادة الطاغية وحين يرى ذاته على مرآة وعي هذه المرأة فإنه يكون قد وقع في حبها.. فيقترب ويدنو. يهب ويمنح. يعطي ويسخو. يقدم ذاته. أي يغزو. يغزو دون أن يطلب خضوعًا. فتخضع المرأة.. تستسلم.. تستسلم دون طلب.

♥♥♥

* * وإذا أمعنا النظر واقتربنا أكثر وأكثر وأرهفنا السمع إلى خلجات نفس المرأة لاكتشفنا أن التسليم هو أكثر التعبيرات رقة في وصف الأنوثة. التسليم يتيح للمرأة أن تشعر بأنوثتها ويتيح للرجل أن يشعر برجولته. بهذا يحدث الاتحاد بين الذكر والأنثى. سر الوجود. سر الخلق. سر الإبداع. فالأنوثة لا تتحقق إلا من خلال رجل، أو بالأحرى من خلال حب رجل.

هنا فقط تتحقق المرأة من أنوثتها ولهذا فإنها باندفاع واع ولهفة مطمئنة وتَسرُّع واثق تضع نفسها تحت إمرة هذا الرجل وتهبه كل شيء بدون تحفظ، وتدافع عن علاقتها به حتى الموت.. تتحدى.. تناضل.. تتنازل عن أي شيء.. المهم ألا يضيع منها.

* * هذا الرجل الذي أحبته ووثقت به وتوسمت فيه الصدق،

وحقق لها إحساسها المتكامل المتعاظم بأنوثتها، وتكون في قمة سعادتها بل في أعلى قمة في الوجود حين يحبها هذا الرجل الذي أحبته.. هي اختارته.. هي أقبلت عليه.. هي غزته.. هو استسلم لها. هو أحبها.. هي خضعت له.. هي على استعداد أن تعطيه كل شيء.. هي أسعد امرأة في العالم لأن الرجل الذي أحبته أحبها.. تشعر بالاكتمال والامتلاء والإشباع.. هي الآن أمسكت نجوم السماء بأيديها. ولا يهمها أحد إلا هو. هو كل الناس مجتمعين.. هو فوق الجميع وقبل الجميع.. هو فقط الذي تتزين من أجله.. لا تقلق بشأن شكلها ومظهرها.. إلا حين تكون معه.. لا تشتاق لأحد إلا له.

إن كل شيء يكتسب معنى به ومن خلاله ومن أجله.. ماضيها كان استعدادًا للقائه.. وحاضرها مسخر له.. ومستقبلها مدخر له.. إنها امرأة به وأنثى من خلاله. ويتملكها شعور يقيني أنه لا يستطيع أن يعيش بدونها.. أنها أصبحت كل شيء بالنسبة له.. أنها تسرى في دمائه.. ولهذا تتفانى في إرضائه في خدمته.. في الاستجابة لكل طلباته.. ويسعدها ويلذ لها أن تدعم عنده دور الغازي.. وأن تؤدي هي دور الخاضعة المستجيبة لكل طلباته السعيدة بتعبها وتضحياتها وكدها من أجله.

* * إن الحب هو كل حياة المرأة، ولهذا فإن أي شيء تقدمه لا يعتبر شيئًا في نظره في سبيل أن تنعم بلحظة وصال مع حبيبها.. إنها على استعداد أن تفعل أي شيء وأن تبذل أي شيء.. إنها تسعد بحبها هي له.. سعادتها في حبها.. أما الرجل فيسعد بحب المرأة له.. وهي تريده لذاته.. ليكون موجودًا.. وأن تبذل له أي شيء.

هذا هو الفرق بين المرأة والرجل، ولذا فهي الغازية الخاضعة منذ البداية. ثم تستمر خاضعة لتتيح للرجل أن ينعم بحبها وخضوعها واستسلامها وتنشط هذا الجزء الذكري الغازي فيه. ثم تتيح له بعد ذلك نعيم أن يخضع ويسلم حين يهيم بها حبًّا وشغفًا فتنعم هي بحبه.

* * ولذلك وبشكل عام فإن الرجل في مسار العلاقة يؤدي معظم الوقت دور الغازي، والمرأة تؤدي معظم الوقت دور الخاضع المستسلم حتى كادت تصبح هذه هي السمة العامة لدور الذكر ولدور الأنثى.

* * ولا شيء يحقق رجولة الرجل إلا امرأ، حتى أشهر القواد العسكريين الغازين في التاريخ وأكثرهم نجاحًا وانتصارًا وقوة حين يخلو الواحد منهم إلى نفسه لا يجد إلا المرأة التي يحبها وتحبه لتؤكد له قدراته الحقيقية.. قدراته الإنسانية.. قدراته كقوة روحية قادرة على بعث الثقة والطمأنينة في نفس امرأة عن طريق صدقه.. هذه هي القوة الحقيقية.. هذه هي الشجاعة الحقة.. هذا هو الإيمان العميق.. هذه هي الرجولة.

♥♥♥

# الفصل الثاني عشر

## قلق الحب

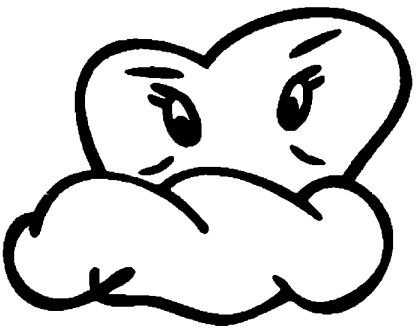

❖ ❖ رغم الهناء والاستقرار..
رغم الأمان والطمأنينة والسلام..
رغم الإمساك بنجوم السماء
والاطلاع على سر الكون.. رغم
العثور على كنز الكنوز
والإحساس بالغنى والشبع
والامتلاء والكمال..

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

**رغم كل هذا فإن الحب لا يخلو من قلق وخوف وحزن وألم يصل أحيانًا إلى حد العذاب والجحيم، وبالرغم من الإحساس بالاستقرار والأبدية فإنه يظل هناك قلق غامض، حزن خافت.. خوف مبهم.. أرضية من الألم تبرز عليها سعادة لا تتحقق بحق إلا إذا كان الحبيب قريبًا ملء العين إلى حد الالتصاق.. هنا فقط ينغمر الحبيبان في نشوة التوحد والذوبان ويمعنان في الاقتراب والالتصاق لمواجهة هذا القلق وتلك الوحشة. فالعذاب يكون حقيقيًّا ومكثفًا والألم يكون مركزًا في الابتعاد، هنا تتعاظم المخاوف ويتضخم القلق وتعمق الأحزان.**

* * يقترب الحبيبان ويبتعدان وفي الاقتراب يعانيان من قلق الخوف من السأم.. وفي الابتعاد يعانيان من قلق الخوف من الهجر والنسيان. يقتربان يشدهما الشوق ويبتعدان ليتجدد الشوق ليقتربا أكثر وأكثر.

وهكذا في حركة بندولية لا سكون لها ولا توسط. وفي الابتعاد تكون الرؤية أوضح.. ابتعاد يتيح التأمل والتركيز ومحاولة الاكتشاف، ولكن هيهات أن يصل إلى نهاية مطلقة.. هيهات أن يمسك بكل النجوم مجتمعة.. هيهات أن يصل إلى السر الأعظم.. هيهات أن يحتوي بقلبه كل الكنز.. يظل هناك دائمًا أمر مخفي.. يظل هناك أمر غامض.. يظل هناك لغز يستعصي على الحل، تظل هناك معضلة فكرية تستعصي على الفهم الكامل، يظل هناك حجاب ساتر لا يكشف عن الكل بل يخفي جزءًا يجتهد الإنسان العاشق في

الوصول إلى كنهه.. إلى كشفه.. إلى فهمه.. إلى إدراكه.

* * ولذلك تظل هناك بقعة قلق على أرضية السلام والطمأنينة، تظل هناك نقطة قلق في أرضية السعادة. تظل هناك مساحة حزن في أرضية الشوق. هكذا هو قلق الحب. ولا يحدث هذا إلا من شدة الحب.

* * وتلك هي الحدود البشرية حدود الإنسان.. فالإنسان في الحب يطمع في أن يتحقق من الكمال.. من الأبدية.. من اللانهائية.. من الخلود.. من المطلق.. يريد أن يتحقق من أنه قهر الموت وأنه كشف سر الحياة، سر الخلق.. سر الوجود.. يريد أن يحيط الكون كله بعينيه وأن يستوعب الحكمة كلها بعقله وأن يستشعر كل الطمأنينة بقلبه. في لحظة هو يريد الفناء الكامل في حبيبه ويريد لحبيبه الفناء الكامل فيه. ولكنه يقلق من ضياع العلاقة لأن العلاقة تتطلب اثنين لا واحدًا، ولذا فإنه في اللحظة التالية يريد الانفصال. أن تكون هناك مسافة. مسافة تتيح له الرؤية الواضحة. الرؤية الشمولية الاستيعابية. الرؤية الفاحصة المتأملة المدققة التي تجلب متعة التطلع إلى الحبيب. التطلع إلى داخله.

إنها رؤية الداخل للداخل وليس مثلما نبتعد عن لوحة معلقة على الحائط لنراها بوضوح. إن الحبيب يستطيع أن يغلق عينيه ورغم ذلك يرى حبيبه بوضوح شديد. إن هذه المسافة تتيح له أن يغوص في داخله، أن يستشعر داخله وأن يستوعب فكره ووجدانه. ولكن يداهمه القلق والعجز عن الإحاطة الكاملة.. عجز القدرات البشرية.. عجز الإنسان.. فيقلق ويجزع.. فيقترب لعل الاقتراب يتيح له احتواء من نوع آخر.

يقترب إلى حد الالتصاق وامتزاج الأنفاس. ويذهب قلقه إلى حين يكونان في أقرب نقطة تلاق.. ولعل الأبدان هي إحدى الوسائل التي يلجأ إليها الحبيبان لتحقيق أقرب نقطة تلاق. أقصى درجات الاقتراب. وهنا تأتي أهمية الأبدان وهي أهمية ثانوية وليست أولية. وهذا هو الفرق بين الحب العشقي والجنسي.

* * الجنس يحقق تلاقيًا مؤقتًا للأجساد لإفراغ رغبة تشعر بعدها الروح باللوعة وبمزيد من الوحدة وربما بالاشمئزاز، أما في الحب العشقي فإن تلاقي الأبدان يحقق قدرًا من الطمأنينة والسعادة استجابة لرغبة الأرواح في مزيد من الاقتراب والالتصاق، ولهذا فإن الأبدان في الحب العشقي هي وسيلة وليست هدفًا.

* * وتستمر الروح قلقة في سعيها إلى الحبيب.. تستمر الأشواق.. يستمر التطلع تظل محاولات الاقتراب ثم الابتعاد من أجل الاقتراب. إنها الأرجوحة الصاعدة الهابطة التي تبدأ من نقطة لتبتعد عنها لتعود إليها ثم تبتعد عنها لتعود إليها. لا سكون ولا استقرار عندها. بل ابتعاد من أجل معاودة الاقتراب.

وحين نصل إلى هذه النقطة ونظن أنه آن أن نستقر ونسكن إذا بقلق السكون يعاودنا.. قلق الصمت.. أو هو قلق الموت.. قلق الركود.. قلق السأم.. فيداهمنا خوف. فندفع الأرجوحة إلى الابتعاد.. إلى الهبوط مرة أخرى.. فيؤلمنا الحنين والشوق.. يمزقنا الأرق.. نصاب بالجنون للابتعاد.. نخاف الفقد.

فقد الحبيب هو فقد الحب هو فقد الحياة.. إنه الطريق إلى

المقصلة.. إنه الإعدام الذي يفضي إلى العدمية واللا شيء والنهاية. ولهذا يندفع الحبيب نحو حبيبه لتعود إلى الحياة فرحة اللقاء بعد غياب، مثل فرحة من عفوا عنه وأعتقوا رقبته.. مثل فرحة الطفل حين يعثر على أمه بعد أن تاه عنها.. اللقاء فرح.. فرح زوال القلق.. قلق الموت.. وفي الالتصاق ضمان الدوام.. الاستقرار.. الخلود.

♥♥♥

* * لماذا هذا القلق؟ هذا النوع من القلق لا يعرفه إلا الذي أحب فعلاً لأنه حين يحب تتكشف له أشياء غير متاحة لأي بشر. إنه يرى الجنة الحقيقية، يرى الجمال الحقيقي. يتاح له من أسرار الكون ما لم يتح لأحد. يتذوق الدنيا بطريقة جديدة.. ينفتح أمامه عالم مسحور باهٍ ورائع.. يدخل عالم الخلود.. يعرف المعنى.. يتحدد الهدف.

كل شيء يكتسب لونًا، وكل شيء يصطبغ بجمال أخاذ. الشجرة والوردة والنهر والجبل والقمر والنجوم والسماء والهواء والفجر والموسيقى والشعر والعلم والعمل والأخوة والصداقة والزمالة والوطن.. عالم جديد.. دنيا جديدة.. كون جديد.. سماء جديدة.. أرض جديدة..

كل هذا عرفه ووصل إليه واكتشفه وتذوقه من خلال الحبيب.. من خلال الحب. ولهذا ففقد الحب هو الموت بعينه. يقلق ليس فقط خوفًا من فقد الحب ولكن خوفًا من أن يخفت ويضعف. وكيف يضعف وهو مصدر القوة العليا؟.. كيف يضعف وهو مصدر الحياة؟

* * ولهذا فهو يقترب ويلتصق ليضمه ويلمسه ويشمه.. يلجأ إلى الحس المادي ليجلب له الطمأنينة المعنوية ثم يبتعد ليتيح لعقله

التأمل والرؤية الشاملة طمأنينة في القرب وطمأنينة في البعد. قلق في القرب وقلق في البعد. ولذا يظل هناك دائمًا حالة من التطلع الدائب.. حالة من الترقب.. حالة من الانتظار.. حالة من التوقع.. حالة من السعي.. حركة واجتهاد وعمل وإبداع وابتكار وخيال ووهم من أجل الإبقاء على النار المشتعلة.. الإبقاء على تدفق النهر.. الإبقاء على هطول الأمطار.. الإبقاء على سريان الرياح.. الإبقاء على كل ذلك بنفس القوة التي بدأ بها.. قوة الحياة قوة الإثارة قوة الخصوبة.. الثراء.

♥♥♥

* * ولهذا لا تشبع الروح وإنما يشبع الجسد ولا تموت الروح وإنما يموت الجسد.. ولا تفنى الروح وإنما يفنى الجسد ويتحلل. ولهذا فالحب أقوى من الموت.. الحب هو المستقبل وما بعد المستقبل.. الحب هو الديمومه واللا نهائية والخلود المطلق. ولأن الإنسان محدود ونهائي وغير خالد والموت ينتظره في نهاية الطريق فإنه يقلق ويجزع.. يخاف ويأتي الحب ليطمئنه ويأخذ بروحه إلى عالم الخلد فيهنأ ويسعد ولا يبقى عنده من خوف إلا الخوف من زوال هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه واختاره واصطفاه وكافأه بها.. نعمة الحب.

* * ولهذا فإن الإنسان العاشق يبحث دائمًا عن الجديد.. ينمو.. يتطور.. ينضج.. يصعد أكثر إلى سماوات جديدة.. آفاق جديدة أحلام جديدة. وكلما كبر عمر الحب زادت الحيوية.. زاد النشاط، عظم الأمل. زادت الرغبة لمزيد من الإبداع. بل زادت القدرة على الإبداع والتجديد، والإضافة للحياة.

إن حياة الحب هي حياة النشاط والتجديد ولهذا فمتعة الحب

تزداد مع السنين. ومع هذا يزيد التوقع.. التوقع لمزيد من اللذة.. مزيد من السعادة.. حالة من الجوع المستمر لا تعرف الشبع. ولهذا فالمحبون هم الأحياء الحقيقيون.. هم المبدعون الحقيقيون.. هم القوة الحقيقية الدافعة للحياة.. هم الإضافة والاستمرارية. ولا جديد يأتي إلا من قلب وفكر عاشق.

* * ولا يتحقق إطلاقًا إشباع كامل للرغبة.. الروح لا تشبع لأنها إذا شبعت توقفت.. سكنت.. وفي ذلك الموت. ولذلك فالشوق دائم. ولا يفقد الحبيب إطلاقًا شوقه لحبيبه حتى وإن كان على بعد أمتار من مرمى العين والهجر قد يكون مصطنعًا من أجل إشعال مزيد من النار وبعث مزيد من الحركة العنيفة خوفًا من ركود مفاجئ..

ولهذا قد يثير المحبون خلافات سطحية يبتعدون بسببها وهم يعرفون أنهم سيعودون. وما أسهل صلح المحبين.. إن سعادة اللقاء بعد الهجر لا تعادلها كل لذات الدنيا.. معنوية ومادية مجتمعة. إنها أسعد لحظات العمر لا يصنعها قلم أو لسان.

* * ولهذا فلا بد من مسافة فاصلة.. مسافة تتيح الاقتراب. ولكن مهما بعدت المسافات فإن الأرواح قريبة ولكنها مسافة يسعد بها الجزء البشري في الإنسان، أما الجزء الروحي فإنه في حالة عناق مستمر الأرواح دائمًا متعانقة رغم انفصال الأجساد. ولهذا فحيل الابتعاد والهجر هي حيل طفولية مصطنعة ونوع من اللعب والتسلية واللهو. إنها حالات الطفولة التي يعيشها المحبون.

* * ولهذا لا فناء كامل في شخص المحبوب وإنما هو الإحساس الواعي المتجدد بفرديته وتفرده وتميزه واختلافه. وفي الحب العميق

يصبح كل طرف في نظر الآخر شخصية لا متناهية مطلقة فوق حدود النقد والمقارنة ونجمًا عاليًا في سماء استطاع هو أن يحتل مكانًا بجواره في هذه السماء العالية، وأن ينهل من نوره لتضيء به جنبات نفسه، وأن يهبه من نوره ليضيء به جنبات نفسه إذ استحال هو أيضًا بفضل الحب إلى نجم ساطع قادر على الإشعاع والنفاذ والبقاء في سماء الحب العالية الصافية.

ولكن أبدًا لا يتوحد النجمان ولا يذوب أحدهما في الآخر. والنجوم تضيء وتنطفئ، تعيش دورة الزمان.. دورة الليل والنهار. وهذا هو رمز الحياة.. رمز الاستمرارية.. شيء نابض.. متحرك.. يعلو ويهبط.. يقوى ويضعف.. ينشط ويخفت.. ظهور واختفاء.. هذا هو نبض الحياة.. وهذا هو نبض الحب.. ما النبض إلا الحركة والحياة.. إيقاع الحياة هو دليل الحياة.

* * ولذا من أخص خصائص الحب والمحبين أنه لا رتابة ولا تكرار بل كل لحظة شيء جديد. حتى وإن كررا نفس الكلمات وجلسا في نفس الأماكن، فإنهما يعيشان هذه الخبرات المتكررة بطريقة جديدة ولذا لا يمل المحبون من نفس الأغاني التي اعتادوا سماعها ولا من نفس الأماكن التي اعتادوا الذهاب إليها. بل يشتاقون إليها شوقًا جديدًا.

* ولكن المحبون يسعدون أيضًا بالخبرات الجديدة والتي لا تكتسب معنى إلا من خلال المشاركة.. أن يكونا معًا هو الذي يهب الأشياء القديمة معاني جديدة، وهو الذي يكسب الأشياء الجديدة معناها الحقيقي.. إذن فعل المشاركة (أن يكونا معًا) هو وراء كل

إبداع وتجديد، هو مبعث الروح.

* * ولذا فالحب ينمو ولا يتغير، ينضج ولا يتحول، يكبر ولا يشيخ، بل يكتسب قوة وحيوية. إنه الأبدي الخالد الجديد المتجدد اللا متغير القديم الحديث العالي على الزمان والمكان، قاهر الملل والسأم والموت، باعث الأمل والبهجة والفرحة والنشوة والانتصار.

♥♥♥

* * ولأنه نبض وحياة فهناك صراع.. اصطدام. احتكاك.. وهو أمر حتمي تفرضه قوانين الحركة.. حركة الأشياء.. حركة الأجسام والكتل.. وأيضًا حركة الذوات والأرواح، صراع تفرضه قدرات الإنسان المحدودة، صراع تفرضه محدودية الإنسان في الإدراك الكلي الشامل وعدم قدرته على الإحاطة الكاملة، وعدم يقين يديه في الإمساك الكامل على الأشياء. ولهذا فهو قلق، والقلق معناه سهولة الاستثارة والعصبية والأرق والاندفاع.

القلق معناه الصوت العالي أحيانًا.. معناه الغضب والتحدي وسوء الفهم وسوء التقدير. ثورات وفورات. ولكن سرعان ما تتوجع الروح، وإذا بالصلح يتم بلا شروط وبلا وسيط والندم على ما فات من لحظات العمر التي ابتعد فيها، فالعمر لا يقاس إلا بلحظات القرب والوصال.

* * ولا بد من أن يواجه الحب تحديات الزمن. لابد من أن يصطدم بأرض الواقع. صعوبات ومشاكل حساد وعزال وحاقدين، وقد تحدث مواجهات قاسية بين المحبين أو بينهم وبين آخرين.. بينهم وبين الواقع. ولكن أبدًا لا ينال هذا من الحب شيئًا. لا يسقط من

الجدار العظيم ذرة رمل واحدة. لا يهتز لحظة بل يكون هناك إصرار على الاستمرار معًا.

كل شيء يهون إلا أن نبتعد. كل شيء مقدور عليه إلا أن نفترق، أن نبتعد، أن نفترق معناه الموت.. معناه اللا شيء.. معناه العدم.. معناه التفاهة والسطحية والضحالة واللا معنى والفتور والسأم والضجر ثم الحزن الذي لا ينتهي.. حياة بدونك الموت أفضل منها. ولهذا مهما كانت حدة الصراع ومهما كانت المشاكل، فإن الحب ينتصر، في النهاية يعودان معًا بين دهشة المحيطين ممن كانوا يتوقعون لهما القطيعة من بعد الوقيعة. ولكن أبدًا لا ينفصلان، في النهاية يعودان معًا.

♥♥♥

* * وروح المحب تتسم بالسماحة والصفاء، وحتى في أوقات الصراع والغليان والخصام لا يحاول أي منهما أن يتصيد للآخر الأخطاء. وحين يجتر كل منهما تاريخ حياته مع الآخر ويحاول أن يعثر على الإساءات فإنه يفشل لا يطاوعه عقله ولا يطاوعه قلبه، بل على العكس فإنه لا يتذكر إلا أجمل الذكريات. في الأحوال العادية وفي العلاقات مع الآخرين فإنه في حالة الخصومة يقوى الإنسان دوافع العدوان لديه بأن يحاول أن يتذكر أو يجمع الإساءات التي صدرت من الطرف الآخر، وأن يتناسى الجوانب الإيجابية في العلاقة، أما العكس فيحدث في حالة الحب الإساءة تنسى والتي لم تكن فعلاً إساءة وتجسم الذكريات الجميلة والتي تدفع المحب دفعًا نحو الصلح مع حبيبه، وما أسهل صلح المحبين دون الحاجة إلى طرف ثالث.

♥♥♥

* * والغيرة أحد أشكال العذاب، في الحب الغيرة قلق وضيق وغضب وألم. وفي الحب الحقيقي يغار الإنسان على الحب. يخشى الإنسان فقد حبه. وفقد الحب معناه فقد الحياة. أي يفقد ذاته وكيانه. والفقد هنا عظيم والحزن عظيم. وليس هذا شبيه الغضب الذي يشعره الإنسان عندما يفقد شيئًا يمتلكه.

في الحب الزائف- أي حب التملك- يجزع الإنسان من أن يفقد الطرف الآخر الذي يعتبره ملكية خاصة له خاضعة لسيطرته، هذا هو الفرق بين الغيرة في الحب الحقيقي والغيرة في الحب الزائف، ولذا فمشاعر الغيرة في الحب الحقيقي هي مزيج من الحزن والقلق والخوف، أما في الحب الزائف فهي مزيج من الغضب والعداوة، الغيرة في الحب الحقيقي هي مثل مشاعر الإنسان الذي سيفصلون له ذراعه أو سينتزعون منه عينيه. إنه فقد لكل معنى ولذا يعتصره الألم عصرًا. تنسد كل الطرقات أمامه.

♥♥♥

* * وفي حالة الحب الحقيقي لا يتعرض المحبان لعذاب الشك. فهناك طمأنينة كاملة لإخلاص ووفاء الحبيب. لا مجال لعبث المرأة أو لدونجوانية الرجل في الحب الحقيقي. إما حب أو لا حب. وإذا كان حبًا فإن الإخلاص أمر ليس اختياريًا، ولهذا ينعم المحبان بالطمأنينة الكاملة والثقة العمياء. والمحب يدرك إخلاصه مثلما يدرك إخلاص الطرف الآخر. ولذا فهناك تلقائية وبراءة. واستحالة الكذب أو التزييف أو النفاق بل كل يكون على طبيعته.. يكون نفسه.. ذاته الحقيقية. وذلك هو الجمال الحقيقي في علاقة الحب.

* * وكما قلنا فإن الصراعات في الحب تكون موجودة على القشرة الخارجية، ولذا من السهل إزالتها بابتسامة.. بنظرة حانية.. بدمعة صادقة.. بلمسة يد حانية.. بعناق رقيق. في لحظة واحدة يذوب كل الألم والعذاب وتحل محلهما الفرحة. ولهذا فإن أي خلاف لا يخلف وراءه أسى أو أثرًا أو ذكرى سيئة.

المحبون يتواصلون بالنظرات، بتعبيرات الوجه، بنبرات الصوت. إذن لا حاجة للكلمات.. إن كل شيء ينطق بالحب. ولهذا فالحبيبان المتخاصمان قد يتصالحان في لحظة بنظرة عين. إنه اتصال روحي عميق. هما روحان في جسد واحد أو روح واحدة موزعة في جسدين.

هما اثنان في واحد. هما وحدة واحدة وهذا هو سخاء الحب وثراؤه وعظمته وكرمه.

إن أعظم ما ينعم به المحب هو تلك القدرة الخارقة على الاتصال الداخلي العميق بذات محبوبه حيث تتآلف وتتآلف الروحان وتنسجمان.. إنها حياة المشاركة الروحية، روحان تتآلفان.. تنسجمان.. تتوادان.. تتراحمان.

♥♥♥

* * ومن الصعب بل من المستحيل تكرار تجربة الحب مرة ثانية في حياة الإنسان. وإذا كانت التجربة الثانية صادقة حقًّا فإن التجربة الأولى لم تكن صادقة، وإذا كانت التجربة الأولى صادقة فمن المستحيل أن يعقبها تجربة ثانية ولذا فإنه حتى بعد موت أحد طرفي العلاقة فإن الحب يظل باقيًا كما هو بحرارته وقوته في قلب وعقل

الطرف الآخر الباقي على قيد الحياة.

ولذا فإن الحب الحقيقي بقدر ما ينطوي على سعادة فإنه أيضًا ينطوي في بعض جوانبه على عذاب وألم، إذ يبدو أن الإنسان حتى وإن كان مؤهلاً للحب فإن إمكانياته النفسية غير قادرة على مثل هذا الترابط العميق بين روحين. إنه لأمر جلل وعظيم فوق مقدرة المادة البشرية إنها انكشاف للذات والوجود يسبب في البداية فرحة واندهاشًا وفزعًا ثم بعد ذلك سعادة وألمًا.

* * ولأن المادة البشرية لها ضعفها وهفواتها وزلاتها وأخطاؤها، فإن المحبين يجدون صعوبة في التسليم بهذا الضعف البشري. إن طموحاتهم دائمًا نحو المثالية، والحبيب هو المثل الأعلى، وذلك أحد جوانب الصراع والعذاب والألم في الحب.. الصراع بسبب عدم القدرة على التوفيق بين الصورة والواقعية والصورة المثالية.

إنها لحظات اهتزاز بسيطة ثم يعود المحب بعدها إلى ثباته واستقراره وثقته وطمأنينته، يعود فيدرك أن ما يبدو من محبوبه من ضعف ونقص إنما هو سطحي لا يمس من جوهر روحه ولا ينال من أصالته ولا يزعزع قيمه الثابتة. إن ما يصدر عنه من توافه نقائص لا ينال إلا قشرته الخارجية فقط، أما باطنه فرائع وعظيم ولا أحد يدانيه في الدنيا.

* * ولا يوجد بأي حال ما يسمى بالصديق المشترك للعاشقين، لا يوجد ما يسمى بالوسيط أو القاضي أو المستشار، لا أحد يستطيع

أن يقترب من أحاسيس العاشق تجاه معشوقه، ولا أحد يستطيع مهما كانت درجة قربه أن يتفهم طبيعة هذه المشاعر.

علاقة الحب هي دائرة مغلقة على طرفيها لا مكان للثالث مهما كانت درجة صداقته أو قرابته، ومهما كان صادق النية صافي النفس ولا شيء يثير الحسد في الدنيا قدر الحب. إنه جنة الله على الأرض ولهذا فالمحبون الحقيقيون قليلون والحاسدون كثيرون.

♥♥♥

* * والطرف الثالث دائمًا ما يسيء إلى علاقة الحب حتى وإن كان حسن النية وخاصة إذا لجأ إليه المحبان للتحكيم أو الوساطة أو للاستشارة.. المحبان لا يحتاجان إلى هذا الوسيط. إن أي خلاف بينهما من الممكن أن يزول في لحظة. وأي منهما يستطيع بسهولة أن يتخلى عن وجهة نظره من أجل الطرف الآخر وخلافاتهما سطحية وعابرة وبسيطة. ومهما تباعدت وجهات النظر ومهما عمق الخلاف فإنهما سرعان ما يلتقيان ويتفقان وسرعان ما يتناسيان ما كان بينهما من اختلاف وخلاف.

هذه الحقيقة قد لا يفهمها الطرف الثالث. أي قد لا يفهم طبيعة المحبين، ولهذا فهو حين يتدخل في نزاع أو خلاف فإنه يتعامل معه بمنطقه هو أو بمنطق الناس العاديين، وهو إذ يحاول أن يكون عادلاً ومنصفًا فقد يناصر طرفًا ويدين الطرف الآخر، ويميل لوجهة نظر ويختلف مع وجهة النظر الأخرى.. إنه بذلك يفسد لا يصلح ويزيد الهوة ويعمق الخلاف..

لا منطق في علاقة الحب ولا حاجة إلى العدل ولا ضرورة

للإنصاف. إذ إننا نرى أن المحبين إذا تصالحا يتنازل كل منهما عن حقه ويتراجع عن موقفه ويتخلى عن وجهة نظره. فالحب ما هو إلا عطاء بلا انتظار لمقابل، وإيثار وتضحية وحماية ورعاية ومسئولية.. إذن لا حاجة للعدل والإنصاف والمنطق.

* * والطرف الثالث قد تحركه دوافعه اللاشعورية التي يغمرها الحسد فيسيء من حيث لا يرغب شعوريًا في الإساءة، أو قد تحركه دوافعه الشخصية أو مشاكله هو فيسقطها على أحد الطرفين، وفي هذا أيضًا إساءة وتجسيم لأي مشكلة.

* * وقد يكون الطرف الثالث حاقدًا وهو ما يسمى بالعزول، وهو من يتعمد الإساءة شعوريًا أي عن قصد ولكن بخبث ومكر ويزيد النار اشتعالاً، وذلك أحد الأخطاء القاتلة التي يقع فيها المحبون حين يشركون أطرافًا أخرى في حياتهم فيدفعون الثمن ألمًا وعذابًا.

* * مهما أوتي أي إنسان القدرة على الفهم الواعي والإحساس العميق والمشاركة الوجدانية، مهما أوتي من صدق وصفاء فإنه لن يستطيع أن يدرك عمق العلاقة الروحية التي تربط المحبين.. إنها نفحة إلهية صلة عميقة باطنية سر غامض.

* * أما الخيانة فلا مكان لها في الحب الحقيقي. الخيانة تقضي على أي مشاعر، وإذا قلنا إن الخيانة تقتل الحب فهو أصلاً لم يكن حبًا ما دام قد سمح للخيانة بأن تقع، فلا حب مع الخيانة ولا خيانة مع الحب، ولذلك فأنت لن تجد على وجه الأرض حبيبًا يشكو من خيانة حبيبه.. فهذا أمر مستحيل الحدوث.

* * ثم يتبقى نوع آخر من القلق قلق مبهم غريب غامض لا تفسير له.. إذ ترى المحبين في ظل سعادتهم ونشوتهم واستغراقهم واستمتاعهم يشعرون بتسرب القلق والخوف.. يشعرون بحزن خافت.. بألم رقيق.. بعذاب محتمل.. مزيج غريب.. لا راحة مطلقة.. قدر معين من التنغيص.. قدر معين من الحيرة.. ولكنه على كل حال ألم مستعذب فكلما صعدت الروح في دروب السمو والرفعة نحو سماء الفضيلة والجمال، فإنه لابد أن تكابد ألمًا، إذ إن الألم وثيق الصلة بالسمو.. الألم وثيق الصلة بالحب.

♥♥♥

## الفصل الثالث عشر

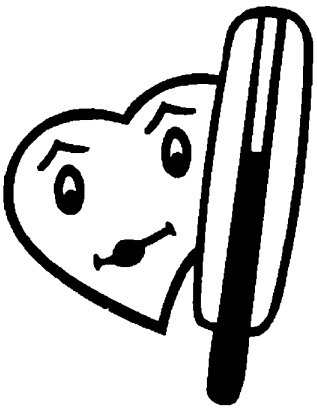

# الحب والجنس

* * الجنس شيء جسدي. أما الحب فهو الوعي وهو الحقيقة المعنوية. الحب شيء ثمين، أما الجنس فهو مجرد حاجة بدنية. الحب مقدس وليس الجنس. الحب يتواجد فقط كظاهرة مقدسة. لا يوجد حب سيئ. الحب السيئ ليس حبًّا على الإطلاق. الحب هو شيء إلهي رومانسي. ومن الممكن أن يكون الجنس شيئًا رائعًا، ولكن هناك جنس سيئ ورخيص.

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

* * والحب علاقة بين الأرواح.. بين الذوات.. علاقة بين وعي داخلي ووعي داخلي آخر.. علاقة بين الجوهر والجوهر.. إنه تلاقي إنسان مع إنسان آخر على مستوى الذات.. الروح.. الوعي.. الجوهر. علاقة شمولية. فيض من نور الله. أما الجنس فهو علاقة بين الأجساد. التقاء جسد مع جسد، ولا يخلو حب من جنس ولكن قد يخلو جنس من حب.

وإذا كنا نقول: إنه لا يخلو حب من جنس فهذا ليس معناه الربط الكامل بين الحب والجنس، فالحب ظاهرة منفصلة مستقلة.. ظاهرة تعلو فوق علاقة الأبدان أو حاجة الأجساد.. فوق الرغبات والشهوات.. علاقة دائمة وليس حالة ملحة تدعو إلى تحقيق رغبة وإرضاء شهوة وإفراغ حاجة. الحب حالة دائمة أما الجنس فهو حالة مؤقتة.

* * في الحب الحقيقي لا يكون هناك اشتهاء جنسي ولكن تكون هناك رغبة في التلاقي والاقتراب والالتصاق. الرغبة الجنسية في الحب تأتي كمسألة ثانوية وبطريق الصدفة. الجنس لا يلعب دورًا أوليًا في علاقة الحب. الحب علاقة شاملة أي تشمل كل شيء.. تشمل الوعي والروح والذات. الأبدان تكون مجرد وسائل. الحب لا يشمل البدن ولكن يحركه وينشطه.

* * أما الجنس فمن الممكن أن يكون منفصلاً تمامًا عن أي مشاعر. قد يتمتع الجنس عند بعض الناس باستقلالية تامة. جنس بلا حب. وأيضا قد يكون هناك حب بلا جنس على الإطلاق، أو قد يطل الجنس إطلالة رقيقة خفيفة، أو قد تكون هناك رغبة جنسية عارمة

تتعادل وتتوازى وتتوافق مع شدة الحب وشدة الرغبة في التلاقي ويكون بذلك تعبيرًا عن الرغبة في الالتصاق والتلاحم والذوبان.

وإذا أمعنا النظر لا يكون الجنس هنا تحقيقًا لرغبة جنسية حادة وملحة بقدر ما هو وسيلة للتعبير أو أسلوب للتعبير. يصبح مثل الكلمات الرقيقة والهمسات الحالمة واللمسات الحانية والبسمات الهائمة. يصبح الجنس شكلاً من أشكال الاتصال والتواصل. إنها نشوة الحب التي تهز الأجساد مثلما تهز الأرواح.

ولهذا نجد بعض المحبين يسعدون أيما سعادة بالعلاقة الجنسية معًا. ونجد آخرين من المحبين لا ينشغل بالهم إطلاقًا بأمر هذه العلاقة وقد يعزفون عنها وتحتل مركزًا متأخرًا في علاقاتهم ويجدون متعة أكبر في المشاركة في أشياء أخرى كالخروج في نزهة أو الحديث والسمر. وفي أحوال نادرة تنعدم الرغبة الجنسية تمامًا مع شدة الحب ورومانسيته.

* * ويبدو أن الأمر يتوقف على نوع الشخصية والبناء النفسي والتراث الثقافي الحضاري للشخص ذاته. وقد يكيف أحد الطرفين نفسه على شخصية الآخر بما لها من فلسفة وأسلوب واحتياجات ونظرة للأمور.

فقد يختلفان اختلافًا بينًا، فبينما تكون هي مثلاً عازفة عن الجنس ومكتفية بوسائل أخرى للاتصال والتعبير، يكون هو مقبلاً أكثر على الجنس وأيضًا كوسيلة للاتصال والتعبير. ولكن رغم اختلافهما فإن هذا لا يعوق سعادتهما ونجد أن أحدهما يكيف نفسه حسب احتياجات الآخر.

* * أما حينما يكون الجنس مستقلاً.. الجنس لمجرد الجنس.. فلا بديل عن الممارسة ويكون هذا هو قوام العلاقة وعمودها الفقري ومبعث استمرارها. أما الجنس في علاقة الحب، فما هو إلا مرحلة اختيارية لاحقة.. إنه أسلوب يتعلق بكيفية وإمكانية التعبير عن الحب.

الحب الأمثل يتواجد على مستوى الوعي الخالص وبعد ذلك قد تكون له مظاهره الاجتماعية والبيولوجية كالزواج والجنس والأطفال. الرغبة في الزواج بين المحبين مثل الرغبة في الجنس. الزواج حاجة اجتماعية، شكل من أشكال الارتباط والتواصل والالتصاق بين المحبين.. أن نكون معًا.. أن نستمر معًا.. ألا يبعدنا شيء.. ألا يفصلنا شيء. وكذلك الرغبة في الجنس.. هي شكل من أشكال الارتباط والتواصل والالتصاق بين المحبين.. أن نكون في أقرب نقطة.. أن نلتصق أكثر وأكثر.. أن نتلاحم.. أن نذوب.. أن نفنى. إنها الرغبة السامية والقصوى في التوحد. ذلك هو التعبير بالجزء البشري في الإنسان. والزواج هو التعبير عن الجزء الاجتماعي في الإنسان. أما الرغبة في الأطفال فهي التعبير عن الجزء الأسري في الإنسان.

♥♥♥

* * الجوهر الحقيقي للإنسان يملي عليه أن يتلاقى مع جوهر إنسان آخر حقيقي. وهذا هو الوصف الدقيق للإنسان الحقيقي. إن جوهر الإنسان لا يكون في تحقيق ذروة الاستمتاع الجنسي بل في الالتقاء بالوعي الداخلي لإنسان آخر.. التقاء الروح.. اكتشاف

الذات.. الانفتاح على الوعي الآخر وإتاحة الفرصة لهذا الوعي الآخر أن يرى صورته الحقيقية ثم ليصعدا معًا في سماء الحب والفضيلة.. ثم يكتشفا الرغبة الجنسية المتبادلة بالصدفة. فتكتسب هذه العلاقة الجنسية أهمية ومعنى خاصًا مرتبطًا بعلاقة الحب التي تجمعهما.

* * وفي ظل علاقة الحب لا تصبح للتفاصيل الجنسية أي أهمية مثل جمال الجسد واستجابة المرأة ومقدرة الرجل. يصبح الأداء نفسه غير مهم. لا تهم الطريقة أو الأسلوب أو الأوضاع. مثل هذه التفاصيل التي تتعرض لها كتب الجنس ويتعرض لها المهتمون مهنيًا بالجنس كالأطباء. هذه التفاصيل لا تهم العاشقين في كثير أو قليل.

ولكن مثل هذه التفاصيل تكون على درجة كبيرة من الأهمية حينما يكون هناك جنس للجنس. أي يكون الجنس هو أساس العلاقة. هنا تهتم المرأة بمظهرها ومدى قدرتها على إثارة الرجل وإمتاعه وتتفنن في أساليب تتعلمها من الكتب أو من نصائح الطبيب أو من الصديقات. مثلما يهتم الرجل بمقدرته وأدائه ومدى إمكانية أن يسعد المرأة التي معه. إنه يهتم في النهاية أن يرى في عينيها رضاءها عن أدائه. وقد يسألها سؤالاً مباشرًا: هل استطعت إرضاءك والوصول بك إلى قمة النشوة؟ ويشعر بالزهو لذلك. وكأنه يريد أن يقول لها إنك لن تجدي رجلاً آخر قادرًا على إمتاعك مثلي.. أو وكأنه يعاني خوفًا داخليًا من أن يكون هناك رجل آخر قد استطاع أن يرضيها بطريقة أفضل منه، إذ إن هذه النوعية من العلاقات القائمة على الجنس فقط لا يوجد فيها إخلاص أو ثقة أو وفاء. هي في الغالب

علاقات تعددية لا استمرارية فيها. ولهذا فالشريك يتفنن في اختيار شريكه ويحافظ على إرضائه. ويهمله إذا فشل هذا الشريك في إرضاء رغباته وتحقيق توقعاته. إنها علاقة تعتمد على الأخذ والعطاء بقدر متساو. على عكس علاقة الحب التي تعتمد على العطاء المطلق بدون انتظار مقابل.

♥♥♥

* * والذروة الجنسية في علاقة الحب ليست فقط هي الاستجابة الفسيولوجية النهائية الكاملة. إنها حالة مستمرة من المتعة تشترك فيها النفس والجسد معًا. كل النفس، وكل الجسد وليس أجزاء بعينها. إنها حالة من النشوة الشاملة الآخذة.

والغريب أن المرأة العاشقة قد لا يتحقق لها هذه الذورة النهائية مع من تحب ولكنها لا تشعر بافتقادها لشيء. وليس هذا خرقًا للقوانين الفسيولوجية ولكنها تعيش حالة من الإرضاء الشامل، وافتقاد هذه الجزئية لا يسبب لها إزعاجًا بل قد لا تشعر إطلاقًا أنها تفتقد شيئًا. فقد تتزوج المرأة من رجل لا تحبه، وقد ينجح هذا الرجل إلى أقصى حد في تحقيق ذروتها الجنسية. ثم تتزوج من بعده رجلاً آخر تحبه لا يقدر على تحقيق ذروتها بالقدر الذي سبق تحققه لها مع زوجها الأول. مثل هذه المرأة تستطيع أن تقرر بوضوح أن متعتها الجنسية تتكامل مع الزوج الثاني الذي تحبه وأنها كانت تفتقد أشياء كثيرة مع الرجل الأول الذي لم تكن تحبه.

* * إذن الجنس في إطار الحب ليس فقط الممارسة الميكانيكية التي تعتمد على القوانين الفسيولوجية المحضة. إنها تجربة استيعابية

شاملة لها جانباها المعنوي والجسدي. أما في العلاقات الجنسية المحضة فإن التركيز يكون على الأداء الذي يحقق تلك الاستجابة الفسيولوجية الكاملة وما دون ذلك يعتبر تقصيرًا وفشلاً في بلوغ الغاية.

* * والإنسان في بداية حياته قد يمارس الجنس لذات الجنس ولكنه حين يحب حبًّا حقيقيًّا يكتشف أن هناك معنى آخر للجنس. إذ يستمتع بنوع آخر من الجنس لم يعرفه رغم تعدد خبراته الجنسية قبل الحب. وتنغلق الدائرة الجنسية عليه مع من يحب. وأي مؤثرات أخرى مهما كانت قوية تفتقد القدرة على تحقيق أدنى قدر من الاستثارة أو الاستجابة لديه. ولذلك لا يوجد ما يسمى بالخيانة البدنية مع الحب، إذ يفقد أي موضوع جنسي خارجي قيمته وتأثيره ما دام هناك حب. فيفقد الرجل قدرته على النظر إلى أي امرأة على أنها موضوع جنسي. وتفقد المرأة قدرتها على النظر إلى أي رجل على أنه موضوع جنسي. تنعدم المشاعر الجنسية إلا لشخص واحد وهو الحبيب. أي أن الإخلاص لا يكون متعمدًا في علاقة الحب الحقيقي. إنه إخلاص لا إرادي.

وإخلاص البدن من إخلاص الروح. وهذا يجعل الجنس عند الإنسان مختلفًا عن الجنس عند الحيوان. وهذا أيضًا يجعل ممارسة الجنس خارج إطار الحب مختلفة عن ممارسته داخل إطار الحب.

وهذا يعكس أيضًا اختلاف طبيعة وشخصية الإنسان الذي لا يمارس الجنس إلا في إطار الحب عن طبيعة وشخصية الإنسان الذي يمارس الجنس للجنس. إنهما مختلفان اختلافًا تامًّا. اختلافًا في الجذور

الأساسية للشخصية والبناء النفسي. نوعان مختلفان من البشر.

♥♥♥

* * الجنس في حياة العشاق قيمة اختيارية وليس احتياجًا ضروريًا يجب علينا إشباعه. إنه اختيار حقيقي وليس إلزامًا حتميًا. إنه فرصة تمنح وليس واجبًا مفروضًا. إن عظمة الإنسان تكمن في طريقة بنائه لنفسه وعالمه. إنه هو وحده الذي يحدد الدور الصحيح للجنس طبقًا لأسلوب حياته ورؤيته للعالم.

إن كل إنسان أمامه الاختيار الحر. واختياره هذا نابع من شخصيته. ولذلك فإن فسيولوجيا الإنسان (غرائزه) تخضع لشخصيته وبنائه النفسي.. أي تتبع أسلوب حياته ورؤيته للعالم. ولذلك فالإنسان ليس في حاجة إلى أطباء متخصصين في الجنس، وليس في حاجة إلى أطباء نفسيين لتحديد علاقاته بالناس وعلى الأخص علاقاته بالجنس الآخر. الإنسان حر.. صاحب إرادة.. لديه قدرة مطلقة على الاختيار وذلك تبعًا لشخصيته وبنائه النفسي، تبعًا لأسلوب حياته ورؤيته للعالم. إن الأطباء والمتخصصين لا يستطيعون الاختيار لنا.. الإنسان اختيار.. قرار. أما الحيوان فهو غريزة محضة.

* * ولكن الأطباء والمتخصصون يستطيعون أن يقولوا لنا ما هو طبيعي وما هو غير طبيعي.. ما هو أصيل وما هو غير أصيل. إن أي فعل يتعارض مع طبيعة الإنسان الحقة.. طبيعة الإنسان الحقيقي هو فعل غير أصيل.. فعل شاذ.. لأنه لا يتسم بالصدق.. لأنه يعتبر انتهاكًا لمجال الوعي.. لأنه لا تتوافر فيه سمات التحقق مع الذات..

فالعادة السرية مثلاً فعل إنساني غير صادق. وكذلك معاشرة

امرأة بغي.. وبالمثل اغتصاب امرأة ضد إرادتها. وأيضًا ممارسة الجنس لذات الجنس. إنها كلها ممارسات تحقق إرضاء وإشباعًا على المستوى الفسيولوجي، ولكنها تخلو من أي معنى إنساني. إنها تتعارض مع طبيعة الإنسان السوية هذا بالرغم من أنها من الناحية الفسيولوجية لا ضرر منها ولا خرق لأي قاعدة فسيولوجية، ولكنها خرق كامل للطبيعة الإنسانية.

إن كل هذه الممارسات السابقة نستطيع أن نراها على مستوى الحيوان ولا نرى ذلك غير طبيعي لأن الحيوان يفتقد للوعي. يفتقد لإرادة الاختيار المبنية على وعيه بذاته.

وبالمثل فإن الإنسان الذي ينغمس في مثل هذه الممارسات الجنسية غير الأصيلة فإنه يفتقد الوعي. يفتقد إرادة الاختيار المبنية على وعيه بذاته وإدراكه لإنسانيته انبثاقًا من قيم ثابتة راسخة داخله.

* * وبالتالي فإن الجنس بين عاشقين يولد معاني عميقة وجميلة جالبة لذة شاملة تفوق حدود اهتزازت الجسد. أما الممارسة في حالة الاغتصاب وحيث لا تتوافر الموافقة والتقبل المشترك، وكذلك الممارسة في حالة ممارسة الجنس للجنس وحيث لا تتوافر معرفة أصيلة لجوهر الطرف الآخر.. فإن الممارسة الجنسية في هاتين الحالتين تعتبر اختيارًا غير صادق. كما أن غياب الطرف الإنساني المقابل في العادة السرية يعتبر أيضًا اختيارًا غير صادق.

♥♥♥

* * إذن الجنس في إطار علاقة الحب هو الصدق بعينه.. هو الاختيار الصادق. إن الصدق يعني أن الاختيار قد تم بوعي وإدراك

تام. وإن هذا الاختيار منسجم مع بناء مجال الوعي الإنساني. أما عدم الصدق فهو انتهاك لقيمة وأهمية الوعي الإنساني ودوره في توجيه سلوك الإنسان.

* إن الصدق في علاقة الحب الحقيقي معناه أنه من خلال الوعي الإنساني السامي يقوم الطرفان بترجمة مشاعرهما إلى واقع جسدي وبيولوجي. وهذا هو السر لمنتهى الإشباع الجسدي الذي يتحقق من خلال هذه العلاقة. ولذلك فالمحبون يدركون أجسامهم بشكل شامل ومتكامل ولا يرون فيها نقصًا أو عيبًا ولا يجزعون لتأثير تقدم العمر.

إن المتعة تتزايد حين يدركون دور وأهمية الجسد في تحقيق ضرب من التواصل وضرب من التعبير. ولذلك فإننا نرى مثلاً امرأة في السبعين قد عاشت حياة جنسية حافلة ممتعة مع رجل واحد تحبه، بينما فتاة في العشرين فشلت رغم الممارسات المتعددة أن تحقق أي متعة جنسية وذلك لأنها مارست الجنس كبغي أو أنها مارسته على سبيل التجريب أو بدافع جنسي محض مع رجل لا ينظر إليها إلا كموضوع جنسي.

* * إن كلمة الإشباع تفهم خطأ على أنها إرضاء فسيولوجي كامل. ولكن في الحقيقة وعند الإنسان الحق فإنها تعني إشباعًا نفسيًا وفسيولوجيًا.. وإن هذا الإشباع الفسيولوجي يتحقق نتيجة للإشباع والارتواء النفسي.. أي أن الإشباع الفسيولوجي لاحق وليس سابقًا ولا يمكن أن يكون منفردًا مستقلاً.

* * وهذا معناه أن الإنسان لا يعيش جسده من الخارج إلى

الداخل. لكن يعيشه من الداخل إلى الخارج. أي أن نقطة البداية هي الذات الداخلية العميقة. إن الذات هي وسيلته للإحساس بجسده. ولهذا فإنه إذا كان بناؤه النفسي سويًا، وإذا كان على علاقة حب حقيقية أي أنه قد اكتشف جوهره الحقيقي فإن اهتمامه بالمظهر الخارجي يكون محدودًا وكذلك اهتمامه بالكيان الجسدي لمحبوبه يكون محدودًا أيضًا.

أما الإنسان الذي يعيش جسده أولا فهو ذلك النرجسي الذي طغى إحساسه الجسدي على شعوره بذاته العميقة، ولهذا فهو لا يهتم إلا بكل ما هو مادي ملموس مرئي.. لا يهتم إلا بكل ما يحقق إشباعًا جسديًا محضًا.. يُعنى بمظهره ولا تقع عيناه إلا على كل ما هو مثير جسديًا، ولذلك فهو صاحب عيون نهمة.

هذا الإنسان ينهار تمامًا ويفقد ثقته بنفسه مع تقدم العمر أو إذا أصابه أي ضعف أو علة جسدية. هذا الإنسان يهتم كيف يبدو أمام الآخرين ويهمه تعليق الآخرين واستحسانهم. إنه يرى أن الإنسان مجرد تركيب عضوي أكثر من كونه وعيًا داخليًا ذاتيًا مثله مثل الإنسان الآلي. يعيش جسديًا ويحتفل بالحياة جسديًا. وهو لا يمارس الرياضة البدنية لأي متعة نفسية ولكن لتحسين أدائه الجسدي.

إذا اختار ملابسه لا يبحث عن الأكثر راحة أو الأجمل الذي يروق لعينيه ويتفق مع ذوقه وإنما يبحث عن الأكثر جاذبية في عيون الآخرين. لقد تحول وعيه من الداخل إلى الخارج. من الذات إلى الجسد.. هذا الإنسان قد يحظى بإعجاب الآخرين ولكنهم لا يتفاعلون معه وأيضًا لا يحترمونه. إنهم فقط يستعملونه. يستعملونه

كـأداة جنسـية. ومـن الممكـن أن يكـون قـادرًا عـلى تحقيـق ذروة فسيولوجية ولكنه غير قادر على تحقيق إشباع جنسي حقيقي لدى إنسان آخر حقيقي.

* * وهذا هو المأزق الحقيقي الذي يقع فيه النرجسي والسيكوباتي والأناني والبخيل. ويقع فيه أيضًا الإنسان الجميل جدًّا والقبيح جدًّا. إن كل هؤلاء تمركزوا حول أجسادهم وحول متعهم الحسية. الجميل تصور أن لديه المقدرة الفائقة، والقبيح تصور أنه معدوم من أي جاذبية جنسية. ولذلك يفشل كل هؤلاء جنسيًّا. قد ينجحون في تحقيق ذروة فسيولوجية لأنفسهم وللآخرين، ولكنهم يفشلون في تحقيق إشباع حقيقي لأنهم تحولوا عن مجال الوعي الإنساني وتحولوا إلى آلات جيدة أو غير جيدة. آلات صالحة وغير صالحة.

* * ولهذا فإن جذور عدم الكفاءة الجنسية يجب البحث عنها في مدى التزام البناء الشخصي للفرد بنظرية مجال الوعي الإنساني. الوعي الإنساني القادر على النفاذ إلى وعي إنساني آخر.. القادر على الحب.. القادر على التحرك من الداخل إلى الخارج.. وبالتالي فإنه إذا لم يتواجد حب عميق فإنه من الصعب أن يتحقق إشباع جسدي.

إن العناق، مجرد العناق في حالة الحب هو خلق للحقيقة الكونية اللانهائية. وتلامس المحبين يمتد بحيث يحتوي على الوجود. إنهما إذ يمارسان الجنس في ظل الحب يشعران أنهما ذاتان متحركتان وليسا جسدين، وبالتالي يشعران أن هذا العالم يقتصر في هذه اللحظة عليهما فقط.. وعيان ومن ثم جسدان. قمة التركيز.. وبالتالي لا قلق. ومع انتهاء هزة الجماع يستمر الإحساس ويمتد الشعور بالرضا العميق والامتنان.

* * إذن التركيز في هذه الحالة يكون على المشاعر وليس الفعل. بينما من يمارس الجنس للجنس يكون التركيز لديه على الفعل، ولهذا فهو يسأل في النهاية شريكه: هل أرضيت جسدك؟ وذلك لأنه تركيز مادي محض.. تركيز في منطقة معينة من الجسد. ولهذا لا يجرؤ أن يسأل أو لا يجد بنفسه الحاجة أن يسأل شريكه: هل أرضيت روحك؟ لأنه بانتهاء هزة الجماع ينتهي كل شيء. إنها تفضي إلى حالة أشبه بالموت، ويعود الإنسان إلى الشعور بالوحدة والاغتراب والرغبة في الفرار.

♥♥♥

* * الحب هو الوحيد القادر على إزالة شعور الإنسان بالوحدة والاغتراب. ولذلك فالجنس المجرد هو أسلوب زائف للقضاء على الشعور بالوحدة بل يفضي إلى تزايد هذا الشعور المؤلم. كما لا يمكن أن يكون الجنس طريقًا إلى الحب.

العكس هو الصحيح. الإعجاب قد يكون ستارًا للمشاعر والرغبات الجنسية، ولكن بعد ذلك يتبدد هذا الإعجاب ويحل محله السأم والملل. ولكن لا سأم مع العلاقة الجنسية تحت مظلة الحب بل يتجدد الشوق إليها مثلما يتجدد الشوق لأي فعل يتشاركان فيه. فالإشباع المادي البحت يقتل الرغبة مثلما الطعام والشراب يقتلان الجوع والظمأ. أما الروح فلا تشبع، وكل ما يتعلق بالروح يظل متجددًا. ومن نعم الله علينا أنه أتاح لنا أن نحب بأرواحنا.

♥♥♥

* * إن أساس الاضطرابات الجنسية انفعالي عاطفي وليس عيبًا في التكوين أو نقصًا فسيولوجيًا. ولا نهاية للحياة الجنسية للإنسان مهما طال به العمر. ولعل أحد الأسباب المهمة للبرود الجنسي عند

المرأة افتقاد الحب. وكذلك الذين يعيشون حياة جنسية ماجنة وداعرة وينتقلون من شخص إلى شخص هم في الحقيقة مرضى يعانون، وأبدًا لا يتحقق لهم أي إشباع جسدي أو نفسي. ولذلك فهم في حالة عداء مستمر مع الآخرين. رغبات عدوانية طاغية تحل محل الإحباط النفسي الجنسي. وشعور شديد بالغيرة والحسد من أي اثنين أنعم الله عليهما بالتوافق في الحب والزواج والجنس.

♥♥♥

* * إن من يبدأ بعطاء الجسد يجد كل الطرق مغلقة في وجهه بعد ذلك لأي عطاء آخر. يصبح الجسد هو البداية والنهاية. والمرأة حين يصبح جسدها هو وسيلتها للعلاقة مع الرجل تفقد كل شيء ويزهدها الرجل سريعًا لأن الجسد لا يمد الإنسان إلا بلحظة سرعان ما تنتهي ولا يبقى من آثارها شيء.. هزة الجسد لا تهز الروح ولا تحرك لها ساكنًا.

♥♥♥

* * حين يلتقي موجود بموجود آخر في علاقة حب فإن الروح تهتز. ولا يرتج لها الجسد فحسب وإنما يرتج لها الوجود كله. ترتج لها كل الكائنات القادرة على الحب. الجسد يسأم الجسد، أما السأم فليس من صفات الروح: الروح هي الأرحب والأشمل والأسمى.

وفي الإنسان السوي يخضع الجسد للروح. أما في الإنسان غير السوي فإن الجسد يتمتع باستقلالية. إنه يتحرك وفقًا لغرائزه واحتياجاته. ينفصل إشباع الرغبات الجسدية عن كيانه الروحي والاجتماعي والأخلاقي سواء إذا كان إشباعًا لرغبة الجنس أو رغبة الأكل.

♥♥♥

# الفصل الرابع عشر

## ماذا يفعل الحب بنا؟

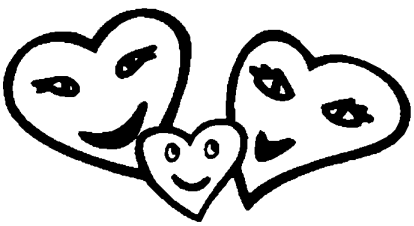

* * * من نعم الله على الإنسان أن جعله قادرًا على الحب. إذن هو منحة إلهية. نفحة من نفحات الله. ولذلك اكتسب هذه القدسية. إنه يجعل الإنسان يدرك هذه الحلقة المقدسة منذ أن خُلق ولحين عودته مرة ثانية إلى خالقه.

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

إنه كشف للوجود وللحقيقة، وكشف للإنسان.. الإنسان الحق.. حقيقة الإنسان.. سره العظيم.. وسر علاقته بالكون.. سر تميزه؛ ولذلك فالحب يجعلنا نعرف ونصل ونتحقق وندرك.. إنه القدرة الفائقة على الفهم والإحساس والإدراك. تتسع أعيننا بامتداد السماء والأرض بل بامتداد الكون كله، فنحيطه رغم اتساعه ولا نهائيته، ونرى موقعنا بوضوح بالنسبة لهذا الكون العظيم.. ندرك علاقتنا بالأرض وعلاقتنا بالسماء.. علاقتنا بمن في الأرض ومن في السماء.

♥♥♥

*** * ماذا يفعل الحب بنا؟**

إنه يجعلك مخلصًا دون أن تدري أنك مخلص. يجعلك وفيًا. يجعلك تسعد بعطائك دون أن تنتظر مقابلاً. تتفانى. تتعاطف. تشفق. ترحم. تود. تتواضع. تتسامح. وكل هذا هو إعادة خلق. تشكيل جديد. ولذا تشعر بالسمو. تشعر أنك تحلق. إنه ببساطة يجعلك تكتشف أعظم ما في نفسك. ترى أنك جميل وبديع حقًا. تكتشف أنك كنت مؤهلاً لكل ما هو سام ورفيع وجميل. تشعر أنك تزخر بكل القيم الأخلاقية العليا.

♥♥♥

*** ماذا يفعل الحب بنا؟**

إنه يتيح لك أن تصعد وتصعد. أن تسمو وتتسامى. تعشق الفضيلة والخير. إنك تريد أن تحقق لمحبوبك صدق توقعاته فيك ومنك. إن محبوبك يراك أهلاً لكل خير، وأنك مؤهل لكل خير.

ولذلك فالحب سَعْي نحو المثل الأعلى. نحو الكمال. وهذه هي القدرة الإبداعية في الحب. ولذلك فأنت تنمو وتتطور وتتغير. تكتشف الإنسان المثالي في داخلك. وتجد يد حبيبك ممدودة لك لتصعدا معًا. تكتشف سرك الحقيقي الذي جعل محبوبك يُفتن بك. أنت.

♥♥♥

*** ماذا يفعل الحب بنا؟**

إنه يمنحك الطاقة. القوة. الإيمان. يملؤك بالحماس. وذلك من أجل أن تهب حياتك لشخص واحد هو محبوبك. وتفيض منك إرادة الخير على الغير فتصبح مصدرًا حقيقيًّا للخير. تستحيل حياتك من أجل غيرك. تتجرد نهائيًّا من أي شوائب للأنانية والتمركز حول الذات. ستندهش لتلك الإمكانيات الهائلة التي لديك لتعمل وتنهض وتبدع وتضيف لا من أجل نفسك بل من أجل من تحب. ولهذا تفقد كل رغبة في أن تكون مالكًا لشيء، أو تتحكم في الآخرين، أو تفرض سطوتك. ستكتشف أن القانون الأعظم لتسيير الكون هو العطاء.

*** ماذا يفعل الحب بنا؟**

ستشعر بسعادة عميقة لأن إنسانًا آخر اكتشف حقيقتك الرائعة. ولولا الحب لما استطاع هذا الإنسان أن يتغلغل داخلك. بالحب وحده استطاع هذا الإنسان أن يعرف قدرك. واستطعت أنت أن تعرف قدر نفسك. حبيبك هو أصدق مرآة ترى فيها ذاتك الحقيقية. ذاتك الجميلة المثالية.

♥♥♥

* ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يجعلك تهدأ بعد أن كنت ثائرًا متحفزًا تلهث. إيقاع الحياة كلها يهدأ. ثم لا يعنيك توحش الحياة والبشر وتدافعهم وتكالبهم. ثم لا يعنيك ما تعاني من ضغوط ومشاكل ونقص. ثم لا تقلق لقصر الحياة وزواليَّتها.

إن الدنيا كلها تصبح هي حبيبك. هو ما يعنيك وهو أهم شيء وهو كل شيء. هو الدنيا وهو المدلول. وهو المعنى. وهو الهدف. وهو الاستقرار. وهو الخلود. وكل ما عداكما وكل ما هو خارج حدودكما لا يهم. كل شيء يفقد قيمته أمام أهم حقيقة وهي أنكما معًا. معه لا يعنيك جحيم الحياة ومخاطرها، تمتلك نفسك تمامًا وتتماسك ويبعد عنك أي شعور بالضياع.

♥♥♥

* ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يجعلك أنت. أنت كما أنت. أنت دون تكلف. دون أن تحاول أن تبدو في صورة أفضل. أن تكون على طبيعتك. على ما أنت عليه. ذاتك الحقيقية. مظهرك الحقيقي. وهذا هو سر جمالك. وتلك سعادة حقيقية أن تشعر أن هناك من اختارك من بين الملايين وأنت على ما أنت عليه. وأنت لم تبذل جهدًا.

♥♥♥

* ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يجعلك تشعر بالاكتمال. تشعر أنك عثرت على نصفك الآخر. كيف تعثر على هذا النصف من ضمن ملايين البشر؟ إنك بلا

شك إنسان محظوظ. محظوظ حقًّا. هناك من يظلون غير مكتملين تائهين مدى حياتهم.

وأليس غريبًا أن يكون نصفك الآخر من الجنس الآخر؟ إن هذا يكشف عن الثنائية الخالدة. ثنائية الوجود والتواجد على الأرض. الرجل والمرأة. معًا. كيان واحد. لابد أن يكونا معًا في وحدة واحدة. عاشق ومعشوق، محب ومحبوب. عابد ومعبود. خالق ومخلوق. إن الوجود كله يتكثف عند نقطة واحدة. عند لحظة واحدة. عند معنى واحد. عند منحنى واحد. ألا وهو حب رجل وامرأة.

♥♥♥

*** ماذا يفعل الحب بنا؟**

إنه يجعلك تعرف روعة أن تشتاق. أن تحن. أن تسعى لرؤية محبوبك. أن تكون مستعدًّا أن تدفع كل شيء وتتخلى وتتنازل عن كل شيء في سبيل أن تحظى بلحظة معه. تراه. تأتنس به. تتسامر معه. تتشاركان. متعة أن تنتظر وترقب وتتطلع.

♥♥♥

*** ماذا يفعل الحب بنا؟**

إنه يحررك من التبعية لأي شيء. لأنك بهذا الحب تولد من جديد. إعادة خلق. صفحة جديدة بيضاء لست مدينًا فيها لأحد. تسترد أنفاسك. تستجمع كل قواك تلملم ذاتك. حرية. إرادة. قوة. شجاعة. إيمان. إصرار. تصميم. حماس هدف. معنى. قيمة. إبداع. ازدهار. رؤية جديدة. فكر جديد. طريق جديد. اختيارك. إرادتك.

♥♥♥

* ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يجعلك تشعر بلذة أن يشاركك أحد حياتك. إنها رؤية جديدة للحياة مع إنسان يرى أن وجودك أهم شيء بالنسبة له في الحياة. أن يرى أنك أهم إنسان في الدنيا. وأنت أيضًا تراه بنفس الطريقة. تراه قيمة ومثلاً أعلى. جميلاً وبديعًا وساحرًا ورائعًا وأخاذًا وجذابًا وهائلاً وعظيمًا وقديرًا وفنانًا.

تصور أنك تشارك هذا الإنسان الحياة. الخبرات المشتركة الأماكن. الشوارع. الأغاني.. الحكايات. الأيام. الليالي. المشاكل. المتاعب. الصعاب. الأحزان. الآلام. الأفراح. الانتصارات. كل الحياة. كم تكون الحياة ممتعة بمشاركة هذا الإنسان.

♥♥♥

* ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يتيح لك أن تسكن إلى إنسان تلقى منه المودة والرحمة. يتيح لك إنسانًا تستطيع أن تعتمد عليه اعتمادًا مكملاً بكل ثقة وطمأنينة.. إنسانًا تستطيع أن تمشي وراءه وأنت مغمض العينين. يا لها من سعادة.. سعادة الطمأنينة.

♥♥♥

* ماذا يفعل الحب بنا؟

تغير خطير يحدث داخلك وهو أنك تعود مرة ثانية تثق بالحياة وتثق بالإنسان. يجعلك قادرًا على رؤية الشيء الطيب الحسن الموجود عند كل إنسان، ويجعلك قادرًا على التعامل مع هذا الجزء واستثماره.

وفي ذلك شعور بالراحة والطمأنينة. إنها رؤية الجمال الحقيقي في الحياة. تنعم بالنظر إلى براءة الوردة مثلما تنعم برؤية البراءة داخل كل إنسان. إنه يجعلك تثق بسيادة الخير عند كل إنسان.

♥♥♥

* ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يجعلك تكتشف واحدة من أعظم القيم الإنسانية التي تمنحك الاستقرار والطمأنينة ألا وهي الوفاء. أي خلود أصدق المشاعر. إن وفاء حبيبك لك هو تاج تضعه على رأسك.

♥♥♥

* ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يكشف عن قدرة عظيمة تمتلكها وهي أنك أتحت لإنسان آخر أن يرى ذاته على مرآتك. ساعدته على كشف نفسه. وأنت أيضًا تعرفت على ذاتك من خلاله واكتشفت أنه يستحق منك أن تعطيه كل حياتك، فهو قد أتاح لنهر الخير عندك أن يتدفق وأن يجد مصبًّا يتشربه.

♥♥♥

* ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه جعلك تحب إنسانًا لذاته وليس لصفاته. وهذا يعلمك أعظم دروس الإنسانية وهي أن تهتم بأي إنسان لأنه إنسان سواء إذا كان طيبًا أو سيئًا. أن تهتم بالإنسان كإنسان لا كأداة تستخدمها أو وسيلة

تستغلها. إنه يعلمك ألَّا ترى الناس مثلما ترى الأبيض والأسود. إنه يبعدك عن تقسيم البشر إلى أخيار وأشرار. الإنسان قبل كل شيء.

♥♥♥

*** ماذا يفعل الحب بنا؟**

الحب هو سر نجاحك في علاقاتك بالناس. لقد استخدمت هذه الطاقة العاطفية الهائلة التي ولدها الحب في داخلك للتأثير على الآخرين فاكتشفت أن القلوب تلين والعقول تتفهم وتقتنع والأبواب تتفتح. اكتشفت أنه بطاقة الحب تتحول التكشيرة إلى ابتسامة، والعداوة إلى مودة، والعناد إلى مرونة. الحب أهداك مفاتيح القلوب والعقول. اكتشفت قدرة هذا النور الإلهي على تغيير النفوس. الحب يولد حبًّا.. والخير يبتعث خيرًا.

♥♥♥

# رسالة الختام

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَـذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ۞ لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۞ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ ۞ وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ۞ يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ۞ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ

الْحَقُّ الْمُبِينُ ۞ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

صدق الله العظيم..

«سورة النور» [من آية: ١١-٢٦].

## رسالة الختام

## أنا معك..

عادل صادق

أغسطس ١٩٩٢

# الفهرس


| الموضـــــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| مقدمة ..... | ٣ |
| الفصل الأول: امرأة غيورة ..... | ٩ |
| الفصل الثاني: امرأة خاسئة ..... | ٦٣ |
| الفصل الثالث: سر الحب ..... | ١٢٩ |
| الفصل الرابع: معنى الحب..... | ١٤٣ |
| الفصل الخامس: لماذا نحتاج للحب؟ ..... | ١٥٥ |
| الفصل السادس: الحب والنضج ..... | ١٦٩ |
| الفصل السابع: اكتشاف الذات ..... | ١٨١ |
| الفصل الثامن: اكتشاف إنسان آخر ..... | ١٩١ |
| الفصل التاسع: العطاء..... | ١٩٩ |
| الفصل العاشر: الحب اختيار..... | ٢٠٩ |
| الفصل الحادي عشر: الغزو والخضوع ..... | ٢١٧ |
| الفصل الثاني عشر: قلق الحب ..... | ٢٣١ |
| الفصل الثالث عشر: الحب والجنس..... | ٢٤٧ |
| الفصل الرابع عشر: ماذا يفعل الحب بنا؟ ..... | ٢٦١ |
| رسالة الختام..... | ٢٦٩ |


***

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

# مشكلات عاطفية

Mon.
23/12/2013

## الدكتور عادل صادق في سطور

- ولد الدكتور عادل صادق في التاسع من أكتوبر عام ١٩٤٣ بمحافظة القاهرة، وكان والده يعمل ضابطاً بالجيش المصري.

- كان ترتيبه الأول وتبعه ستة من الأشقاء ، توفيت إحداهم في طفولتها تاركة ذكري أليمة في الأسرة.

- التحق بمدرسة المنيرة وأظهر التزاماً وحباً لدراسته ووداعة وعطاء تجاه قرنائه، مما أثار إعجاب وتقدير المحيطين به في هذه السن المبكرة.. ثم التحق بكلية الطب بناء علي رغبه والده - حيث كان يرغب في دراسة الأدب والفن والموسيقي - ولكنه بالرغم من ذلك أظهر تفوقاً واضحا، فقد كان يؤمن أن علي الإنسان أن يقوم بواجباته ومسئولياته علي أكمل وجه.
وأثناء الدراسة، أهلته شخصيته الكاريزمية والقيادية لأن يكون رئيساً لإتحاد الطلبة.

- تزوج عام ١٩٧٠ من زميلته في الدراسة بعد قصة حب طويلة، وأثمر هذا الزواج عن نجله الدكتور هشام ثم كريمته لينا.. وكان لأبنائه نعم القدوة والمثل الصالح، ولم يشغله نجاحه وعمله عن الاهتمام بأدق تفاصيل حياتهم وتوجيههم.

- سافر إلي إنجلترا عام ١٩٧٣ للدراسة، واستمر في تحقيق إنجازات علمية متواصلة حتى علم بمرض والده - الذي أقعده - فقرر العودة إلي مصر واعتبرها مشيئة الله في أن يبدأ مشواره في بلاده.


مجلة الابتسامة

Design By Abdul Rahman Magdy

الصحوة
ALSAHOH



دار الصحوة للنشر والتوزيع
48 شارع مجلس الأمة - القاهرة
تليفون وفاكس 594 43 279 202+
بريد إليكتروني
Daralsahoh@gmail.com